

الزهور تدفن في اليمن



الزهور تدفن في اليمن

وجيه أبو ذكري



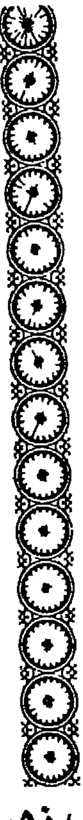
الزهــور تدفــن في اليمــن



وجيــه أبــو ذكــرى

الطبعة الثانية (١٩٧٧)







الى عشرين ألف زهرة مصرية دفنت فى سهول وجبال ورمال اليمن ·

الى عشرين ألف أرملة مصـرية عشن ومازلن يعشن بقسوة فى سبيل اليمن ·

الى الملايين من الشـعب الصـبور الذى يأكل الخبز الاسـود ، ويشرب ماء ممزوجا بالبلهارسيا ويعيش فى نهاية القرن العشرين على لمبات الغـاز ···

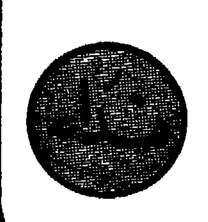
الى هؤلاء ··

أهـدى هذه الرسائل

المؤلف



مقابر الشهداء عام ١٩٦٧
هنا .. يرقد أعظم الرجال .. وأشجع الرجال .. هنا يرقد شباب مصر في سبيل اليمن



باسم اسوار اليمن التي رفعت والى الابد ..

باسم الرسالة التي قام بها اعظم شبابنا على أرض اليمن .

باسم العطاء والمال والعرق والدموع والدم المصري .

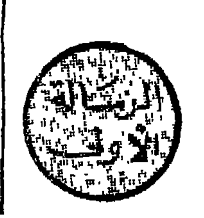
باسم الحياة التي بدأت في اليمن .

باسم آلاف الشهداء الذين دفنوا على جبال اليمن .

لي رجاء .. من الحكومة اليمنية .. أي حكومة .. ورجائي بسيط هو : ان تجمع ما تبقى من عظام شبابنا العظام ، وتبني لهم مقبرة تليق برسالتهم ، لتكون كعبة للعطاء ، وتكتب على هذه المقبرة :

هنا .. يرقد اعظم الرجال .. واشجع الرجال وانبل الرجال .. هنا يرقد شباب مصر في سبيل اليمن .





صنعاء فى ٣١ اكتوبر عام ١٩٦٢

زوجتى العزيزة ..

اليك رسالتى الأولى اكتبها لك من صنعاء . عاصمة الجمهورية العربية اليمنية ، ولا أدرى من أين أبدأ هذه الرسالة ؟ ..

هل اتحدث عن المعارك التى بدأنا نخوضها ؟ هل احدثك عن ثورة اليمن والامام ، والنظام ، أم أبدأ حديثى معك منذ أن لوحت لك بيدى مودعا فى منزلنا الجميل بضاحية مصر الجديدة وحتى أمسكت القلم لأسطر أول رسالة أكتبها من صنعاء ؟ انى افضل التسلسل الزمنى حتى لا تضيع من ذاكرتى حقيقية ..

هل تذكرين عندما قبلت وحيدى وودعتك وانت لا تعلمين الى أين انا ذاهب لقد كان ذلك يوم الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ ، لقد ذهبت الى انشاص ، وهناك علمت بالمهمة التى تبدو سهلة وهى حماية ثورة اليمن من الرجعية فى المملكة العربية السعودية ومن الاستعمارالبريطانى فى الجنوب العربى والخليج العربى ومسقط وعمان وعدن . وفى المساء جمعنا قائد اواء المظلات وتحدث الينا عن مهمتنا الجديدة ، واليك بعض ما قاله عن هذه المهمة :

بعد قيام الوحدة المصرية السورية ، نظر منجم الامام أحمد الى السماء فوجد أن نجم الرئيس جمال عبد الناصر فى ارتفاع ، فأرسل الامام أحمد ولده الأمير محمد البدر الى القاهرة ليلحق بنجم الجمهورية العربية المتحدة الساطع ، وعقد اتفاقية اتحادية بين الجمهورية العربية المتحدة وبين اليمن ولقد وافق الرئيس جمال عبد الناصر أن يضع يده فى يد

النظـام الامامى العفن فى صنعاء ولكن لكى يبقى فى جنوب الجزيرة العربية ، ليواجه من صنعاء بريطانيا فى جنوب اليمن وعمـان والخليج ويحـاصر السـعودية .

وبناء على هذا الاتفاق الاتحادى ، أرسل الرئيس جمال عبد الناصر بعثة عسكرية مكونة من اثنى عشر ضابطا للتدريب والاشراف على القـوات المسلحة اليمنية ، الا ان الامام سجنهم فى قصر الضـيافة بصـنعاء وحرم عليهم الاتصالات ثم أرسلهم الى القـاهرة بعد الانفصـال ، وبرغم ذلك فانهم استطاعوا أن يكونوا فكرة صائبة عن اليمن . وقامت ثورة اليمن فى ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وجمع السيد الرئيس جمال عبد الناصر خبراء اليمن لأخذ رأيهم فى تلبية طلب الثوار بامدادهم بقوات عسكرية ، كان رأى الفئات الوطنية فى عدم ارسال قوات والاكتفاء بتقديم المساعدات العسكرية وخبراء عسكريين دون قوات .

وكان رأى كمال الدين حسين وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة المصرية عـدم التدخل عـسكريا فى اليمن ، لأن جراح الانفصـال المصرى السورى ما زالت تدمى فى جسد الشعب المصرى ، وان هـذا التدخل لا يحمد عقباه وانه سوف يفسد كل خطط التنمية فى الداخل .

وكان رأى الاتحاد السوفياتى ، التدخل لتحقيق ثلاث أهداف رئيسية فى المنطقة :

١ ـ حماية ثورة اليمن .

٢ ـ مواجهة السعودية وبريطانيا فى المنطقة .

٣ ـ فك الحصار عن مصر .

فبعد الانفصال تعيش مصر فى عزلة تامة عن المجتمع العربى ، ولا يوجد لها علاقات طيبة الا مع لبنان والكويت .

واستدعى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر البعثة العسكرية التى كانت حبيسة فى ظل حكم الامام فى اليمن واستشارها الرأى ، فقالت انه لا بد من التدخل فى اليمن ، وان القوات المصرية التى سوف تذهب الى اليمن لا تزيد عن كتيبة واحدة ، وهى كفيلة بحماية هذه الثورة .

وقرر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر الموافقة على قرار السوفيات ، والبعثة العسكرية المصرية التى عاشت حبيسة فى اليمن .

واصدر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بسفر أول كتيبة الى صنعاء وكنت واحدا منها ، لقد اخطرنا القائد بأن المهمة سهلة ، واننا سنكون فى صنعاء ، وارتدينا الملابس المدنية واتجهنا فى أوتوبيسات الى مطار الماظة الحربى فى الظلام حيث كان فى انتظارنا طائرات مظلات من نوع انتينوف وكان يقف لتنظيم ركوب هذه الطائرات عسكريون سوفييت وبدأنا الدخول من ذيل الطائرة ، هى غريبة الشكل ، عبارة عن كراسى حديدية محاطة بجدار الطائرة ، وفى الوسط مستودع البنزين وفى سقف الطائرة يتدلى أنابيب للاكسجين ، وفى المقدمة كابينة القيادة الخاصة بالطيارين .

وملصق بها كابينة أخرى للقيادة العسكرية مجهزة بشكل يختلف تماما عن بقية الطائرة .

وعندما أغلق باب الطائرة وقف رجل سوفياتى يعلم الجنود كيفية استخدام أنبوب الأكسجين ، ثم طلب منهم وضع كمامات الأكسجين فوق أنوفهم طوال الرحلة .

وبدات الرحلة الى صنعاء .

خمس ساعات طويلة .. مملة ..

فلا حديث .. لاننا جميعا نضع هذه الكمامات فوق وجوهنا ..

ولا حركة .. لاننا مرتبطون بسقف الطائرة بأنبوب الأوكسجين ..

ومن يريد من الجند أن يقضى حاجته .. جاء له السوفياتى بزجاجة فارغة ..

وبدات أشعة الشمس من صباح التاسع والعشرين من سبتمبر تتسلل داخل الطائرة ، وعندما بدأت الطائرة الهبوط من ارتفاعات شاهقة ، تسامح السوفياتى فى خلع هذه الكمامات اللعينة ..

وبدات الطائرة تهبط بسرعة على أرض المطار وتوقفت عجلاتها ، وبدأنا النزول من ذيلها .

أى مطار هذا ؟ .. واين ممراته ؟ .. وأين الأبنية ؟ .. شىء لا يصدق .. مشهد مثير وغريب الا ان الأعجوبة اننا هبطنا هنا بلا حوادث .

ان المطار — زوجتى — عبارة عن ممر ترابى يحيط به سلسلة من الجبال ، وبرج المراقبة عبارة عن سيارة سوفياتية مجهزة بأجهزة لاسلكى هى التى ترشد الطائرة على الهبوط ..

هذا هو المطـار ..

ووقفنا طوابير أمام الطائرة ..

وجاءت السيارات تنقلنا داخل المدينة .. كان الجو حارا رغم اننا فى الصباح . ثم وقف أمامنا رجل مدنى هو السفير المصرى فى صنعاء وقال اننا قادمون فى مهمـة مقدسة لحماية ثورة اليمن من المتآمرين عليها . وان هذا الشعب فى حاجة الى حمايتكم ، وحتى لا نبدو متدخلين فان السـفير قد أخبرنا بأننا سوف نرتدى زيا عسكريا يمنيا ، كما علمنا أن مهمتنا لن تزيد عن عدة أسابيع نعود بعدها الى القاهرة .

بدأنا نركب السيارات فى الطريق الى العاصمة ، سرنا وسط جبال جرداء قاسية ، وشاهدنا من بعيد مدينة بيضاء تحيط بها هذه السلسلة الجرداء من الجبال وقالوا انها صنعاء ..

وبدأنا نقترب من صنعاء .

وصنعاء هذه يحيط بها سور عظيم ، ويبدو المشهد كأنه ديكور لفيلم تجرى أحداثه فى العصور الوسطى او ما قبل الميلاد ، وبدأنا ندخل من بوابة شبه حلزونية ، وأصبحنا فى صـنعاء ، كان الناس ينظرن الينـا وكأننا من كوكب آخر غير كوكب الأرض ، ينظرون بدهشة وخوف ، ان النظرة الأولى ـ زوجتى ـ الى هذا الشـعب تؤكد انه شـعب أكثر من مضطهد ، عاش خلف الأسوار ، سواءا كانت أسوار المدينة ، أو الأسوار الطبيعية من الجبال ، لا يدرى مما يدور حوله .

قبل يوم واحد ،كانت قد سبقتنا قيادة القوة المصرية فى اليمن ،واتخذت من أحد البيوت مقرا لها ، ذهبنا الى القيادة واسترحنا قليلا ، ثم بدأ التوزيع على المناطق التى سوف نقوم بحراستها ، وكان من نصيبى بيت السـلال .

وقبل أن أسرد لك حكايتى المتواضعة فى اليمن خلال هذه الفترة ، سأروى لك حكاية ثورة اليمن كما سمعتها ، جانب من السلال وجوانبه اخرى من الذين قاموا بهذه الحركة ، وقيام هذه الثورة وجذورها التاريخية تحتاج الى موسوعة لا الى رسالة ، انها ضاربة فى أعماق تاريخ اليمن .

وأعلمى ـ زوجتى ـ ان هذه الثورة لن تكون الأخيرة ان اليمن أشبه بالتنين ، أو أشبه بالحيوانات المائية الموجودة فى قاع المحيطات ، فهى تحتاج الى قنبلة ذرية لكى تتحرك من أعماق المحيطات وتظهر على سطح المياه .

والآن . . ـ زوجتي ـ اليك لأول مرة قصة ثورة اليمن ، وهي ليست كما يكتبونها في الصحف وهذه هي القصة مجردة .

اليمن كان يحكمها رجل قوى وخبيث اسمه الامام أحمد تولى السلطة بعد مقتل والده الامام يحيى ، ولتوليه السلطة هذه مأساة ستظل سوداء في تاريخ اليمن ، لقد قتل الامام يحيى في ١٧ فبراير عام ١٩٤٨ ، كان خارج صنعاء مع وزير خارجيته ، والذى دبر مقتله هو عبد الله الوزير والذى كان يبث في اليمن افكارا ليبرالية ، وكان يتعاطف مع اليمنيين الأحرار الذين اتخذوا من عدن مقرا لهم ، وأعلن عبد الله الوزير نفسه اماما على اليمن عقب نجاحه في اغتيال الامام يحيى ، وجاء الى صنعاء اليمنيون الاحرار وهم : أحمد محمد النعمان ، والقاضي عبد الرحمن الارياني ، والقاضي محمد محمود الزبيرى وكان الامام احمد هو حاكم تعز واستطاع الامام أحمد وبعض من بيت حميد الدين أن يقود قبائل باكيل وحاشد بقيادة الأمير حسن أن يسقط نظام الامام عبد الله الوزير ، وراح ضحية استرجاع السلطة ما لا يقل عن ستة آلاف يمني .

وامتلأت السجون الرهيبة بالأبرياء ، وسجون اليمن افظع مما تتخيلين ، أنا لم أشهد الباستيل كأشهر سجن في العالم ، ولم أذهب الى سيبيريا ، ولم أخدم في السجن الحربي ، ولكن بالتأكيد وبدون أدنى نقاش فان أقسى أنواع السجون هي تلك الموجودة في اليمن .

النعمان أصبح في السجن ، وهو الأب الروحي لكل محاولة اصلاح ، لقد درس في الأزهر وأنهى دراسته وعاد الى اليمن عام ١٩٤١ وعين مديرا للتعليم في تعز ، ثم كان مدرسا للامير البدر ولكنه لم يتمكن من الاصلاح فترك اليمن وسافر الى عدن وكون من هناك جماعة أحرار اليمن ، حيث انضم اليه القاضي عبد الرحمن الارياني والقاضي محمد محمود الزبيرى ، وهؤلاء عادوا الى اليمن بعد الاطاحة بحكم الامام يحيى ولكن الوزير لم يتمكن من البقاء ، واعتقل النعمان والارياني وتركوا في سجن حجة ، الا أن الزبيرى كان في جدة لمقابلة وفد تقصى الحقائق في اليمن الذى أوفدته الجامعة العربية ، فأفلت من سجن اليمن ، وعاش ثلاث سنوات سنوات في سجون السعودية ، بعدها لجأ الى القاهرة .

هؤلاء الثلاثة ، ومعهم بعض بيت حميد الدين ـ كالأمير ابراهيم ـ هم أول من طالبوا بالجمهورية اليمنية ، والأمير ابراهيم مات في السجن من كثرة التعذيب .

ان مقتل والده الامام يحيى ، جعل الامام أحمد من أبشع الصور التى يمكن أن تكون على بشر فى القرن العشرين أو قبل هذا القرن بقرون .

عين الامام أحمد ولده محمد وليا للعهد ، وكان صديقا لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

ومع مرور الزمن كره الرجل أسلوب حياة والده ، كره طريقة حكمه لليمن حاول الاصلاح فلم يتمكن .. فقرر اغتيال والده الامام أحمد . ان الامام أحمد ، كما علمت لم يمت ميتة طبيعية ، لقد اغتاله بالسم الأمير محمد البدر ، كان الرجل مريضا . ولكن الامام البدر كان يقول دائما انه ستطيع أن يعيش مريضا عشرات السنين ، وبعد أن تمكن السم منه ، وفارق الحياة ، أسرع الأمير البدر باعلان وفاة والده الامام أحمد فى ١٨ سبتمبر عــــام ١٩٦٢ م ، واعلن الامام محمد البدر اماما على اليمن خلفا لوالده .

ولم يكن الامام البدر قويا كوالده ، لم يكن له هذه السطوة كالتى كانت لوالده ، بل انه لو لم يعلن عن وفـــاة والـــده ، لاســـتطاع أن يحكم اليمـــن يتصور حياة والده عشرات السنين فان الرجل اسطورة .

بعد اغتيال الامام أحمد ، كان هذا أكبر اغراء لقيام الانقلاب الذى أطاح ببيت حميد الدين .

لقد كان اللواء عبد الله السلال من المقربين الى الامام محمد البدر ، وبعد أن قام البـــدر باغتيال والـــده عين الســـلال فى منصب رئيس اركان الجيش اليمنى وكان الســـلال رئيس تنظيم عســـكرى من صـــغار الضباط فى الجيش اليمنى ، واستطاع السلال أن يقنع الامام البدر بأن يحرك بعض الدبابات من الحديدة الى صنعاء ؛ وحصل على هذا الأمر ، واعطاه الى رجال الحديدة بدأت القوات تتحرك الى صنعاء مساء السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ .

كان اللواء السلال مجتمعا فى ذلك المساء مع الامام محمد البدر يناقش معه طريقة النهوض باليمن بشكل حثيث ، وانتهى الاجتماع قبل منتصف الليل بساعة واحدة ، وطلب السلال من الامام أن يذهب الى بيته الا أن الامام طلب منه البقاء ولمزيد من المشاورات ، وادعى السلال التعب ، وخرج الى خارج صـــنعاء ليقود الدبابات الى قصر البشـــائر فى العاصـــمة حيث يوجد الامام ، وحاصرت هذه القوات القصر ، واتجهت قوات أخرى الى الاذاعة وتم حصارها ، وبدأت تطلق قذائفها لتدك القصر ، لم تكن القذائف مباشرة لبعد هذه الدبابات عن القصر ، حيث يحتاج الوصول اليه مباشرة

المرور بطرقات لا تسمح بدخول الدبابات ، وكان يوجد بالطابق الأرضى حريم الامام ، فور اطلاق القذائف اتجه الامام الى جناح الحريم ، واقتحم جنود الثورة القصر ، حبث وجدوا جثث بعض الحرس ، ودخلوا على مكان الحريم قلم يلاحظوا وجود البدر ، أخبروا السلال بمقتل البدر .

وأذيع البيان الأول للثورة اليمنية ، ثم أذيع مقتل الامام البدر ، ثم أعلنت الجمهورية العربية اليمنية ، فى ذلك الوقت وبتكتم شديد من الحريم وبملابسهن خـرج الامام من قصر البشاير المتهدم الى أسوار صنعاء ثم الى خارجها فى منطقة جيحانة .

لم يكن للامام وسيلة لاعلان انه حى ، كان عليه أن يسير فى الجبـال حتى يصل الى حدود المملكة العربية السعودية ليعلن من هناك انه حى .

بعد نجاح الانقلاب ذهب السلال الى بيت السفير المصرى وطلب منه معونة عسكرية ، قوات مصرية تواجه القبائل التى تتمرد كما تمردت فى السابق على عبد الله الوزير ، وأبلغ السفير المصرى فى صنعاء ، طلب قوات عسكرية ، مصرية الى الرئيس جمـــال عبد الناصر ، وكثرت التقـارير فى القاهرة قبل أن أحضر الى هنا ، وانتهى الأمر بالموافقة على ارسال هــذه القوات ، وبالرحلة فى المساء الى مطار الماظة ومنها الى هذه المدينة التعيسة : صنعاء .

وهكذا ــ زوجتى ــ دخلنا اليمن .

وهكذا ــ زوجتى ــ نحارب فى اليمن .

لم يكن تقرير البعثة العسكرية دقيقا ، فلقد وجدنا بعد اليوم الأول من وصولنا اننا نحتاج الى قوات أكثر لحماية هذه الثورة العظيمة من المتآمرين عليها ، فلقد بدأنا المعارك بعد وصولنا أدى بالقائد العسكرى والسفير المصرى وقيادة الثورة الى طلب المزيد من القوات المصرية .

لقد بدا تدفق عسكرى مصرى فى اليمن ، لقد وصلت بعد الثورة بعدة أيام سفينة شحن تابعة للشركة البحرية تحمل معدات عسكرية ، وتشهد مطارات ثلاثة قوات مصرية تصل تباعا الى اليمن ، مطار صنعاء الذى وصفته لك ، ومطار تعز ومطار الحديدة .

كما أنه أصبح الآن هناك جسرا بحريا بين الادبية والحديدة ، يحمل هذا الجسر الجنود ، والبنزين ، والمأكولات ، والمعدات العســكرية ، واتصور أن شركة الملاحة البحرية قد توقفت تماما عن الأعمال المدنية

وسخرت سفنها للجسر البحـرى بين القاهرة وصنعاء ، لقد كنا فى البداية ثلاثة كتائب ، أصبحنا الآن عدة ألوية .

زوجتى ..

لم أكتب لك فى كل هذه الرسالة ما هى الأعمال التى قمت بها منذ وصولى الى هنا حتى هذه اللحظة فلهذه قصة طويلة ، هى قصة الوجود المصرى العسكرى كله فى اليمن .

الا اننى أريد أعرف ماذا يقول الناس عندك فى القاهرة عن وجودنا فى اليمن ؟ ..

لقد ودعت القاهرة فى الظلام بينما كنت اريد أن أودعها فى ضـــوء النهار ، وارى وجوه هذا الشعب الطيب وهو يلوح لى بمهمة قد أعود منها ولا أعود . مهمة تحرير شعب عربى من العبودية والاستبداد .

اننى كل يوم اقول للجنود اننا هنا نحارب فى اليمن للحفاظ على مصر .. مصر عبد الناصر .. مصر الأمل .. مصر التى دفعنا لها ومن أجلها الكثير الكثير .. ولم يبق الا سنوات قليلة لنحصد ما دفعناه ..

لقد عشنا ثورة الجزائر .. ودفعنا لها الكثير .. وتحملنا من أجلها على مدى سنوات طويلة حربا قاسية مع فرنسا وبريطانيا واسرائيل .

لقد عشنا فى سبيل الوحدة المصرية السورية ودفعنا لها الكثير .

ولقد عشنا فى سبيل القضية الفلسطينية ونعيش لها وندفع لها الكثير .

وفلسطين لابد أن تمر باليمن ، وحفاظا على تحرير فلسطين والقضاء على اسرائيل لابد ان نحافظ على ثورة اليمن .

فى سبيل ذلك ـ أقول للجنود ـ نحن نحارب فى اليمن .

فى سبيل العروبة ..

فى سبيل مصر ..

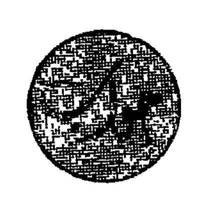
فى سبيل قائد العروبة ..

نحن نحارب فى اليمن ..

زوجتى ..

أرجو أن تكتبى لى عن كل المشاهد التى لم أشهدها فى القاهرة ، وعن حياتك العامة والخاصة .. فهنا ستكون رسائلك هى تسليتى الوحيدة .

زوجك



الرسالة الأولى

القاهرة فى العاشر من نوفمبر ١٩٦٢ م

زوجى العزيز ..

وصلتنى رسالتك الأولى ، ولمست من بين سطورها ان هناك قتالا فى اليمن ، ان الصحف والاذاعات لدينا لا تقول أن هناك قتالا فى اليمن ، حتى انا زوجة أحد الرجال فى اليمن كنت أتصور أنك هناك لتدريب جيش اليمن، وليس للقتال ..

والان .. منك اريد أن اعرف .. من نقاتل فى اليمن ؟ .. ومتى نعود الى حنان بينك ؟ .. والى متى يستمر القتال فى اليمن ؟ .. قد أكون الوحيدة أو الواحدة من القليل التى تعرف بعض ما يجرى فى اليمن ، الا أننى اسأل بصدق ، هل يمر الطريق الى تحرير فلسطين عن طريق صنعاء ؟ .. هل أنت تؤمن بما تقوله للجنود ؟ ..

الصوره فى القاهرة ، غير الصورة فى صنعاء ..

عندكم قتال . كما تقول وعندنا انتصارات كما ارى ..

اول هذه الانتصارات والتى اراها هو ما حدث فى مطار القاهرة الدولى. كان الرئيس جمال عبد الناصر يودع أحد ضيوفه ، وعندما هبطت ثلاث طائرات من سلاح الجو الملكى الأردنى أرض مطار القاهرة ، كان جميع السفراء بلا استثناء موجودين بالمطار ، وشاهدوا المقاتلات الثلاث تهبط واحدة وراء الأخرى وعليها اشارة السلاح الملكى الأردنى ، وتساءل سفراء الدول الغربية .. ما الخبر ؟

فقيل لهم : ان هذه الطائرات المقاتلة ، طلبت وهى فى الجو اللجوء السياسى للقاهرة ، وعلى الفور سمحت لهم مصر بالهبوط ، وكانت هذه الطائرات فى طريقها الى اليمن لضرب صنعاء . ولكن الطيارين رفضوا الاوامر واتجهوا الى القاهرة معلنين بذلك تأييدهم للثورة فى اليمن ، وموقف القاهرة منها .

الا ان الحقيقة ، ان الطائرات الثلاث قد هبطت فى مطار متقدم من قناة السويس ، وتم ابلاغ الرئيس جمال عبد الناصر بوصول الطائرات الثلاث . فكان أول سؤال سأله الرئيس جمال عبد الناصر ..

ـ ألم تعترضهم الطائرات الاسرائيلية أثناء قدومهم من الأردن الى مصر ؟ ..

فقيل له : لا ..

واعد عمل اعلامى كبير لوصول هذه الطائرات الى ارض المطار ، كان أهم شىء فى نظر عبد الناصر أن يجمع أكبر عـدد من السـفراء ، وأكبـر عدد من رجال الاعلام وهم يشاهدون الطائرات الأردنية وهى تهبط فى مطار القاهرة .

فى ذلك الوقت كان فى زيارة لمصر أحد زعمـاء أفريقيا وطلبت وزارة الخارجية من كافة السفراء العرب والأجانب بتوديع الضيف الأفريقى فى القـاهرة كما دعى الدكتور عبد القادر رجال الاعـلام الأجانب لتوديع الضيف . وثارت دهشة رجال الاعـلام من طلب الدكتور حاتم ، مما أدى به الى تسريب خبر عن حادث هام سيحدث فى مطار القاهرة ، وكان هذا التسرب كفيل بأن يسيل له لعاب رجال الاعلام الأجانب ليشهدوا هذا الحدث المثير ، وذهب رجال الاعلام المصريين من اذاعيين ، وصـحافة وتليفزيون .

وهبطت الطائرات امام اعين العالم .. وعقدوا بعد هبوطهم مؤتمرا صحفيا مثيرا ، وكان عبد الناصر سعيد الى حد لا يوصف بما حدث فى مطار القاهرة ان أحد المقربين للرئيس جمال عبد الناصر قد قال لى : انه بثورة اليمن سوف نهز عروشا ونغير الخريطة السياسية لشبه الجزيرة العربية والعالم اجمع .

كان الرئيس جمال عبد الناصر يقول لمن حوله ان هذا يكفينى عوضا عن جراحى فى سورية ، ان سوريا ظلت منذ الانفصال هى كل حياة الرئيس جمال عبد الناصر انه يرى فى اليمن الجسر لكل آماله ، انه يرى فى هذه الثورة رد اعتبار لما حدث من السوريين فى دمشق فى سبتمبر عام ١٩٦١ . انه يرى فى ثورة اليمن رد اعتبار شخصى له من شماتة الرئيس العراقى اللواء عبد الكريم قاسم ، انه يرى فى هـذه الطائرات الثلاث رد اعتبـار له فى مساعدة الأردن للمتآمرين على نظام الجمهورية العربية المتحدة فى الاقليم

الشمالى . انه يرى فى هذه الطائرات الثلاث تقريب المسافة اكثر : واكثر بينه وبين الشارع العربى فى كل مكان من الوطن العربى .

ثم تمضى أيام — زوجى العزيز — الا وطائرات نقل معدات تصل — أيضا الى مطار القاهرة وهذه الطائرات من سلاح الطيران السعودى ، وكانت تحمل ذخائر الى الخارجين عن الجمهورية على الحدود اليمنية وبدلا من تحمل هذه المؤن لهم ، غيرت مسارها فى الطريق الى القاهرة ، وقد ادى هذا الى توقف نشاط سلاح الطيران السعودى .

أليست هذه انتصارات يحققها قائد هذا الشعب ، ان القائد الآن يعيش اعلى لحظات انتصاراته وخاصة بعد كارثة الانفصال فى العام الماضى .

زوجى العزيز ..

هذه هى الصورة الاعلامية الا أن هناك مناقشة دارت بين الرئيس جمال عبد الناصر ، والسيد كمال الدين حسين لا يعرفها الا القليل فى اجتماع مجلس الوزراء .. بدأ الرئيس جمال عبد الناصر يتحدث عن التدخل العسكرى فى اليمن .. وكان يتحدث بنشوة ، ما بعدها نشوة ، وعلى يمينه يجلس المشير اركانحرب عبد الحكيم عامر .. وكان كمال الدين حسين ينظر الى الأوراق التى أمامه دون أن ينظر للرئيس عبد الناصر .. وكانه لا يعير له انتباها ..

فسأله عبد الناصر ..

— مالك يا كمال ؟

وسكت كمال الدين حسين .

فواصل الرئيس جمال عبد الناصر حديثه .. تكلم يا كمال .. سمعت انك تعارض دخولنا فى اليمن .

— أيوه يا ريس .. انا رايى ..

وقاطعه الرئيس جمال عبد الناصر ..

— ومن امتى بقالك راى ..

فرد كمال الدين حسين :

— والله انا شايف ان البلد بتغرق وانا محسوب من اللى بيقودوا البلد .

فرد عليه الرئيس جمال عبد الناصر :

ـــ اسمع يا كمال .. روح شوف الأول انت عملت ايه فى التعليم ..
وبعدين تعال اعترض .. انت يظهر تعبان .. وأنا من رأيى انك تستريح شوية .

فرد كمال الدين حسين قائلا الرئيس جمال عبد الناصر ..

ـــ انا فعلا تعبان .. البلد ما تتحملش مصاريف أكتر فى اليمن ..
احنا بنينا الجيش عشان يحارب اليهود .. مش عشان يغزو اليمن ..
احنا مالنا ومال اليمن .. احنا صرفنا دم قلبنا فى سورية .. ودى كانت النتيجة .. الانفصال .. ولا يجوز أن دم اولادنا يهدر على جبال اليمن .

فرد عليه الرئيس جمال عبد الناصر :

ـــ الله .. ده انت بعت تعرف فى السياسة .. وبقيت زعيم ..

ونظر الرئيس جمال عبد الناصر لسيادة المشير عبد الحكيم عامر .. وقال له :

ـــ كمال بقى سياسى يا عبد الحكيم .. فى ذمتك الراجل ده مش تعب .. ومن حقه أن يستريح شوية .

ثم نظر جمال عبد الناصر الى كمال الدين حسين .. وقال :

ـــ أنا شايف أن الاجتماع ينتهى فورا لأن كمال الدين حسين تعبان .. ولازم يستريح ..

وخرج الرئيس جمال عبد الناصر من الاجتماع وخلفه المشير عبد الحكيم عامر .. ثم بقية الأعضاء ..

وفور وصول كمال الدين حسين بيته ، طلب منه السفر الى الاسكندرية وهناك حددت اقامته لوقت وهو لا يدرى متى يصفح عنه الرئيس جمال عبد الناصر .. انه يعيش ذليلا فى الاسكندرية وكأنه لم يكن عضوا فى مجلس قيادة الثورة .

وانتهت معارضة دخول القوات المصرية الى اليمن .

ودخولنا عسكريا فى اليمن لم يعد سرا ، لم تنشر ارقام الا انه يبدو **ان كل أسرة فى مصر قدمت جنديا موجود الآن فى اليمن .**

والآن . . أريد أن اهمس فى أذنك بأمر خطير . ان من تقول ـــ مالنا ومال اليمن ـــ يزار فى الفجر ولا أحد يعرف طريقه ، ان أحد أقربائك قد

اعترض على ارسال قوات فى اليمن ، فى جلسة خاصة جدا ، وجاء رجال المخابرات فى الصباح وأخذوه الى أين .. لا أحد يدرى ؟

ان أحد أقربائى فى القصر الجمهورى يأتى لى بأسرار عجيبة ، اسرار تكاد تكون أغرب من الخيال ..

وليس سرا أن كل القوة السعودية أصبحت فى يد ولى العهد ، الأمير فيصل بن عبد العزيز شقيق الملك سعود وكما قلت انه بعد أن اتضح للرئيس جمال عبد الناصر الاصرار السعودى على ضرب ثورة اليمن قرر أن يضرب بالطائرات كل الاماكن العسكرية والاستراتيجية الموجودة داخل المملكة العربية السعودية ، بل ان اذاعة القاهرة أذاعت مثل هذا النبأ ان أسئلة كثيرة قد تبادرت الى ذهنى عقب سماعى هذا النبأ .. هل نبنى مصر ؟ ، وتكون نموذجا لما يرجوه الوطن العربى ، أم تصدر الثورة الى الخارج ؟

ثم سؤال آخر قد راودنى ، هل فى امكانية هذا الشعب أن يقدم كل شىء حتى الدم فى سبيل كل هذه المعارك ؟

ان ريفنا حتى هذه اللحظة لم تصله مياه الشرب النقية .

ان ريفنا حتى هذه اللحظة يشرب الماء الممزوج بالبلهارسيا .

ان شبابنا حتى هذه اللحظة يتقاضون مبالغ لا قيمة لها بالنسبة لكافة الدول العربية بما فى ذلك اليمن .

انى أسمع أن هناك يوميا ما لا يقل عن مليونين من الجنيهات تصرف فى اليمن . هل تعرف معنى مليونى جنيه يوميا بالنسبة لمصر . معناه أن عشرة قرى مصرية يدخلها الحياة . ومعنى ذلك أن حرب اليمن لو استمرت عام واحد فقط فمعنى ذلك أن هذا الشعب قد خسر كهربة كل الريف ، وادخال الماء النظيف والكهرباء فى كل بيت ..

نحن — يا زوجى — فى حاجة الى كل ما ينفق فى اليمن . فى حاجة اليه ليجعل من مصر اطلالة على القرن الواحد والعشرين ، لا ينقصنا شىء ..

الرؤوس المفكرة لدينا ، الدخل القومى لدينا ، التعداد الكبير لدينا ، الحضارة القديمة لدينا ، حبنا للحياة العصرية لدينا لا ينقصنا الا أن نبنى مصر ، لا أدرى يا زوجى العزيز الى متى سنظل نحارب ، نريد لحظة سلام

نلتقط أنفاسنا ، ونبنى بلدنا ، اننى أشعر اننا ننظر الى خارج الحدود قبل ان نرتب البيت المصرى ، اننا نحاول أن نفرض ترتيبنا على كل البيوت ، وبيتنا فى حاجة الى ترتيب ..

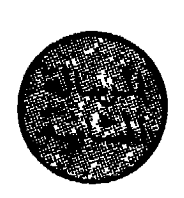
انى أعرف مدى ارتباطك بشخصية الزعيم ، وهكذا كل دول العالم الثالث ، أنا لا ارميك بالجهل اطلاقا ، أنا فقط قد درست الشخصية الانسانية واستطيع أن اراقبها عن كثب .. أن مصر فى نظر العالم — أو هكذا يبدو — عملاقة ، ولكن المصريين أصبحوا فى داخلها أقزاما ، ان مصر ظلت عبر القرون عملاقة ،لأن من بداخلها عمالقة ..

زوجى العزيز ..

هل لى فى نهاية هذه الرسالة اتحدث عن أمورى الخاصة ، ولا أعتقد أنها خاصة بى وحدى بل ربما بكل زوجة لها رجل فى اليمن .

اننى أشعر بوحدة قاتلة ، البيت هنا قاسى ، وانتظارى لك أرهق أعصابى ، لذلك فسوف اذهب للاقامة عند والدك حتى تعود ، ان زوارى هم الأسرة ، سواء كانت أسرتى أو اسرتك ، واحيانا نقضى امسيات مضحكة بين والدى العجوز الذى ينتقد النظام بقسوة ، ووالدك الذى يؤيد النظام بعفوية .. ويستمر النقاش وتنتهى الليلة واعود الى مخدعى وحدى فى انتظارك .

زوجتك



١٠ ديسمبر ١٩٦٢

زوجتى العزيزة ..

وصلتنى رسالة التشكيك فى أمر وجودنا فى اليمن . ويبدو اننا ننتمى لمجتمعين مختلفين ، ولذلك فان مبادئنا ستظل مختلفة ، أنا ابن فلاح من مصر ، ذاق الذل والهوان قبل ثورة يوليو ، وانت ابنة بقايا مجتمع سقط ، سأجعل رسالتى هذه عن الأسباب التى دفعتنا لمعركة اليمن ، وقبل ان ادخل فى هذه التفاصيل اقر ان شبابا فى عمر الزهور قد دفنوا فى اليمن ، ولكنهم كانوا بذورا لشجرة سوف تعلو فى اليمن ..

ان مصر العزيزة محاصرة من كل اتجاه ، والمعارضين للثورة قد اقتربوا من ضربها .. وضرب قائد الثورة ..

ان ذيول مؤتمر شتورا فى لبنان بين الوفد العربى والوفد السورى قد أثبت عنفوان الثورة المضادة حتى أنها هزمت الفارس عبد الناصر فى هذا المؤتمر .

ان ليبيا فى غرب مصر تقف من هذه الثورة موقفا حازما ضدها ، وتعتبر جدارا لانحسار الثورة المصرية .

ان السودان فى الجنوب لا تتفق اطلاقا مع الثورة المصرية .

ان اسرائيل فى الشرق ترى فى جمال عبد الناصر الخطر الأوحد عليها ..

ان المملكة العربية السعودية على خلاف كبير مع الزعيم . خلاف وصل الى حد القتال .

ان ملك الأردن قد استطاع أن ينهى الوجود الناصرى من ســـوريا بالانفصـــال .

ان اللواء عــد الكريم قاسم فى العراق قد خصص ميزانية كاملة لهــدم الزعيم جمال عبد الناصر .

ان الرئيس الحبيب بورقيبة فى تونس ، يهاجم علنا سياسة الثورة وزعيمها .

أن المغرب يرى فى وجود عبد الناصر خطــر عليه وهو على بعد آلاف الأميال من القاهرة ..

وسط هذا الحصار جاءت ثورة اليمن لتسقط بقيامها جدران العزلة المفروضة على الثورة المصرية .

وكان لا بد أن نذهب الى اليمن ، وكان لا بد أن نقاتل ونستشهد فوق جبالها وفى الوديان والصحارى وان هذا سيكلف كثيرا ، فى الأرواح والمال ، ولكن مصر على مر التاريخ تعطى بلا حدود ، وهذا سر عظمتها .

فما بالك باليمن ، ولنا مع اليمن تاريخ قديم .. واسمعى جانب من هذا التاريخ .

ـــ أهل اليمن هم الذين اشتركوا فى الفتح الاسلامى لمصر ، وبعضهم ظل فى مصر وعلى مر السنين هاجــر الكثير من اهل اليمن الى مصر ، واستطيع أن أدلك على مناطق استيطانهم فى الاراضى المصرية .

ـــ فى المنيا واسيوط ومنفلوط قبائل بنو جهم .

ـــ بين الجيزة واسيوط يسكن بنى خزاعة وهم الانصار (الأوس والخزرج) ، وكانوا قد هاجروا الى يثرب .

ـــ المدينة المنورة ـ بنى خولان فى الميناء ، وزبد وسالم وطى ، وعامر، وعبس ، وعبيد ومالك وغيرهم وكلهم منتشرون فى كل مكان من الأرض المصرية .

فى سبتمبر عام ١٩٤٥ م وقعت فى الاسكندرية معاهدة صداقة بين مصر واليمن ، وقعها عن الجانب المصرى ونيابة عن ملك مصر عبد الحميد بدوى وزير الخارجية فى ذلك الوقت ، وعن ملك اليمن عبــد الله يحيى ، وتنص المادة الأولى من هذه المعاهدة ، يحافظ كل من الطرفين المتعاقدين على حسن العلاقات بينهما وبوثق أواصر المودة والصداقة التى تربط رعاياها برعاية الطرف الآخر .

— فى أبريل ١٩٥٦ م ، وقع اتفاق ثلاثى بين مصر واليمن والسعودية لزيادة تقوية العلاقات بين الدول الثلاث فى كل المجالات ، ولو عدت الى هذا التاريخ ستجدين ثلاث توقيعات عن مصر جمال عبد الناصر ، عن السعودية الملك سعود ، عن اليمن الامام أحمد حميد الدين .

— فى مارس ١٩٥٨ وقع الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، والبدر ميثاق اتحاد الدول العربية ، وكان البدر ينوب عن والده فى توقيع الاتفاق .

لست أذيع عليك أسرارا عن اليمن ، أن الامام البدر كان يعتبر نفسه ناصريا ، وكان يقول — كما سمعت هنا فى اليمن — انه صديق حميم للرئيس جمال عبد الناصر ، وانه يعتبر تلميذا من تلاميذ الزعيم ، وليس سرا انه فى احدى زياراته للاردن قبل وفاة والده ، أمر الملك حسين بوضع بعض كبار ضباط الجيش الأردنى مرافقين له ، وتوطدت علاقة البدر بهم ، حتى انه طلب منهم الاطاحة بالنظام الملكى فى الأردن ، وذهب الضباط الى الملك حسين وأبلغوه حديث ولى عهد اليمن — فى ذلك الوقت — وهنا عاتب الملك جمال عبد الناصر على حديث ولى العهد اليمنى بصفته صديقه .

وفى عام ١٩٥٩ ، كان هناك لقاء ثانى بين الزعيم جمال عبد الناصر والامام احمد فى بورسعيد ، كان الامام قادما من ايطاليا بعد علاج استمر عدة أشهر فى طريقه الى اليمن ، وذهب الرئيس جمال عبد الناصر الى بور سعيد حيث تم بين الاثنين على ظهر المركب (لقاء تاريخى) .

زوجتى ..

أنا أعرف أفكارك وأستطيع الرد عليها ، علاقة كانت قائمة بين سلطة الثورة ، وسلطة الامام ، فكيف يقوم عبد الناصر بمساعدة الثورة التى انقلبت على سلطة الامام ؟ .

وردى عليك .. انه عقب الانفصال ، وكان عبد الناصر حريصا ، متألما من جراح الانفصال ، اذاع راديو صنعاء قصيدة من ستة أبيات يهاجم فيها الامام عبد الناصر والوحدة ، وقد تكون أول مرة فى التاريخ أن تنقل وكالات الأنباء أبيات شعر عاجلة ، لتوزيعها على جميع أنحاء العالم .

اذن .. من هو الذى انقض على الآخر .. ليس عبد الناصر هو الذي انقض على الامام .. اقول لك هذا حتى لا تعودى لتسألى مرة أخرى .

انا ناصرى .. وارجو أن تساعدينى انت على ذلك فالحقيقة اننى أجتاز مرحلة نفسية سيئة ، وارجو اذا تحدثت معك فيها أن لا تهاجمينى من خلال هذه الحقيقة ..

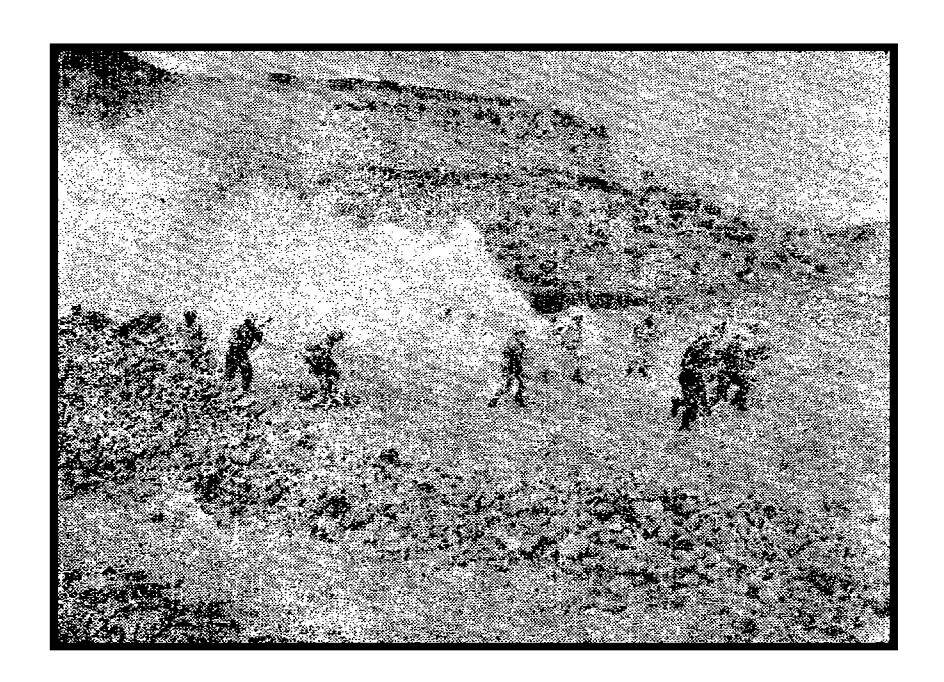
زوجتى العزيزة ..

كما تعلمين ــ كنت أول من وضع قدمه على أرض اليمن ــ وذهبنا الى قيادة العملية ۹۰۰۰ ، وهـذا اسمها فلكل عملية عسكرية اسم ورقم ، وتم توزيعنا ، ثم اعيد التوزيع فى الأسبوع الماضى بشكل جيد ، وعلى ضوء احداث اليمن الدامية .

لم يعد أمر وجودنا سرا فى اليمن ، العالم كله الآن يتحدث عن الوجود المصرى فى اليمن ، لقد أقيم جسرا جويا وبحريا بين مصر واليمن ، هذا الجسر ينقل يوميا مئات الجنود ومئات الأنواع من الأسلحة ، وأصبح هنا ثلاث قيادات ، قيادة الطيران ، وقيادة الجيش ، وقيادة البحرية ، وكلها تعمل تحت امرة قائد العملية ۹۰۰۰ .

انا فى صنعاء ــ زوجتى ــ محاصر منذ الاسبوع الأول لقيام الثورة ، اننا محاصرون حتى هذه اللحظة أن العدو قد ركب الجبال المحيطة بصنعاء وهو يطلق النار بصفة دائما من أسلحة خفيفة ولو أن لديه أسـلحة ثقيلة لسقطت صنعاء ، وثوار اليمن قد تركوا الدفاع عن ثورتهم للقوات المصرية تماما ، ان ما ينقذنا بعض الشيء الطائرات القاذفة التى وصلت الى الحديدة ، فهى تقوم من هناك تضرب العدو على الجبـال فى محـاولة لفك الحصـار .

لا اخفيك سرا ، اننى قضيت ليالى سوداء فى هذه المدينة التعيسةنتوقع الموت بين لحظة واخرى ، فلقد استطاع العدو منذ ايام أن يدخل صنعاء بمجموعة صغيرة من قواته ، ولكن هـذه المجموعة اثارت الرعب فى كل القوات ، فلقد اكتشفنا فى صباح يوم تعيس ، وفى احد المواقع داخل هذه العاصمة التعيسة ، رجالا بلا رؤوس لقد حزنت من هذا المستوى حتى اليوم ، كيف يذبح رجل رجلا آخر ، كيف يخرج خنجرا من غمده ويكون لديه القدرة على أن ينقض على رجل نائم ويفصل رأسه عن جسده ، ثم يأخذ الرأس الى مكان لا نعلمه ، وماذا فعلوا هؤلاء الرجال حتى يذبحوا ..



معارك ضارية .. منذ وصول قواتنا الى اليمن



جنودنا حول صنعاء .. فترة راحة من القتال

زوجتى ..

لقد جمعنا جثثهم التى بلا رؤوس ، وحفرنا لهم حفرة وقمنا بدفنهم فيها ، ربما تكون هذه نواة مقابر زهورنا من الشهداء التى ستدفن فى اليمن .

أنا لا أخاف الموت ، ولكنى أرفض رفضا باتا العثور على جثتى بلا رأس فى اليمن ، وعلى بعد آلاف الأميال من مسقطها .

زوجتى ..

لن أكذب عليك .. سأقول لك دوما الصدق كله .. لقد كان المشهد قاسيا علينا ، وزاد الحصار ، فاجتمعنا فى قيادة العملية .. نسأل .. ماذا نفعل ان لم يفك الحصار ..

وقررنا ان نجتمع فى مراكز قوية وحراسة شديدة ..

وطلبنا من رجال الثورة فى اليمن البحث عن القتلة .. ولكنهم أيضا مثلنا يخافون على رؤوسهم .

وتقدمت من القائد .. وقلت له :

سيدى بعد شهور من وجودى هنا .. لم أعد أعرف العدو من الصديق، ولا أدرى ما اذا كنت سأموت مذبوحا ومختفى الرأس ، أو مسموما ، أو بخنجر فى ظهرى ..

وسكت القائد .

وتقدم زميل آخر .. وسأل القائد ..

ـ ماذا لو هجم العدو واستطاع أن يصل الينا فى صنعاء ؟ .

وعلى الفور وضعت يدى على رقبتى ، وتخيلت خنجرا ينزعها ،وتصورت الجميع يضغطون أيديهم على رقبتهم ، وبرزت العيون بحثا لاجابة هذا السؤال .. وساد صمت رهيب ..

قال القائد :

نحاول الهرب الى عدن !!

والانجليز .. نعم أنهم عدونا الحقيقى ، ليس فى ذلك شك ، ولكن كان لدى القائد قناعة بأن الانجليز لن يفصلوا رؤوسنا عن أجسادنا ، ربما تكون عرضة لعدسات الصحافة والتليفزيون ، وربما تفصل رؤوسنا عن أجسادنا فى سجون مصر ، ولكننا جميعا بلا استثناء نرفض شكل رؤوسنا وهى منفصلة فى اليمن .

برغم كل ما سبق ، لست أريد أن أقول اننى رافض لهذا الوجـود فى اليمن ، انك لو كنت مكانى لفعلت المستحيل لكى تحمى شعبا انهكه الظلام والقسوة والاستبداد ، ولست أقول لك اننا سوف نخرجه من هـــذه الظلمـــات ، ولكن الظــــلام فى اليمن كثيف ، يحتاج الى سنوات حتى تبزغ فجرا جديدا حقيقيا ، أنه من الصعب ، بل من المستحيل أن ينقل هذا الشعب من قرون ما قبل الميلاد أو العصور الوسطى الى القرن العشرين مرة واحدة ، نحن نمثل مرحلة فقط ، ولكنها بالتأكيد أروع المراحل ، نحن ندفع الثمن ، ربما يكون باهظا ، ربما يكون أكثر مما ينبغى . ولكن مصر هى الأم .. الأم العربية .. وعليها ان تسهر وتعطى .. وتقدم .

والآن .. ما هو موقفنا العسكرى .. وما هى احتمالات المستقبل ..

لا ادرى .. لدى قناعة غير حسابية بأننا لن نذهب الى عدن .. وان هذا الحصار سوف ينفك عن صنعاء .. فلا اتصــور أن ســيادة الرئيس جمال عبد الناصر قد يوافق على الهزيمة فى صنعاء .. وانه سيضع كل امكانياته فى سبيل انقاذ العاصمة .. لقد هرب الامام .. ســيرا على الأقدام حتى وصل المملكة العربية السعودية .. واذاع راديو عمان فى ١٥ أكتوبر ١٩٦٢ ــ الماضى ــ رسالة من الامام البدر الى الملك حسين ملك الأردن .

وكان ابن عمه الامير حسن ، والذى يمثل اليمن فى الأمم المتحده ، قد طار من نيويورك الى لندن الى الخرطوم الى جدة ، واعلن نفسه اماماً خلفا لما كان قد أعلن عن موت الأمير البدر ..

وتجمعت أسرة حميد الدين فى المملكة العربية السعودية ، وتنازل الأمير حسن عن الامامية للامير البدر ، وقرروا شن حرب شعواء على اليمن والوجود المصرى فى اليمن ، وتكونت قوات من القبائل قوامها أكثر من ٢٠ الف مقاتل بالتشكل التالى :

شرق اليمن ، يقـود القـوات الملكية الأمير حسن ــ الذى عاد من نيويورك .

بالقرب من مدينة صعده ، يقود الامام البدر القوات الأخرى :

الأمير عبد الله حسين ، استطاع ان يتواجد في منطقة الجوف ، هو الذى يحاصر صنعاء .

فى حريب قوات بقيادة الأمير عبد الله اسماعيل . وهذه القوات تستعد الآن لخوض معركة للوصول الى صنعاء ..

ففى العاشر من نوفمبر الماضى ، أعلن الامام البدر أنه سوف يتجه بقواته الى صنعاء ، وتعز والحديدة لاسقاط الجمهوريين ، وان هذا سوف يتم خلال ثلاثة أسابيع أو أكثر .

والمملكة العربية السعودية تقدم لهم كافة المعونات وخاصة الجنيهات الذهبية ، وحكومة المنفى الملكية اليمنية تعيش الآن فى المملكة العربية السعودية ، وأصبحنا الآن أمام صراع عسكرى وصراع مادى ، صراع عسكرى حيث تم تسليح القوات الملكية بأسلحة جديدة ، وصراع مادى حيث أن الجنيهات الذهبية التى تقدمها السعودية للقبائل لا تعد ولا تحصى المهم أن يسقط النظام فى صنعاء .

لقد اتخذوا من نجران بالأراضى السعودية ، والقريبة من حدود اليمن مقرا سياسيا وعسكريا لهم ، واننا نتوقع هجوم كبير على المدن الثلاث ، صنعاء ، الحديدة ، تعز ، واذا اقاموا قبل وصول بقية القوات فانهم قد يحرزون تقدما وخاصة فى تعز والحديدة ، وها هى صنعاء محاصرة .

ان السكان فى مدينة تعز فى خوف شديد من الهجوم المرتقب من القبائل ، فانهم شوافع ، والقبائل من الزيود ، التركيبة اليمنية غريبة ، الزيود رجال القتال ، والخطاط ، والشوافع رجل الزراعة والتجارة والاستقرار ، ولذلك فان معظم الشوافع ، أو الغالبية العظمى تسكن السهول الزراعية ، والزيود يسكنون الشمال الجبلى العنيف ، الزيود مسلحون منذ القدم ، والشوافع مستقرون منذ القدم أيضا . وكانوا على مر التاريخ موضع خطاط القبائل الزيدية عليهم ، ومعنى ذلك أن هناك

آلاف من القتلى وان على الشوافع أن يقدموا للقبيلة كل ما يملكون من مال وغذاء ونساء .. كل شيء حتى ترحل القبيلة ..

وكثيرا ما استخدم هذا الأسلوب الامام ، أى ، فى تاديب الشوافع .

زوجتى ..

منذ الحصار ، وذلك المطار القريب الذى تحدثت معك عنه ، نشهد كل يوم عدد من الطائرات الأنتينوف الضخمة تحمل السلاح والغذاء والرجال وعلى الفور يتخذون مواقعهم حول صنعاء ، للرد على القوات الملكية التى تحاول اقتحام العاصمة .

اننا بعد حادثة الرؤوس المسروقة من على أجساد الجنود ، ونحن نضع حول صنعاء نقط قوية . وان سبب هذا الحصار ان قوات العاصمة قد خرجت منها للشمال للسيطرة على مدينة صعدا بالقرب من الحدود السعودية وقوات أخرى ذهبت الى الجبل الاسود للسيطرة عليه حتى لا يسقط فى ايدى الملكيين ، وقوات فى الطريق الى مارب ، وهذه القوات قد تركت العاصمة مكشوفة ، بل ان هذه القوات هى ايضا مكشوفة لأنها قوات صغيرة ، وطرق امدادها وتموينها عسيرة فى اليمن ، ولذلك فانى اتوقع لكى يفك حصار صنعاء ، والحصار المضروب على بعض القوات فى الشمال يحتاج الى نصف الجيش المصرى أن يصل الى اليمن لتكون هناك شبكة طرق فى حماية القوات المصرية ، تصل بين كافة المواقع ، تمدها بالرجال والسلاح والمؤن والعتاد .

ان الطائرات القاذفة المصرية تلعب دورا رئيسا فى هذه الحرب ، انها تنطلق كل يوم من الحديدة وتعز ، وصنعاء ، وتضرب تجمعات العدو التى تحاصر القوات المصرية فى كثير من المواقع ، ولست أخفى عليك أمرا ان بعض القوات لا ندرى عنها شيئا فان شبكة الاتصال ضعيفة الى حد كبير ، بسبب أجهزة اللاسلكى التى اشتريناها من الاتحاد السوفياتى ، انها أجهزة ضخمة ورديئة التوصيل ، وكثيرة العطب ، لا ندرى ما اذا كانت هذه القوات قد حوصرت ، أو دفنت فى أرض اليمن .

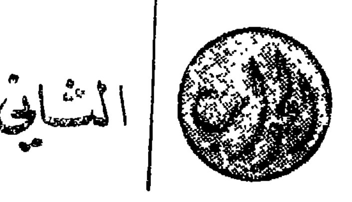
وليس سرا ما اقوله لك ان مواقع تموين الملكيين ، موجودة فى جيزان ونجران فى السعودية ، وربما غدا تصل الى الشاطىء السعودى قادمة من الحديدة ، مدمرة مصرية لتدك جيزان بمن فيها ، وان هذه العملية ستتم فى الفجر ، ونجران سوف تقوم طائرات قاذفة من القاهرة واسمها ت بو ١٦ ، وسوف تدمر قيادة الملكيين فى نجران ، ان هذا اقتراح من قائد العملية ....٩ الى القيادة فى القاهرة .

ووصلت اليوم الموافقة على قيام البحرية بهذا العمل وأخطر أن الطائرات القاذفة الطويلة المدى سوف تضرب غدا صباحا مركز قيادة الملكيين فى نجران ، وبهذا فقط سوف يخف الضغط على القوات المصرية الموجودة فى اليمن .

ولقد تحركت أمس قوات كبيرة من الحديدة برا على الطريق الصينى الذى يربط العاصمة بالميناء ونضع أملا كبيرا على هذه القوات فى فك الحصار .

لا أدرى .. الى متى سنظل فى اليمن ، ان صورة الوجود فى اليمن طويلة فاذا عرفت ما نحتاجه من قوات ، سوف تعلمين الى أى مدى سنبقى فى اليمن ، فلو وصلت كل هذه القوات ، فانها تحتاج الى شهور قتال ، ثم شهور عودة .. وهذه هى مشكلتنا فى اليمن .

زوجك



القاهرة فى أول يناير ١٩٦٣ م

زوجى العزيز ..

أنا أيضا بشر ، وزوجة مقاتل . وأعيش المسكلة بكل تفاصيلها ، واسمع كل اذاعات العالم . التقى بزوجات كبار المسؤلين . لعلنى أعرف متى تتوقف حرب اليمن ؟

اقول متى تتوقف حرب اليمن ، لانى كزوجة فى حاجة الى زوجها ولان الخطاب الثانى الذى وصلنى منك يؤكد أن فى اليمن حرب حقيقية . بدأت بعدد من الجنود . ولا احد يدرى بكم سوف تنتهى ..

واشم من رائحة خطابك ، ومن بين السطور . أن القوات المصرية وحدها بلا مساعدة من ثوار اليمن ، وانهم الذين يحاربون . وهم الذين يدفنون فى تراب اليمن . وهم الذين سينتصرون أو يهزمون .. هم « جنودنا فى اليمن » ..

لماذا كل ذلك الذى يحدث فى اليمن ؟ ..

لماذا انت محاصر فى صنعاء .. ونحن محاصرون فى مصر ؟

.. لماذا ندفن زهور شبابنا فى اليمن . ونحن فى حاجة اليهم فى النهوض بالشعب فى مصر ؟

انى لا اثقل عليك بالأسئلة ، وانى لا أريد أن أضعك فى موضع المتهم . ولكنى أرجو أن تقدر موقف زوجة تعيش وحدها فى بيتها بالقاهرة ، وزوجها الذى احبها واحبته يعيش محاصرا فى بلد بعيد . لأهداف غير مقنعة ، وقد يعود .. ولكن متى ؟ .. وقد يدفن فى اليمن ؟ ..

أرجو أن تقدر موقفى واكاد أن أقول لك اننى اتخيل الأجهزة تنام معى فى السرير خوفا من أن أبوح برفضى لحرب اليمن ..

محاور .. وطائرات .. ومواقع .. ومدافع .. وكنا نتصور فى البداية ان الاذاعة تحتاج الى حراسة لكى تستمر ثورة اليمن .

اننا نعيش فى مصر اسود أيام حياتنا ، اذا نظرت للوجوه تجدها وجوه بلا حياة ، وكان كل الناس قد ارتدوا رؤوسا من الحجارة ، انك اذا نظرت فى هذه الوجوه ستجدها رافضة بصمت رهيب لهذه الحرب القذرة .

لماذا ؟ .. لأننا فى حاجة الى كل ما ينفق على الصراع فى اليمن ؟ ..

لو أن ما نفق على رفاهية وتقدم اى شعب يختاره ، الشعب المصرى أو الشعب اليمنى الم يكن هذا يدفعه الى الأمام سنوات .. أنا ضد القتال ومع السلام .. ففى ظل السلام يتقدم الناس ، وفى ظل القتال تباد حضارات .. ولا أريد لحضارة مصر .. وقدرتها على التقدم أن تتوقف بسبب الحرب فى اليمن ..

الخبز اشتد سوادا فى مصر كأيامها ..

الأرز لا نجده فى الأسواق حتى لو كنت تملك ثمنه ..

وقد قال الرئيس جمال عبد الناصر حلا لهذه المشكلة أن سكان الصعيد عليهم أن يأكلوا « الفريك » . وسكان وجه بحرى يأكلون المكرونة !!

نحن نتعاقد على « تراب الشاى » ليقدم فى أكياس قذرة للناس .. وبأسعار خيالية ..

نحن الذين عشنا التاريخ فى تقدم ورفاهية ، نعيش اليوم أسرى ترضى عنه السلطة ، السلطة حاقدة لا ترضى لهذا الشعب الرفاهية .

استمر فى القتال زوجى العزيز .. فلو عدت منتصرا لن اقول انك بطل ... ولو عدت منهزما لن أقول انك هزمت .. وان لم تعد فهذه كل

المأساة .. أريدك بطلا شـــهيدا على النراب الفلسطينى .. أريدك تدفع عملية التقدم فى مصر .. ولا أريدك جثة فى اليمن .

أنا .. كزوجة فى حاجـة اليك .. وتشتد حاجتى لك وانت فى اليمن .. لأنك لو عدت أو حتى اسـتمر قتالك فى اليمن .. فلن يعود بفـائدة عليك أو على أسرتك . وقبل كل ذلك بلدك .

أنا اعرف أن هناك عدة آلاف فى السجون اعترضوا على حرب اليمن .

أنا أعرف أن القيادة العامة فى مصر قد أعدت أهدافا فى المملكة العربية السعودية لضربهـا .. وهذه الأهداف هى الاذاعة فى جـدة والرياض .. معسكرات الجيش السعودى ، والقصور الملكية .. وانهم جادون فى ذلك .. وعندما جاءت ساعة الصفر .. عرفت المخابرات الأمريكية .. فأرسل جون كينيدى رسالة شديدة اللهجة للرئيس جمال عبد الناصر ، وحذره من التدخل الأمريكى لحمـاية المملكة العربيـة السـعودية من الطـائرات المصرية ..

وأعلم ما لا تريد أن تقوله لى عن « حرب الطيران » فى اليمن ، أعلم ـ زوجى العزيز ـ ان الطائرات طويلة المدى تقلع يوميا من القاهرة وتضرب نجران وجيزان فى السعودية ، وتضرب بعض القرى الجنوبية للسعودية ، وتضرب قرى اليمن وتعود .

وأعلم ان البحرية تضرب بقسوة السـاحل الجنوبى للمملكة العربيـة السـعودية ..

وانت قد اخفيت فى رسالتك ، « حرب الطيران » .

هل تعلم عدد الجنـود الذين رحـلوا الى اليمن ، انهم الآن ، فى بداية هذا العام قد وصلوا الى ٣٠ ألف من شـبابنا ، لم يحاربوا من قبل فى الجبال لقد كنت فى المطار مع زوجة مقاتل متجه الى اليمن ، وشاهدتهم ، شاهدت شباب مصر المخدوعين وهم يتجهون الى الطائرات .. انهم سعداء لأنهم لا يعلمون .. سعداء بما قيل لهم عن المبادىء وحماية ثورة ، وتقدم شعب ، ولكنهم لا يعلمون حـكاية الأجســاد بلا رؤوس ، لا يعلمون من يحاربون ، سـعداء بأنهم سيسافرون الى الخارج لشراء بعض مما حرموا منه ، وكانوا يصنعونه بأيديهم من قبل .

وعندما شاهدت هؤلاء .. تذكرت مشـهدا آخر .. طابور صندوق المعاشات فى وزارة الحربية .. لأرامل الشـهداء .. انه طابور طويل ..

نســـاء فى عمــر الزهور يرتدين السواد .. ويقفون فى طابور لاســتلام معاشاتهم ..

شهداء عام ١٩٥٦ ..

شهداء الجزائر .. وهم قلة ..

شهداء اليمن .. وهم الى الآن قلة .

واشعر بأننى قد أكون واحدة من الواقفات فى هذا الطابور ..

تقول فى رسالتك ــ وهذا قد أحزننى ــ اننا ننتمى لمجتمعين مختلفين انت ناصرى ، وانا بقايا مجتمع سقط بالناصرية ..

أبدا ــ زوجى ــ والدى كان موظفا كبيرا ، يملك بيتا من ثلاث طـوابق يدر عليه هذا البيت ٨٠ جنيها فى الشهر بالاضافة الى مرتبه ، فيجعلنـا نعيش فى « بحبوحة » ، من هذا كان والدى لا يعترض على العمل الناجح الذى تقوم به ثورة مصر ، وكان ينتقد بشدة اى فســـاد ، لأنه كان يريد لهذه الثورة أن تحقق أهداف قيامهـــا ، كان يبـــدى الراى فى مجالس خاصة ، لأنه شجاع ، ولأنه من المثقفين ، ولأنه يستطيع أن يعيش بمعاشه ودخل هذا البيت الصغير ، فوالدى ــ ان كنت لا تعلم ــ ليس اقطـاعيا ، ولا رأسماليا ، ولا مستغلا .. انما له دخل « ٨٠ جنيها » كل شـــهر من بيت صغير .. ووصل الى الأجهزة انتقـــادات والدى .. فوضع البيت تحت الحراسة ، وفصل من عمله ، وحقق معـــه ساعات طويلة فى مبنى المخابرات العامة بالقرب من القصر الجمهورى بالقبة . وخرج مندهشا ، أنه لم يعــد لانقــلاب ، وانه لم يشترك فى مؤامرة ، أنه فقط أبدى رأيه فى امر ما .. أنه تكلم فى جلسة مغلقة .. انه رفع قامتــه قليــلا .. فأصبح الآن مراقب .. وأصبحت انت تقول انه ينتمى لمجتمع سقط .

ان والدى يوم قامت الثـــورة ، وكان لا يعلم ما اذا كانت ستنجح أو تفشل أرسل رسالة تأييد لها ، ولكنه كان يناقش الأمور من قاعدة الثورة نفسها وليس انقلابا عليها ، فنكلت به المخابرات ، ووصل الأمر الى حــد قطع لقمة الخــبز ..

ليس والدى هو الوحيـــد فى مصر ، انه مثل الآلاف يحدث لهم اليوم ذلك ، ان الرئيس جمال عبد الناصر كما سمعت يريد أن يخرج من اليمن ولكن كيف ؟ ..

هذا هو السؤال .

أنا لا أذيع لك سرا جديدا ، فان الرئيس جمال عبد الناصر قد التقى بالسيد محمد أحمد محجوب الوزير السوداني ، وقال له أنه تورط في هذه الحرب ، وانه يريد ان يخرج منها بشيء من الكرامة ، وطلب منه التوسط لدى المملكة العربية السعودية للتوصل لصيغة للخروج ..

ولكن الدكتور محمود فوزى له رأى آخر ، لقد قاله في جلسة خاصة حول الخروج من اليمن ، بأن السعودية لن توافق على صيغة للخروج ؛ لأن مصر سوف يتم تدميرها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا في اليمن ، القتال في هذا المكان لمدة سنوات ، وعبد الناصر لن يستطيع الخروج مهزوما تماما من اليمن ، وهذه هي المعادلة الصعبة .

أمريكا تقدم للسعودية السلاح الحديث الذى تحارب به القوات المصرية في اليمن ..

بريطانيا .. جعلت من الجنوب العربي ممرا للملكيين الذين يهاجمون القوات المصرية .

ومصر ترسل كل يوم رجالها للموت على هضاب الجبال ..

والأزمات الاقتصادية بدأت تدق أبواب مصر بعنف .. والناس ارتدوا اقنعة من الجبس .. لادماء فيها ولا موافقة ولا اعتراض ..

كل ما أرجوه .. أن تعود .. تعود ورأسك فوق جسدك .. لا يهمنى ما اذا كانت مرفوعة .. أو منخفضة الى الأرض .. فالأمران عندى يستويان .. المهم لى أن تعود .. تعود الى بيتك .. وابنك وزوجتك .. ووالدك .. تعود ولا تدفن في اليمن .

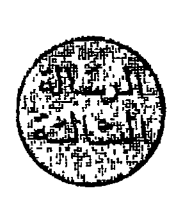
لى رأى في حربنا في اليمن ، أو في حربنا خارج مصر .. لا مانع من الحروب في سبيل المبادىء .. ولكن انطلاقا من قاعدة قوية .. أن نبنى مصر ونجعل منها قاعدة ثم ننطلق منها .

ان العالم كله لا يرضى لمصر القوة ، انه يريدها أن تستيقظ يوميا تبحث عن لقمة خبزها فقط . ان علينا أن نظل نبنى ذاتنا وبذاتنا ولا تضيع شبابنا وأموالنا في اليمن أو غير اليمن .

زوجتك



محاكم ثورة اليمن : مشــــهد كوميدى فى مسرحية هزيلة



صنعاء — اول ابريل عام ١٩٦٣ م

زوجتى ..

آسف عن التوقف طول هذه المدة فى عدم الكتابة اليك ، لأن الأحداث هنا كانت متلاحقة ، لقد كانت صنعاء محاصرة ، وكنا فى موقف صعب فالقوات الملكية كانت تسيطر على المواقع الرئيسية التى تصل صنعاء بالمدن الأخرى ، والقوات اليمنية هربت من الخدمة العسكرية ولا نعرف لهم طريقا والقوات الملكية تساندها السعودية والأردن ، ان بين القوات الملكية عددا كبيرا من خبراء الجيش الأردنى ، ومعونات عسكرية سخية وصلت من الباكستان وهؤلاء — بالاضافة الى بعض المرتزقة من بقايا الجيش الفرنسى فى الجزائر قد وضعوا هجوما شاملا على صنعاء ..

وفى الشهر الماضى ، قابل السيد عبد الرحمن البيضانى القائم بالأعمال الأمريكى وأبلغه أن اليمن لن تسكت عن التهديدات السعودية الأردنية ، وان اليمن سوف تضطر لضرب الأردن والسعودية .

ويبدو أن الملك سعود والأمير فيصل قد اتخذوا هذا التهديد بعين الاعتبار وقد علمت من القادمين من السعودية أن الأمير فيصل تعاقد على شبكة صواريخ مضادة للطائرات لحماية السعودية من غارات الطائرات المصرية ان بعض الطائرات الأمريكية تقوم بحماية سماء جدة والرياض ، وان الأسطول الأمريكى موجود فى جدة لحماية المدينة من غارات البحرية المصرية .



وكانت زيارة السيد انور السادات والسيد كمال رفعت لنا هامة للغاية . حيث علما بكثير من الامور التى تحدث فى اليمن ولقد تاثر آنور السادات مما سمعه عن ما يجرى لنا فى اليمن . واسعدنا حديثه الاخوى معنا

ورغم ذلك رغم التحرك العسكرى خارج صنعاء ، الا اننا عشنا أياما قاسية من الحصار ، واستطاعت القوات الملكية أن تبيد الآلاف من القوات المصرية فى مواقع متفرقة خارج العاصمة .

الا أن المشير عبد الحكيم عامر قد وصل الى صنعاء ، وبوصوله تجدد لدينا الأمل ، فهو رجل عظيم ، وفى نهاية هذه الرسالة سوف أتحدث معك عنه ، أو عن اللقاء الذى تم بينى وبينه .

بوصول المشير ، كما ذكرت تجدد الأمل ، لقد جمع قياداته ، وأخبرهم أن قوات هائلة فى طريقها الى اليمن بعضها سينزل فى الحديدة . والآخر سيصل بالطائرات الى مطار صنعاء ، وهذا المطار لم يسقط فى أيدى الملكيين رغم أنه خارج المدينة .

ووضع المشير عامر مع قائد العملية ٩٠٠٠ خطة أسماها ، الهجوم الكبير وهذا الهجوم يقضى بفتح الطريق الى الحديدة ، وفتح الطريق الى تعز كمرحلة أولى .

ثم تدعم القوات الموجودة فى صنعاء وتتجه شمالا لتأمين الطريق الى صعدا .

ثم قوات أخرى تتجه من صنعاء الى مأرب وصرواح وحريب وقيادتها الخرم .

وقوات تحاصر القوات الملكية الموجودة فى جحانة .

واذا تمكنت القوات المصرية من تنفيذ خطة المشير عامر ، فان اليمن كلها تصبح فى قبضة الجمهوريين .

وبدأت القوات تصل تباعا وبكثافة لا نظير لها ، وقامت القوات الجوية بجهد ضخم فى تمهيد الطريق أمام القوات البرية لتصل الى أهدافها ، ثم بدأ الهجوم الكبير ، وبدأت القوات فى الزحف الى مواقعها ، واستطاعت القوات المصرية بقيادة المشير عبد الحكيم عامر أن تصل الى المواقع التى حددت لها بكثير من الخسائر .

واستطيع أن أقول لك أن القوات المصرية تحارب فى ظروف غير طبيعية .. ولولا طبيعة المقاتل المصرى لما تمكنت من الوصول الى هذه الأهداف .

لقد عشنا فى حرب غريبة ، اسمها حرب الكهوف ، ان اليمنى يأخذ معه طلقات من الرصاص ، وبندقية قد تكون قديمة جدا ، وبعض عيدان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القات وقليل من الطحين ، وبعض الزيت الذى يزخر به اليمن ، ويصعد الى الجبل حتى يجد احد الكهوف ويجلس فيها .

وعندما يشاهد جنــدى مصرى ، يخرج من الكهف ، ويصوب طلقــة واحدة الى الجندى تصيبه دائما فى جبهته فيسقط شــهيدا ، وقد تأتى القاذفة لضرب الجبل ، فماذا يفعل ؟ عندما يسمع صوت الطــائرة يدخل الكهف وينتظر حتى تسقط حمولتها من القنابل ، وهى دائما تحمل أربع قنابل . وبعد أن يعد أربع انفجارات يخرج مرة أخرى من الكهف ويصوب هذه البندقية العتيقة نحو الطائرة ، ونادرا ما يصيبها ، ولكن احتمــــال الاصابة وارد عند الطيــــار مما يجعل من مهمة الطيــــار مهمة محفوفة بالمخــاطر .

أمر آخر فى قتال اليمن ، اننا نسير الى مواقعنــا بالدبابات ، وأحيانا يقف الجندى على مدفع الدبابة وعنــدما يصل طابور الدبابات الى طريق ضيق لا يسمح حتى بدوران الدبابة ، يخرج اليمنيين من فوق الجبــــال ويمطرون الدبابات بالرصاص مما يؤدى بالجنــــدى الحارس للدخول فى الدبــابة .

ثم ينزلون الى الأرض يحاولون اصطياد الدبابة بالخناجر ، ولكن هذا من المستحيل ، فاخترعوا طريقة غريبة ، يلقون على حديد الدبابة بترولا ويشعلون البترول ، وهذا يؤدى الى زيادة الحرارة داخل الدبابة ، وخاصة ان الدبابات الروسية غير مكيفــة ، ويصبح داخل الدبابة جحيم لا يطــاق مما يجبر طاقم الدبابة الى الخروج منها ، وهنا تكون الخناجر فى انتظارهم لنزع رؤوسهم عن أجسادهم ، وتتوقف الدبابة ، ويتوقف من خلفها طابور الدبابات .

فى هذا المناخ استطاعت قواتنا أن تنفذ الخطة ، واذا كان هنــاك انتصار فى اليمن ، فان المشير عبد الحكيم عامر استطاع خلال شهر مارس ١٩٦٣ أن يقود القوات المصرية للتمكن من كل أنحاء اليمن .

يبدو ـ زوجتى ـ بعد هذا الهجوم اننا سوف نستريح قليلا ، فلقــد اجتمعت مع المشــــير عبد الحكيم عامــر ، وهو رجل حريص على الــدم المصرى ، وقال نحن العسكريين لا بد ان ننفذ قرارات القيادة السياســـية ولقد وصلتنا قبل وبعد الثورة تقارير خاطئــة وعلى ضوء هذه التقــارير سرنا الخطوة الأولى نحو اليمن ، ووجدنا أن العجلة قد دارت وأنه لا بد من انجاز الخطوة الثانية والثالثة الى أخر ما وصلنا اليه .

وسوف أخبرك بخبر هام ، اننى سوف أحضر الى القاهرة لأقضى عده اسابيع فان المشير قد امر بتنظيم الأجازات للقاهرة . كما أن المشير قد اخطرنا بأن مكتب العلاقات العامة التابع لسيادته شخصيا قرر أن يقوم بحل مشاكل المقاتلين فى اليمن ، فمن يحتاج الى شقة سيقوم المكتب بتقديمها له . ومن يريد ادخال تليفون فى منزله ، ايضا سيقوم المكتب بتوفيره له ، ومن يريد سيارة نصر ١١٠٠ ، يستطيع أن يتسلمها فورا بعد دفع الثمن مباشرة ، ومن يريد أن يشترى أى شىء من اليمن يستطيع أن يدخل به مصر بدون جمارك . وقرر المشير زيادة بدل السفر للمقاتلين فى اليمن .

ورحل المشير بعد أن قام بتأمين الموقف العسكرى تماما فى اليمن ، الا أنه لم يتمكن من تأمين الموقف السياسى ، نحن نقاتل ونستشهد على هذا التراب ، والخلافات طاحنة بين الفريق الجمهورى والفساد يشتد يوما بعد يوم فى جهاز الحكومة اليمنية ، وأرى أن هذا الموقف خطير .

مثلا .. كافة صغار الموظفين لا يقبضون رواتبهم ، لأنه لا يوجد ما يكفى لرغبة كبار المسؤولين فى الثراء السريع ، وبين المرتبات لصغار الموظفين .

ومثلا .. طلبت حكومة الجمهورية من اليمنيين فى الخارج العودة الى اليمن الجديد ، ويوجد من اليمنيين فى الخارج الآلاف على درجة كبيرة من الثقافة ، بعضهم يحمل الدكتوراه ، وبعضهم يحتل مراكز مرموقة فى بلدان اخرى . وعاد البعض وعرض خدماته للنهوض ببلده ، وهنا حدث تناقض بين الذين قاموا بالثورة وبين هؤلاء العائدين بأفكار تقدمية للنهوض بالبلد ، وظل بعضهم شهورا لا يجد ما يفعله ، مما ادى الى عودتهم من حيث جاءوا ..

ومثلا .. ارسلت احدى الدول الاشتراكية مستشفى هدية منها لحكومة الجمهورية اليمنية ، ووصل المستشفى الى ميناء عدن ولا بد أن تكون باسم الوزير المسؤول وابلغ بوصول المستشفى ، وفعلا ذهب الى عدن ، واستلم المستشفى ثم جمع تجار عدن ، وأعلن عن بيع المستشفى فى المزاد العلنى ، وتم البيع ، وقبض ثمن المستشفى وعاد الى صنعاء ، وعندما سئل .. قال : انها هدية خاصة لى .



وقائد الثورة عبد الله السلال ، على خلاف كبير مع عبد الرحمن البيضانى ومحسن العينى

لو أن هذا الحادث قد وقع فى بلد أخر ، لاهتز الكرسى من تحته ، الا انه يعلم أن الجميع قد صنعوا أكثر منه .

وقائد الثورة السلال .. على خلاف مع الكثير ، الا أن اكبر خلافه مع اثنين هما عبد الرحمن البيضانى ومحسن العينى .

ومحسن العينى غير مرغوب من القيادة السياسية لمصر ، لأنه يميل الى البعثيين ، والبعثيين هنا قد قاموا بتوزيع منشورات ضد الرئيس جمال عبد الناصر . وضد الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، لذلك كان لا بد أن يشغل منصبا خارج اليمن ، فأسند اليه منصب المندوب الدائم للجمهورية العربية اليمنية فى الأمم المتحدة ، وغادر صنعاء ووصل الى نيويورك وحدثت معركة بينه وبين مندوب الامام ، ولكن المنظمة الدولية اعترفت بالنظام الجمهورى خاصة بعد اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالنظام الجمهورى فى اليمن .

لى ــ زوجتى ــ معك وقفة قصيرة ، هذه ليست أول مرة يعين فيها سفير عربى ، لا لأنه أصلح من يكون لهذا المنصب ، ولكن لابعاده عن البلاد ، اليس غريب أمر الساسة العرب ، اذا أرادوا عزل رفيق السلاح ارسلوه سفيرا فى الخارج ، بحيث نكاد تكون معظم البعثات الدبلوماسية العربية فى الخارج لا تمثل النظام ، أليس هذا الأمر يحتاج الى دراسة ؟ !

عودة الى الحديث ــ زوجتى ــ هنا ايضا خلاف كبير بين الرئيس السلال ، وبين عبد الرحمن البيضانى وقد اشيع فى اليمن أن البيضانى قد استولى على أموال الامام وذهبه ، وانه استطاع أن يهرب هذه الأموال الى أحد البنوك فى عدن ومنها الى بنك فى روما . يقال أن هذا سبب الخلاف ، واعتقد أن البيضانى سيترك اليمن فى طريقه الى القاهرة .

لا أدرى تماما ما اذا كانت هذه الواقعة صحيحة ام كاذبة ، ولكن الذى أعلمه أن هناك تحفظات على السياسة التى ينتهجها الرئيس السلال ، والقاهرة تريد أن تقف بجانب البيضانى الا انها لا تريد أن تخسر السلال .

والآن .. اليك تحليل لشخصية الرئيس السلال على ضوء مقربتى منه فترة من الزمن .

للسلال بيت متواضع جدا فى صنعاء ، له باب خشبى ، يغلق من الداخل بمزلاج من الخشب ، لا اثاث فيه بالمعنى العصرى للأثاث ، الا أن

القيادة المصرية قد أحضرت له اثاث فخم من محلات الصيرفى فى مصر ، ولصاحب هذه المحلات علاقة وطيدة ، ومصالح مشتركة مع العقيد على شفيق مدير مكتب سيادة المشير عبد الحكيم عامر لشؤون الخدمات ، وقام المقاول المعروف عثمان أحمد عثمان بتحسين بيت السلال ، فاقيم طابق ثانى ، ونزع الباب الخشبى بالمزلاج ، ووضع باب حديدى وكشكين وحرس ، ونافورة فى الداخل ، وسور وانوار .

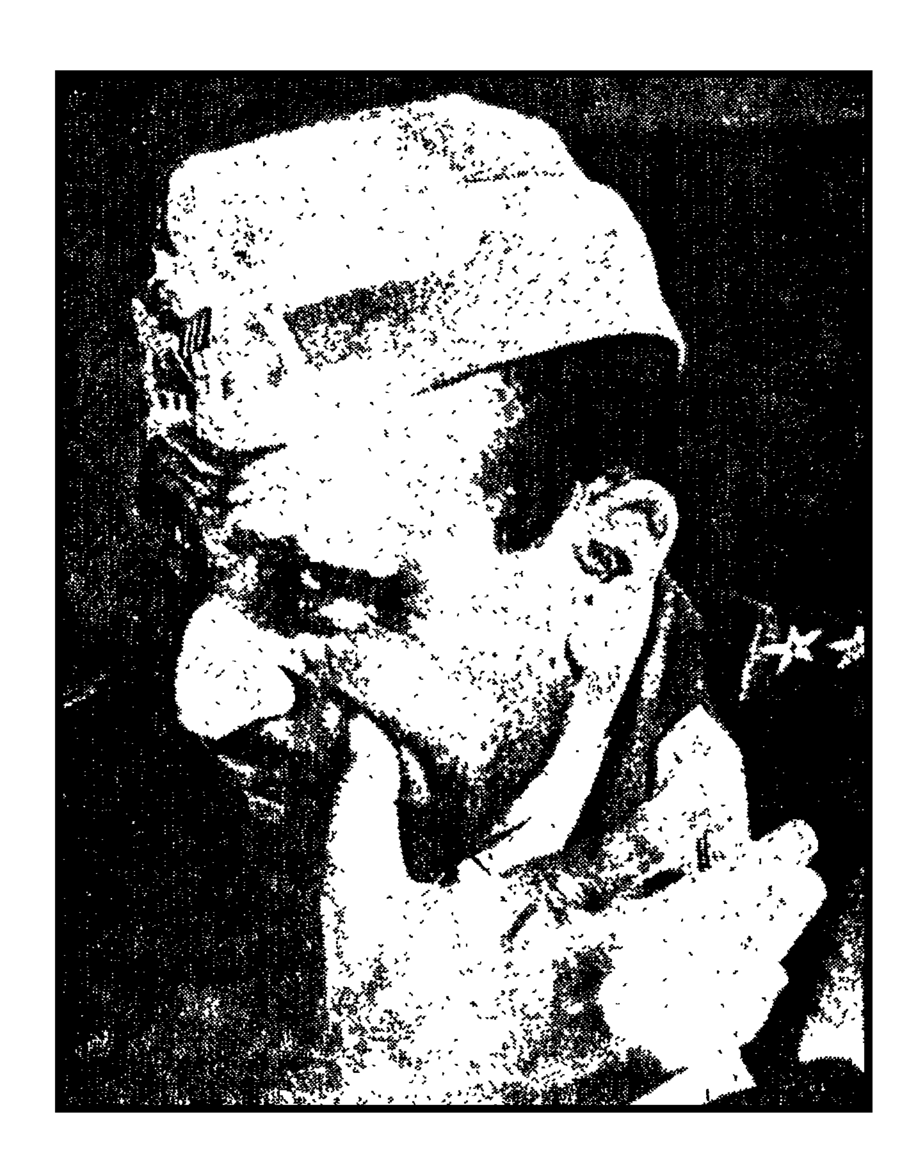
ويوجد للسلال صالة للضيافة ، نصفها مفروشات عصرية ، والنصف الآخر سجادة ووسادات ، وهو يحب الوسادات الا انه يضع بدلته العسكرية فى هذه الصالة الواسعة معلقة على مسمار .

والسلال ليس بالرجل المثقف ، وليس بالرجل الطيب القلب كما يبدو وهو مريض من انهاك سنوات الظلام ، لذلك سمعت أنه سيغادر صنعاء قريبا الى القاهرة لعمل فحوصات طبية وليس له مزاج خاص ، ولكن فى نفس الوقت ليس تافهـا ، انه من أحسن الذين يتآمرون فى اليمن ، ولا تستطيعين معرفة فى أى جانب هو ، بالاضافة الى أنه ــ من شدة حرصه ــ لا يثق فى اليمنيين كثيرا ، لذلك فان حرسه بناء على طلبه من المشير عامر من جنود الصاعقة المصريين ، وحرس السلال سعداء بهذا العمل ، فهو انسان بسيط ، يأكل معهم ، ويشرب معهم ويتحدث معهم طويلا .. فالحرس أصدقاء الرئيس .

والسلال يعشق القاعدة الجوية فى صنعاء ، ويعشق بيت الطيارين ، ويكاد يكون له برنامج يومى ..

فى الصباح يذهب الى القاعدة الجوية ، تكون الطائرات قد وصلت من القاهرة ، وعليها الغذاء اليومى للطيارين ، وهو عبارة عن كل ما تتخيله من محلات جروبى فى القاهرة ، والطماطم والأسكالوب ، والسوتية والخبز والحليب ، والفواكه ..

ويقوم الطباخون ، باعداد طاولة طعام الافطار ، ويجلس السلال مع الطيارين يتناول الافطار ، ثم يبدا أقسى عمل ممكن أن يقوم به انسان .. يعطى أوامره للطيارين بمسح بعض القرى اليمنية من على الوجود ، فى البداية رفض الطيارون تنفيذ أوامره وبعد يومين جاءت لهم الأوامر من الفريق صدقى محمود مباشرة بتنفيذ أوامر الرئيس السلال لأنه أدرى منهم باليمن .



والسلال ليس بالرجل المثقف ، وليس بالرجل الطيب القلب كما يبدو ، وهو مريض من انهاك سنوات الظـلام ، ولكنه فى نفس الوقت ليس تافها ، انه من احسن الذين يتآمرون فى اليمن ، ولا تستطيعين معرفة فى اى جانب هو ! !

وتخرج طائرات الموت والدمار ، وتنقض على القرى تنفيـــذا لأوامر الرئيس الســـلال ..

يعود السلال بعد ذلك لتناول طعام الغداء فى منزله الذى كان متواضعا وبعد الغداء يتناول عيدان القات ، وفى المساء يذهب الى بيت الطيارين ، وهنالك يتناول طعام العشاء ، ويشاهد بعض الأفلام العربية التى تعرض فى بيت الطيارين ، وخاصـــة أفلام اسماعيل ياسين ، ويضحك كثيراً على اسماعيل ياسين الا أنه يسعد سعادة منقطعة النظير اذا عرض الطيـــارون الأفلام الزرقاء القادمة من عدن .

بعد ذلك يعطى أوامر لطلعات الصباح لضرب القرى اليمنية ..

ذات مرة .. قال له أحد الطيارين ..

ــ هذه القرية مجمهرة ..

فرد الســـــلال :

ــ لا .. لقد قلبت ..

وكلمة « جمهرت » أى انها اعلنت الولاء للجمهورية ، يقول لى صديقى الطيـــــار ، أخـــذت الطائرة وذهبت الى القرية ، وكانت الشمس فى بداية بزوغها ، الناس بدأت الخروج من بيوتها لعملها اليـــومى فى الزراعة ، القرية هادئة ووديعة .. أربعة أطفال ينظرون الى السماء لمشاهدة الطائرة .. والطائرة تحمل الدمار والموت وهم لا يعلمون .. وانخفضت بالطـــائرة لألقى على القرية قنابلى .. وتذكرت ابنى فى القـــــاهرة .. وزوجتى .. وأمى .. وارتفعت دون ما ألقى بشحنة الموت على القرية الآمنة فى أحضان الجبـــــال وقلت جمهوريين كانوا أم ملكيين ، الا انهم لا يستحقون الموت فهم لا يعلمون حتى الفرق بين الاثنين ، انهم مخدوعون من الطرفين .

ارتفعت ــ يقول الصديق الطيار ــ وذهبت الى الجبال الخاوية ، وما أكثرها فى شمال اليمن وألقيت بالشحنة ، وعدت الى صنعاء .. وكذبت وابلغت القيادة بأننى نفـــذت الأوامر ، وبعد يومين جاء الرئيس الســـــلال غاضبا ، وأخطر القائد اننى لم أنفذ المهمة ، وكدت أحاكم ، ولم أكن خائفا من المحاكمـــــة ، كنت أخـــاف الله اكثر من أى شىء .. ولذلك نقلت الى القاهرة ، وكان هذا وحده توفيق من عند الله ..

انتهى حديث الطيار الصديق .. وأحيانا ـ زوجتي ـ أسأل نفسي .. هل هؤلاء يستحقون أن ندفن في اليمن زهرة شبابنا ؟ .. لقد عشت مرحلة الشك هذه وخاصة أنهم لا يشتركون معنا في حماية ثورتهم ، وكأننا جيش من الغزاة ، ولكن اذا تعمقت في تاريخ الشعب اليمني ، في قديم الزمان ، أعطوا الكثير للحضارة الانسانية ، وأعطوا الكثير للحضارة الاسلامية ، وبرجالهم انتشر الاسلام في كثير من بقاع العالم . ثم أسدل الستار ، ستار كثيف من النسيان واستطاعت هذه الحواجز أن تقطع جذور الشعب اليمني وبما قدمه من حضارات ، ومع مرور القرون عاش الشعب حياة القهر والذل وتعود عليها ، حاول كثيرا التمرد ، وقدم الضحايا ، الا ان السلطة كانت أذكى وأقوى منه ، انني أسمع كل يوم حكايات عن بطش الأئمة ، حكايات تفوق التصور والخيال ، وكلما أسمع هذه الحكايات أشعر أن القوات المصرية تقوم بعمل انساني وحضاري في نفس الوقت في اليمن .

يكفي أن تعلمي ـ انه قبل الثورة ـ كانت أبواب المدن تغلق بعد غروب الشمس وتفتح بعد شروق الشمس ، وفي الليل الطويل ، يقتل بشر ، ويساق آخرون الى السجون ، وفي السجن قد ينسى السجين مدى الحياة .

والآن .. هناك محاولات جادة لتحطيم كل هذه الأسوار .. لتحطيم الأبواب المغلقة ، ليرتبط شعب اليمن بشعوب العالم ، ان سكان الشمال الكثير منهم ، يعتقدون أن العالم ينتهي بعد جبال صعدا وأن لا بشر في هذه الأرض غيرهم .

والآن ـ أيضا ـ ملكيين كانوا أم جمهوريين ، يعلمون أن هناك دولا أخرى غير اليمن ، وان هناك حضارات وشعوب ، وان هذه الشعوب تعيش في قرن اسمه القرن العشرين .

بل عرف سكان الشمال أن هناك غذاءا غير الدقيق والقات والزبيب ، وعرفوا أيضا أن أسرة حميد الدين ليست منزلة من عند الله ..

وانهم أيضا بشر مثلنا .

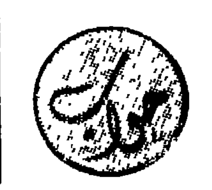
هنا ــ زوجتى ــ محاولات جـادة للاصـلاح ، ولولا الحـرب لشمل الاصلاح كل مكان ، هنا تستعد بعثة تعليميـة مصرية الوصول الى اليمن هنا بعض مشايخ من الأزهر يعلمون الناس الدين الاسلامى ، فالكثير نسوا أركان دينهم ، هنا عشرات المهندسـين المصريين يبنون المدارس وشقون الطرق ويرصفون الشوارع ويقيمون المساكن ذات الطوابق العالية فلعلمك لم يكن مسموحا لأن يبنى احد بيتا أكثر من طابق .. فلا علو الا للامام ؛ هنا أقيمت المكتبات ودخلت ملايين الكتب ، ومئـات الصحف لمن يريد أن يعـرف .

وأصبح هنـاك طريق تجارى ضخم بين صنعاء وعدن ، صحيح أن الأسواق قد فتحت لنهم المستهلك المصرى من قواتنا ، الا أنهـا فى نفس الوقت مفتوحة للجميع ، بحيث أصبح الآن فى بيت كل يمنى تقريبا ثلاجة ؛ وجهاز راديو ، بعد دخول الكهرباء البيوت .

واليمنيين ، حاليا ليسوا فقراء كالسابق ، أن الحرب هذه جعلت من بعضهم أثرياء فان الأموال المصرية التى أعطيت للقبائل ، والأموال السعودية التى اعطيت أيضا للقبائل ، قد جعلت هناك رواجا .

والآن . الست معى أن ما يقوم به الجندى المصرى فى اليمن : عمـل تاريخى ، وموقف انسانى ، مهما كانت التضحيات ؟ .

زوجـك



الرسالة الثالثة

القاهرة فى أول مايو ١٩٦٣ م

زوجى العزيز ..

أنتظرك ، وطال الانتظار ، أتصور أن أيام فتوحات الاسلام ، كان الجندى يعود الى بيته بعد ستة اشهر قتال ، ولم يكن هناك طائرات سريعة تنقلك من صنعاء الى القاهرة فى ساعات تعد على أصابع اليد الواحدة والآن مضى على وجودك فى هذا المكان ثمانية اشهر ، ولكن ما يعزينى فى ذلك اننى أعرف ما يدور فى اليمن من خلال رسائلك لى .

لقد شعرت من رسالتك الأخيرة لى أن هناك فى اليمن « حالة ركود قتالى » وهذا أسعدنى ، فأنا لا أريدك أن تدفن فى اليمن وأسعدنى أكثر لقائك بالمشير عبد الحكيم عامر والتسهيلات التى قرر أن يمنحها لكم ..

ولهذا .. فانى اريد أن أنتقل من سكننا المتواضع فى مصر الجديدة ، ونحصل على شقة من الحراسة فى جاردن سيتى ، وأنا أعرف عمارة غاية فى الروعة ، بالقرب من فيلا مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين وبالقرب من السفارة الأمريكية ، كان من بين أمالى أن أسكن فى حى كحى جاردن سيتى وليس كثيرا علينا أن تحجز لنا سيارة انتقل بها والولد فى القاهرة حتى تعود كما أرجو ان ترسل لى ما حرمت منه سنوات طويلة واعتقد انه أصبح متيسرا فى أسواق صنعاء ، وانت تعلم ما حرمنا منه .

زوجى ..

أليست مهزلة أن نطل على صناعات العالم من اسواق صنعاء ؟ ولأننا فى مهزلة لا اريدك تعترض ولا أريد قضية المبادىء ان تركب راسك ، فهذا

أقل ما يجب أن يتوفر لأسرة مقاتل فى اليمن ، ولكى انزع من راسك بعض الأفكار الخاطئة سأقول لك أن السيدة حرم الرئيس قد طلبت من السيد محمد أحمد أن يوفر لها بعض ما يحتاجه البيت من « مكسرات » رمضان . فارسل الرجل الى سفارتنا فى قبرص ، وكلف الملحق العسكرى هنـــاك بشراء «مكسرات» لبيت الرئيس ، وأرســـل الفى كيلو غرام فى صـــندوق كبير حملتـــه طائرة اليوشن ، ووصل الصندوق الى مكتب المشير عبـــد الحكيم عامر . وتصور مستلمه أنه هدية من الملحق العسكرى فى نيقوسيا فقام بتوزيعه على الأصدقاء ، ولم يرسل لبيت الرئيس منه شيئا ، ومرت الأيام وارسل السيد محمد أحمد الى الســـــفارة مرة أخرى مستفسرا ، وجاء الرد ، وعرف القضية وطلب صندوقا آخر فأرسل الملحق العسكرى صندوقين ، فى هذا الوقت فان مصر تعانى من أزمات تموينيـــة حادة ، فلقد اختفت المواد التموينية الأساسية ويقال انها ترسل لليمن .

أنا آسفة ، لأن أبدأ خطابى بمطالب ، ولكن عذرى فى ذلك أنها فرصة يجب أن تستفيد منها ، وتستفيد معك أسرتك لأننى أتصور أن هنـــاك فى الكواليس السياسية بحثا عن حل لمشكلة اليمن ،واتصور انكم ستنسحبون من اليمن . فلقد علمت هنا أن الرئيس جمال عبد الناصر قد قام بتكليف بعض الرجال ببحث امكانية الانقلاب فى المملكة العربيـــة السعودية وعلى اســـاس وجود قوات مصرية فى اليمن تستطيع أن تقوم بحماية الانقلاب ، وسافر الرجال الى المملكة العربيـــة السعودية وقضوا شـــهرا ، وأمكنهم الاتصال ببعض العنـــاصر الوطنية واليســـــارية وعادوا بتقرير قدموه الى الرئيس جمال عبد الناصر وان هذا التقرير يؤكد عدم امكانيـــة قيام أى انقلاب فى السعودية للأسباب الآتيـــة :

١ ــ أن المسيطرين على كافة أمور المملكة هم أبناء اسرة واحدة ، وهم فى حد ذاتهم يشكلون نسبة غير بسيطة من عدد السكان .

٢ ــ ان الانقلاب اذا نجح فى جـــدة ، سقط فى الرياض وذلك للمسافات البعيدة ، الهائلة بين مدن المملكة العربية السعودية .

واقترح الرجال أن يكون العمل للضغط على المملكة العربية السعودية بأخذ طريقين :

الأول : ارسال منفجرات لاشاعة الرعب فى المدن السعودية .

الثانى : الضغط السياسى بواسطة بعض الأطراف ومحاولة قيام حوار حول المشكلة اليمنية .

والتقرير يؤكد أن السعودية غير راغبة فى استمرار وجود القوات المصرية او انها يمكن أن تقدم لها خروجا كريما من اليمن ، ومصر التى انهكت بشكل لا تتصوره فى اليمن خلال الشهور الماضية ، فانها مستعدة للدخول مع السعودية فى مفاوضات من أجل الخروج من اليمن .

اذن ارى أن الطرفين الرئيسيين فى هذا الصراع الدامى لديهما الاستعداد للاتفاق لذلك فانى أتصور سرعة وسهولة الاتفاق .

من هنا أقول لك انك ربما تسمع عن انفجارات فى المملكة العربية السعودية وسوف تسند هذه الانفجارات الى « منظمة » سيبحث لها عن اسم فيما بعد ..

وسوف تسمع خلال الأيام القادمة حملة اعلامية ضد النظام فى المملكة العربية السعودية ، لقد بدأت الحملة بالفعل ، لقد وقف الرئيس جمال عبد الناصر والقى خطبة هاجم فيها السعودية بعنف ، خطبة أرضت الجماهير التى نادت من خلف المنصة « احكى .. احكى .. على المكشوف بدنا نسمع بدنا نشوف » . وانت كما تعلم عبد الناصر عبد الشارع . وحكى كثيرا و « وعلى المكشوف واسمع الناس وارضى من بريد ان يشوف » .

والآن .. انت تريد أن تعرف أخبار مصر ، وسوف أخبرك ببعض منها .

الأخبار ..

ما زالت قرى مصر مظلمة ..

وما زالت الأمية بنفس النسبة التى كانت عليها عام ١٩٥٢ ..

وما زالت الناس منتظرة نهاية للحرب التى بدأت منذ ثمانية أشهر ..

وما زالت الناس فى حالة انتظار لشىء ما ، لا تعرفه ، ولكنها تأمل فيه انها تنتظر دون معرفة لموعد أو لأى شىء ..

جلست مع احد خبراء السد العالى الذى انتهى العمل فيه ، واسمه الدكتور أحمد كمال ، وهو خبير الكهرباء فى السد العالى ، وأخبرنى بخبر هزنى بعنف ، قال ان الكهرباء التى تستخرج من السد العالى تضيع هباء ، لأن حرب اليمن أوقفت بعض المصانع التى كنا قررنا اقامتها لتعمل بالطاقة الكهربائية ، وكهربة الريف المصرى ، توقفت بسبب الانفاقات فى اليمن ، وخطة بناء المدارس الجديدة توقفت بسبب انفاقات حرب اليمن وسوف يشهد العام الدراسى القادم ٦٠ تلميذا فى كل فصل ، لأن مصر التى تحارب فى اليمن لا تستطيع أن تبنى مدرسة جديدة لأطفالها .

والناس هنا ، من كثرة الحزن واللامبالاة يضــحكون .. هل تريد أن تسمع آخر ضحكاتهم عن حرب اليمن اليك بعض ما يضحك الى حد البكاء

الأولى تقول ان باخرة قد تقبت فى عرض البحر ، وكان لا بد من تخفيف حمولتها ، واقترح قائد الباخرة أن تجتمع كل جنسية وتختار واحدا يلقى بنفسه فى البحر وتم الاختيار ، ووقف الأول وكان مصريا ، وقال فى ســبيل مصر ، والقى بنفســه فى البحر ، والثانى فى ســبيل بريطانيا العظمى والقى بنفسه ، ومواطن يمنى وقف وقال فى سبيل الجمهورية العربية اليمنيــة ودفع الى البحر بشاب مصرى يقف بجواره .

واليك الثانية .. بعد استمرار الحرب فى اليمن ، والعــلاقات الثورية بين كوبا ومصر ، قرر الرئيس جمال عبد الناصر اقامة اتحــاد بين الدول الثلاث ، واختار اسما لهذه الدولة وهو « مصر يمن كوبا » !

هنا ، من شــدة القهر يضحكون ، ان الخطة الخمسية توقفت تماما بسبب حرب اليمن وثروة الكهرباء تبدو كأنه من المستحيل الاحتفاظ بهــا لعدم وجود عشر ما ينفق فى اليمن للاستفادة من هذه الثروة لبناء المصــانع أو كهربة الريف .

وبدأت الصحافة تتحدث عن انتصاراتكم على جبال اليمن وفى سهولها أى انتصار هذا .

كل ما تنتصرون ، وكلما يدفن مصرى فى اليمن فانها الهزيمة بعينها ، هزيمة تهز مصر حتى العظام .

أى عدو تحاربون ؟..

امريكا تريد أن تخرج من فيتنام . ونحن فى وحل اليمن .

تعالوا حاربوا عشرات الأعداء فى الداخل ..

تعالوا حاربوا الفقر والجهل والمرض .

تعالوا هنا أقيموا العدل والثراء والرفاهية والحرية .. ثم صــدورها للخــارج .

تعالوا أبناء مصر .. الى أرض مصر . فهى فى حاجة اليكم ، كمــا لم تكن فى حاجة اليكم من قبل .

« زوجتك »



صنعاء ... أول يونيو ١٩٦٣ م .

زوجتي ..

لا أدري من سيصل أولا ، هذه الرسالة أم كاتبها ؟ مقربة من عام على فراقنا .. وأشعر بحنين الى نسمات النيل وضحكات الناس .. والزوجة ... والبيت الهادىء .. وملابس أدمية وأسمع الموسيقى ، ولكن علينا أن نؤدي الرسالة مهما كلفنا من تضحيات ..

قرأت رسالتك الأخيرة ولو انى أعرف خطك جيدا ، لتصورت أن انسانة أخرى هى التى كتبت هذه الرسالة .. رسالتك متناقضة حرصك على الناس فى مصر .. ومطالب خاصة بك وبأسرتك .

تطالبين بالعودة وأنا أريد ذلك لا خوفا من القتال ولكن عندى شعور ما يؤكد اننا فى طريق مسدود ، لم يعد الموت يهز شعرة واحدة فى رأسى ، فاليوم جلست أفكر فى ذلك المكان الذى أبيت فيه عندما أكون فى صنعاء ، انها صالة كبيرة بها خمسة أسرة ، أنا وأربعة نبيت فى هذه الغرفة منذ وصولى الى صنعاء .. ويختفى أحدنا ، يدفن فى كل مكان ، وأى مكان فى اليمن ويأتى مقاتل جديد ويختفى اثنان ، ويأتى غيرهما وعملية الموت تدور فى هذه الغرفة وحتى اليوم كم من الرجال دفنوا فى اليمن الله أعلم بهم .

ويعود القتال من جديد وتعود عجلة الموت تحصد فى الجانبين ، لقد بدأت المحاولة برسالة من الرئيس الأميركى جون كيندى للرئيس جمال عبد الناصر والأمير فيصل والرئيس السلال ، يطلب منهم وقف القتال ، وبعد أيام من

هذه الرسالة وصل الى صنعاء المشير عبد الحكيم عامر واجتمع بالقيـــادة للعملية ٩٠٠ وأخطرهم بأن رالف بانش السكرتير العام المساعد للامم المتحدة سوف يصل الى صنعاء وعليه يجب أن تكون كافة المدن الرئيسيه فى اليمن فى أيدى القوات المصرية مهما كلفنا ذلك من عتاد وارواح .

كانت مأرب هى المدينة الرئيسية التى سقطت من ايدينا وذبح كل الرجال الذين كانوا بها ، وبناء على تعليمات المشير أعدت خطة لاستعادة مارب وكنت ضمن القوات الزاحفة الى هناك لتحرير مأرب .

واستطعنا تحريرها بعد أن فقدنا فى الطريق مئات من القتلى ، وجاء فى مارس المـاضى رالف بانش وقابل الرئيس السلال وقابل المشير عبد الحكيم عامر وقال له المشير أن جميع مدن اليمن فى أيدى الجمهوريين وقال له رالف بانش :

ـــ حتى مأرب ؟

يعرض عليه المشير عبـــد الحكيم عامر أن تحمله طائرة هيلوكوبتر الى مأرب ، وفعلا وصل بانش الى مأرب ، وسألناه أسئلة حول وجودنا ، والى متى نتوقع أن نبقى فى اليمن ، وهل نحن مؤمنين بما نؤديه فى اليمن .

وقال لنا :

ـــ أيها الرجال بصدق أنا أشفق عليكم الا أنكم تقومون بعمل تاريخى وانسانى فى سبيل هذا الشعب الذى لا يوجد معاناة فى العالم مثل ما عاناه .

وقال أحد المقاتلين .. ممن يعرفهم المشير :

انه ـ كما قيل ـ التاريخ مشجب نعلق عليه اللوحات ، قد يأتى مؤرخ ويقول فترة الاستعمار المصرى فى اليمن ، هنا ندفن يا سيدى بلا معالم ، ومشكلة اليمن أكبر من أن تتحملها مصر تاريخيا ، انها وصمة عار فى جبين الحضارة الانسانية كلها .

وسكت رالف بانش ..

وركب الطائرة الهليوكوبتر ، كاد الرجل أن يبكى حزنا على ما شـــاهده فى اليمن ، ويبدو انه أيضا حزين على ما علمه من عدد الضحايا فى شـــهداء قواتنـــا .

ثم سافر الرجل الى عدن وهناك عقد مؤتمرا صحفيا تحدث عن الموقف فى اليمن مؤكد سيطرة الجمهوريين على كافة مدن اليمن .

وقد أدى المؤتمر الصحفى الذى عقده الى انه حرم من دخـــول المملكة العربية السعودية فلقد اعتبرته السعودية منحازا للجمهورية .

وكما قرأت فى الصحف فان رالف بانش قد قابل الرئيس جمال عبــد الناصر بينما الرئيس كنيدى قد أرسل سفيره السابق فى الهند مستر بانكر الى المملكة العربية السعودية ، ثم انتقل الى القاهرة وقابل الرئيس جمــال عبد الناصر ليبحث صيغة للانسحاب من اليمن مع الحفاظ عــلى النظام الجمهــورى .

لقد تسربت هنا أنباء عن احتمال اتفاق . كانت بشرى لمواطنى مصر ، وهو وقف المساعدات تماما عن الملكيين من جانب السعودية واعطاء الدليل على ذلك باخراج الامام البدر من السعودية .

وكانت شروط الســـــعودية هو الانسحاب من اليمن . وكان موقف السعودية يتمشى مع رغبتها فلقد وافقت على الشروط المصرية وطلبت فعلا من الامام محمد البدر مغادره السعودية ، هنا حــدث ما كان متوقع ، أن الطرف الجمهورى والطرف الملكى غير راغب فى الاتفاق ، بل ان هناك بعض القيادات المصرية غير راغبة فى مثل هذا الاتفاق .

ان حرب اليمن كانت كنزا عظيما لأطراف كثيره ، أن الرئيس السلال مثلا رجل ذكى وقد صرح فى جلسته الخاصة بانه يرفض جلاء القـــوات المصرية من اليمن وسيعمل على ايقاف الاتفاق والامام البدر صرح علنا بأنه لن يأمر قواته بالتوقف عن القتال ، وشيوخ القبائل ترفض وقف القتــال اليوم مع الجمهوريين طالما أن مصر تدفع ، وأكثر من قائد عسكرى مصرى ضد هذا الاتفاق أيضا .

مثلا .. لواء .. قائد محور فى اليمن عندما سمع نبأ قرب الاتفاق ، كان الرجل واضحا لقد ضرب كفا على كف وقال .. وكيف انتهى من بناء الفيلا ؟

فحرب اليمن — زوجتى — قد شكلت من كافة الأطراف طبقة مستفيدة ومستعدة للتآمر ، للاغتيال ، حتى لا يتوقف القتال ، أو بالأصح لا يتوقف سيل الذهب القادم من السعودية وسيل الفضة القادمة من مصر .

أقول لك ان الرئيس جمال عبد الناصر صادق فى الانسحاب .. واقول لك أن الأمير فيصل صادق فى وقف المساعدات عن الملكيــين واقول لك أن الولايات المتحدة تريد انهاء الصراع ، رغم أن بعض الساسة الأمريكيــين

لا يريدون .. واقول لك أن رالف بانش ويوثانت والأمم المتحـــدة ، كلهم يرغبون فى وقف القتال وانسحاب القوات المصرية .

الا اننى أقول لك أن هذا لن يحدث . فان الذين يأمرون بالضغط عـــلى الزناد لا يرغبون . أن السعوديه قد وافقت ــ كما اعلن الراديو ــ عـــلى السلام . ومصر اعلنت الموافقه أيضا . والأمم المتحده قررت ارسال قوات الطوارىء بقياده كارن فان هورن ، ولعلمك لقد طلب الرئيس جمال عبد الناصر من السكرتير العام للامم المتحدة ارسال هذه القوات بالسرعة الممكنة لذلك فلقد تشكلت هذه القوات من قوات الطوارىء الموجوده فى غزة وشرم الشيخ ، الحدود المصرية الفلسطينية حتى تصل على وجه السرعة وقررت مصر والسعودية تحمل نفقات هذه القوات اثناء وجودها فى اليمن ، وذهب السفير الأمريكى السابق بخريطة لوضع قوات الجانبين وايجاد التـــريط لتعسكر فيه قوات الطوارىء الدولية .

وجمعنا الجنود المصريين وأصدرنا اليهم أوامر بعدم الاحتكاك بقـــوات الطوارىء الدولية وتقديم كافة المساعدات لهم فى حاله طلبها كما طلبنا منهم المحافظة على حياتهم فى حالة حدوث اى اشتباك . فهم رسل السلام ولا ذنب لهم فى هذا الصراع الدامى ، على جبال اليمن ، ولأن جنودنا فقراء شددنا عليهم بعدم طلب أى شىء منهم ، وأخبرناهم أنهم فى اليمن بناء على طلبنـــا وبأموالنا ، وهمس فى أذنى أحد الاصدقاء قائلا :

أموالنا .. ماذا تكفى ؟.

نعم .. هم عندنا هنا بأموال هذا الشعب المصرى الصبور ؛ صحيح أنها مناصفة ولكنها قسمة غير عادلة .

وهبطت فى مطار صنعاء أول قوة من قوات الطوارىء التى شكلت من الكونغـــو وغزة ، ثم تبعها قوات أخرى وهى قوات كندية ويوغســـلافية وسويدية ونرويجية واسترالية ونمساوية أيضا ومن نيوزلاندا .

وبدأت هذه القوات تتخذ مواقعها وسط توتر شديد ، وكان جنـــودنا يشاهدون جنود القبعات الزرقاء بدهشة شديدة ، وكان نفس الجنـــود التابعين لقوات الطوارىء الدولية فى دهشة من أمر اليمن .

كانوا يشعرون بخيبة الأمل ، وبالحظ الأسود الذى رماهم من السويد الى جبال اليمن الشمالية وكانت قيـــــادتهم تحاول الترفيه عنهم بشتى الوسائل حتى أن أحد جنودنا جاء يسألنى ...

ـــ طالمــا أنهم هنا بأموالنا .. فلماذا لا نعيش نحن أيضـــا فى اليمن مثلهم ؟

ولم أعرف الاجابة على هذا السؤال وكل ما استطعت ان أقول : اذهب الى وحدتك ..

قوات الطوارىء الدولية تعيش فى رعب بعد أن سمعت حكايات اليمن والرصاص الدمدم .. وهو رصاص يستخدمه رجال القبائل ــ القناصين منهم ــ وهو ممنوع دوليا ، فاذا أصاب أحد ، فانه لا بد وأن يموت ، كمــا مات بهذا الرصاص كثير من جنودنا ، كما أن قوات الطوارىء الدولية تخاف الخناجر أكثر من خوفها من أي سلاح آخر لأنه السلاح الوحيد الذى يمكن أن يفصل الرأس عن الجسد .

زوجتى ...

أحيانا أنظر لهؤلاء واقول ما ذنبهم ؟ ؟

ولكن أراه صراعا مريرا فى كل أنحاء العالم ، على كل العالم أن يتجمله، وعلى البشرية كلها أن تشارك فى أخطاء وغرائز وشذوذ حكام هــــذا الكوكب اللعـــين .

وأحيانا أخشى على هؤلاء الجنود من الموت فى اليمن . فان القبـــائل لا ترغب فى وجودهم ، لقد تعودوا القتال ، تعودوا المكاسب من القتـــال ، ولا فرق عندهم بين سويدى أو امريكى أو مصرى ، أو حتى يمنى المهم أن تظل اليمن مشتعلة أو أن تظل الخزنتان السعودية والمصرية مفتوحتين لحرب اليمن .

نحن لنا موقف سياسى والسعودية لها أيضا موقف سياسى آخر !..

وهؤلاء الرجال من القبائل يقاتلون ويقتلون ويقتلون ـ ما هو موقفهم السياسى .. لا شىء .. لذلك فهم يحاربون كل يوم فى اتجاه ، ولن يوقفوا القتال ، فهو بالنسبة لهم هواية واحتراف ، مال وملىء فراغ لن يخسروا شيئا ، اذا كســـبوا الحرب سيخسرون الكثير اذا توقف القتـــال ، انى آسف لهذه الرسالة الحزينة ، أكتبها بعد فترة هدوء نسبية ، فلقد علمت

خبرا مؤلما اليوم ، أن عدد الشهداء من جنودنا قد بلغ حتى الآن ثمانية آلاف شهيد ، ثمانية آلاف دفنوا فى اليمن وأسرهم فى مصر لا تعرف عنهم شيئا ، ان مشهد الصباح كان فوق ما تحتمله عواطفى ، لقد جاءت الخطابات من القاهرة للجنود ، وضعتها امامى على منضدة وبدأت أوزعها ، وتجمع الجنود وبدأت أنادى على صاحب الرسالة الأولى وبسرعة الريح كان قد خرج من الصف وخطف من يدى الخطاب ، وأخذت انظر اليه وهو يقرأ الخطاب خارج الصف أو الطابور ، واذ بدموع غزيرة تنساب من عينيه ، لا ادرى حتى هذه اللحظة لماذا ؟.. ربما يكون الحنين ، ربما يكون خبر سيىء ، ربما أى شيء ولكنه بكى ، ونظرت الى الطابور الواقف امامى فوجدته مائلا استعدادا للركض لخطف الخطاب ، وناديت على الثانى وركض وبدأ يقرأ الخطاب ، واذا به ينهار ويبكى بصوت عال لقد مات ابنه الذى ودعه وكان عمره عامين ، ثم ناديت على الثالث ، وأعطيته رسالته ، فوضعها فى جيبه دون أن يقرأها ، وعندما سألته عن السبب قال لا اريد أن انهار كما انهار اصدقائى لا يمكن ان تكون هناك اخبار سارة من القاهرة اننى ارعى اسرة كبيرة ، وهذه الاسرة تضيع عندما اغيب عنها وناديت على الرابع .. ولم يرد أحد .. ونظرت فى وجوه الحاضرين .. ورفعت صوتى اين العسكرى محمد .. محمد استشهد محمد استشهد .. كان مرحا .. ضاحكا .. وكان قد كيف ظروفه على هذه الحياة القاسية ، كان فى العشرين من عمره .. زهرة ناضرة .. اختطفت وتماسكت .. الرسالة الخامسة .. استشهد يا افندم .. والسادسة نزل امس الى القاهرة بعد ان فقد بصره وساقه اليمنى .

نعم .. نزل الى القاهرة بعد أن فقد بصره وساقه اليمنى .. ولم أتمكن من توزيع الرسائل وطلبت احد الجنود ليوزع الرسائل ، لقد شاهدته صباح أمس وسأقول لك بصراحة ، كان المفروض أن أكون اليوم فى القاهرة استطعت أن أحصل على تصريح من القائد لمهمة فى القاهرة ، لم تكن المهمة سوى انزال بعض ما اشتراه القائد من عدن عن طريق احد التجار ، وقبلت هذه المهمة لأراك وارى ولدى واسرتى وذهبت الى مطار الرحبة وجاءت السيارة الروسية تحمل جهاز اللاسلكى لانزال الطائرة الأولى ووصلت

الطائرة ، واندفع بعض الضباط داخل الطائرة ، وجاء الجرحى ، لم يكن لهم مكانا على هذه الطائرة ثم اقلعت فى طريقها الى القاهرة وجاءت الثانية وكان هناك عشرات من الجرحى فى طريقهم على غير اقدامهم الى بلدهم ، كان من الممكن أن اركب هذه الطائره ، الا اننى كنت أمام اختيارين ، اما أن احـــد الجرحى لا يركب الطائرة أو أنا ، وفضلت ان يركب مكانى جــريح فى حالة خطرة ، الكل فى حالة خطرة بعضهم يصل الى مستشفيات القاهرة وبعضهم يموت فى الطريق ولكنهم جميعا سعداء لأنهم سوف يدفنون فى تراب مصـــر وجاءت الثالثة ، وقال القائد لن اســـمح بركاب معى . انا فى طريقى الى الحديدة والطائره مليئة بالمفرقعات ولن أجازف بأى راكب من صـــنعاء . وعدت الى حيث كنت ، وما ان رآنى القائد حتى سألنى عن عدم ســـفرى واخبرته القصة كاملة ، قصة الجرحى ، والمفرقعات ، وكان ســـؤاله .. وأين الصندوق ؟..

— سيدى كان هناك عشرات التوصيات ، الصندوق فى السماء ، على اول طائرة فى طريقه الآن للقاهرة ..

وقال .. لقد حاولت أن اخـــدمك ، تذهب وترى اسرتك وتوصـــل الصندوق لبيتى .

— وما الحل ؟.

قال القـــائد :

— سأتصل باللاسلكى لينتظره غيرك ، ثم اضاف ..

— وعليك الآن الذهاب الى وحدتك .

وذهبت الى وحدتى .. اجمع رسائلك ورسائل أسرتى واعيد قراءتها واسترجع كل ما كتبته لك ، حتى كان الصباح ، حيث جاء احد ضـــباط الأمن ، وجلس معى ، واخبرنى بالرقم الذهب لشهداء ثمانية اشهر كل شهر الف شهيد ، ولا أحد يعرف متى يتوقف نزيف الدم على هذه الجبال اللعينة انها قصة بلا نهاية ، ومحيط بلا شاطىء .. اننى لا اعـــرف الى اى مدى انتصرنا والى اى مدى انهزمنا انى لا أعرف والى أى مدى سيكون انتصارنا، والى أى مدى ستكون هزيمتنا .

نحن نحارب الآن الغيب ، وفى الغيب ، لا يستطيع أن نحدد لنا عدوا واضحا كما لا نستطيع أن نحدد لنا صديقا واضحا ، الكل يخشى الكل ، والكل يترقب الكل .. والذين ملكوا شن الحرب لا يملكون اليوم وقفها ،

والذين يملكون وقفها يريدون لها الدوام والاستمرار ، ويريدون بحور الدماء لكى تستمر بحور الذهب والفضة ، اننى فى حالة من الشك ، اننى أريد مهمة محددة المعالم ومعروفة الأهداف ، لها نهاية كما كانت لها البداية . .

وانت — يا زوجتى — وسط كل هذا تريدين بيتا فى جاردن سيتى ، وسيارة ، وبعض ما حرمت منه ، وأخيرا — زوجتى — أنت تريدنى أن أحارب من أجل شقة من الحراسة ، والانسلاخ من طبقتى ، وشعبى يجد قوته اليومى بصعوبة ، أنا لن تهون مصر على بكل تاريخها ، أنا لن تهون على نفسى ترابها ، وفتيانها ، والذين يدفنون بالجملة فى هذه الأرض ، لن تهون من أجل سيارة او طائرة او بيت على النيل ، والا ما الفرق بينى وبين البدو ولواء الصندوق . وما الفرق بينى وبين رجل قبيلة لا يعرف لماذا يحارب ؟.

لا . . لن أتحول الى تاجر حرب ، أو ثرى حرب ، سأظل أنا ، مقاتلا مصريا ، يدافع عن مصر ، وترابها ومبادئها فى أى مكان وفى كل مكان .

زوجك



الرسالة الرابعة

القاهرة فى يوليو ١٩٦٣

آه يا زوجى من رسالتك الماضية ، احزنتنى وأرضيتنى فى نفس الوقت. أحزنتنى وأنا أراكم تتساقطون كأوراق الخريف بينما أنتم فى الربيع . أحزننى المشهد المؤلم لتوزيع الرسائل ، وانتظار وصولك ، وانت واقف أمام الطائرة .

وأرضيتنى لأننا بدأنا نقترب من التفكير فى حرب اليمن ، فأنا كنت أراها استنزاف لطاقات مصر بغير فائدة على مصر ، وكنت تراها معركة مبادىء فى سبيل مصر ، أنا لا أعارض التضحية من أجل شعب عربى مسلم له تاريخ وحضارة كشعب اليمن ، ولكنى اعترض بشدة أن نموت فى اليمن ، انها أشبه برب أسرة قتل نفسه لمرض أصاب ابنه فالابن سيشفى يوما ما ، ولكن سيظل دائما فى احتياج الى والده .

لسنا امريكا ذات المصادر والموارد المالية والبشرية اللامنتهية ، نحن دولة خرج الاستعمار من ديارها منذ سنوات قليلة ..

لو تأتى الى القاهرة لتشهد آثار حرب اليمن فى كل بيت ، او تأتى لتشهد الطوابير التى تبحث على كسرة خبز ولا تجدها ، لأن مصر فى أزمة اقتصادية حقيقية . وتصور المهزلة الكبرى ، سأل احد الصحفيين مسئول مصرى عن الأزمة الاقتصادية فى مصر . فبدلا من أن يجيبه ، سأله :

— اين تقيم ؟

فقال فى الهيلتون ..

— وماذا تناولت فى العشاء أمس ؟.

فقال الصحفى :

— دجاجة .. وبعض السلاطا .

فقال المسئول :

— كيف تكون هناك ازمة اقتصادية وقد تناولت دجاجة « وسلاطا »

بهذه البساطة ينظر المسئول للازمة الاقتصادية التى تمر بها البلاد ، والناس لا نجد البيضة التى تأتى من هذه الدجاجة .

والناس هنا من شدة الأزمة يريدون السفر الى اليمن ، وكافة وسائل الاعلام تحجب الحقيقة عن الناس فى مصر ، والناس هنا قانعون بما تقدمه لهم أجهزة الاعلام ، والبعض « يفلسف » الأمور ويقول اذا كانت هنا أزمة ، فان أولادنا فى اليمن فى بحبوحة وهم لا يعلمون أن أولادهم يدفنون فى اليمن، وتفصل رءوسهم عن أجسادهم .

والعائد من اليمن ، كأنه العائد من « الجنة » ان جريحا كان عائدا من اليمن وخرج من المستشفى بعد علاجه ، ولم ينسى أن يانى معه من اليمن شابا فاخرا وكان معه ٥٠٠ جنيه مصرى وفى طريقه الى قريته التى تقع على بعد عدة كيلو مترات من شبين القناطر ، نزل من الأتوبيس فى المحطة الرئيسية للمدينة ، وبدأ السير على الأقدام فى طريقه الى القرية ، وشاهد سيارة الشرطة النجدة فأوقفها ، وركب معهم لتوصبله الى بيته ومن شدة سعادته بالعودة والسلامة معا ، ومن شدة سعادته بما جمعه من اموال فى اليمن ، أخبر الشرطى والسائق فحاولا أخذ كل شىء منه .. فقاوم .. وقاوم .. وقتلوه وأخذوا منه كل شىء .. واكتشفت الشرطة الجريمة الشنيعة ولم تنشر ولكنها كانت حديث مصر كلها ، واعدم الشرطى والسائق فالناس لا تدرى ماذا يحدث فى اليمن ، وشعبنا لم يكن تصدر عنه مثل هذه الأفعال حتى الخارجين على القانون كان لديهم الرحمة .

زوجى ...

لا تفكر فيما كتبته فى الرسالة السابقة ، فأنا آسفة ، فلا تهمنى السيارة ولا جاردن سيتى ، ولا شىء فقط يهمنى أن تعود سالما من اليمن ، فأنت كل ما أرجوه .

ان الدافع وراء هذه المطالب أن كل من يجد فرصة ينتهزها . وكأننا فى سفينة تغرق ، لا تصدق ما يحدث هنا . ولن تصدق . لقد وصل أمر المشير مثلا لشركة نصر للسيارات لتسهيل حصولكم على السيارات وخرجت من هذه الشركة مئات السيارات بأسماء ضباط فى اليمن ، وهؤلاء الضباط هم أصدقاء مدير مكتب المشير ، وهؤلاء الضباط هم كل من فى الوسط الفنى ، المطرب المغمور أصبح رائدا والراقصة أصبحت ملازما ويأخذون هذه السيارات ويقومون ببيعها فى السوق السوداء بضعف ثمنها .

وحرب اليمن ، والقتال على الجبال ، بعيدة كل البعد عن تفكيرهم ، المهم ان « تنتهز الفرصة » والا انتهزها غيرك .

فى قاموس اللهجة المصرية ، دخلت كلمات جديدة لم نسمع عنها الا اثناء هذه الحرب ، وكلها تشير الى ما وصلت اليه الحالة الداخلية من فساد ، وما وصل اليه الناس من نفاق ، أن اخطر ما قد يقتل هذه الامة العظيمة هو اختفاء كلمة الحق .

زوجى العزيز ..

ان لديك حس سياسى تحسد عليه ، اننى أسمع هنا على أن قوات الطوارىء الدولية سوف تغادر صنعاء لانها لن تستطيع ان تحل المشكلة وان العالم لا يريد أن يساهم فى حل هذه المشكلة ، والناس فى دهشة من امر مصر التى تنفق على قواتها وقوات الطوارىء الدولية والقوات اليمنية وعلى الجانبين .

ان العالم لو أراد أن يحل هذه المشكلة لامكنه حلها ، ولكن لا احد يريد حلها .. الكل يريد أن تستمر مصر فى التورط حتى تنتهى تماما .

الاتحاد السوفياتى لا يريد حلا لهذه المشكلة ، فان الوجود المصرى فى اليمن هو أعظم انتصار له ، كان ذات يوم يريد أن يصل الى المياه الدافئة واليوم وصل الى المياه الدافئة والحارة ، ولو خرجت القوات المصرية ، خرج السوفيات من اليمن .

ان الولايات المتحدة الامريكية تريد أن تظل مصر فى وحل اليمن ، تنفق كل ما لديها من مال وقوة ، حتى يتوقف نبض القاهرة الذى أعطى الولايات المتحدة الامريكية اكثر من صفعة فى أكثر من مكان فى العالم .

ان الدول العربية ، على حد سواء ، تريد ان ستستمر مصر فى حربها فى اليمن ، حتى تأمن شر التــدخل فى شؤونها الداخلــة ، سواء كانت هذه الدول سارية أو ملكية ، أو حتى بين بين .

زوجى ..

اليمن .. ثقل كبير على اكتاف هذا الشعب ، ومدحل خطير لمسيرة لا بحمد عقباها ، يكفى انها أفسدت الأحلاق ، وقد تسأل ما علاقة الأخلاق بحرب اليمن ، وهناك علاقة وطيــدة بين الاثنين ، وسأحكى لك ما حدث فى منزلنا فى الاسبوع الماضى .

جاء والدى كعادته للسؤال عنى ، وجاء والدك بعده واجمع النقيضان، الرافض والمؤيد ، ودارت مناقشة بين الاثنين حول حرب اليمن . لماذا نحن هنــا ؟ وما نهاية هذه الحرب ؟ .. واستمر النقاش ، ولم يمكن والدى من الدفاع ..

وقال له والدى مداعبا .

ــ اما انك منســـاق .. واما انك مستفيد مالـــا من وجود ابنك فى اليمــن .

وقد تكون دعابة ثقيلة من أبى .. ولكن والدك ــ سامحه الله ــ أبلغ اجهزة الامن عن رجل من الثورة المضــاد ورأســمالى مســتغل ، وانت نعلم أنه منذ الآن وضعوه تحت الحراسة وهو لا يكاد يجد قوته الضرورى.. واعتقل والدى فى فجر اليوم التالى .. وشعرت أن هــذه مسؤولتى ، فأنا القاتل والقتيل ، وعجبت من أمر دنيــا حرب اليمن ، عجبت كيف يمكن لرجل أن يشى برجل وهو يعلم انه فى طريقــه الى المعتقل لكلام فى الهواء لن يؤثر .. لرأى .. لمجرد راى . !

وقررت الافــراج عن والدى مهما كلفنى ذلك من جهــد ، وانا أعرف صديقة لى زوجها رجل هام فى اجهزة الامن هذه ، واخذت ما معى مــن أمــوال وذهبت الى احسن « جواهــرجى » فى القاهرة واشــتريت لهــا هدية ثمينة ، وزرتها ، وتحدثنا فى كل شيء ، ثم تركت لها الهدية ، وكانت مندهشة لتقديمى لها هدية بهذا السعر ..

فسألتنى :

ــ هل لك احد فى المعتقل ؟

فقلت لها ..

ــ والدى ..

ــ ولماذا ؟ ..

ــ ابدى رأى .. مجرد رأى .. عن وجودنا فى اليمن ..

وقالت بثقة :

ــ سيدق عليك الباب فى الصباح ..

ودق والدى الباب فى الصباح ..

والان .. أريدك أنت أن تدق الباب .. فى الصباح .. فى المساء ـ فى أى وقت .. فانى أريد أن ألقاك .

زوجتك



صنعاء فى نوفمبر عام ١٩٦٣ م

زوجتى ..

لو أنى أملك الاختيار ، لاخترت البقاء فى القاهرة لمدة طويلة ، ولكنى مقاتل ، وعلى أن أعود الى حيث يجب القتال ، شهرا ممتعا بين الاهل والاصدقاء ، بين نسمات الهواء الندية ، وبين الناس البسطاء الذين يعيشون فى هذه المدينة الحلوة .

زوجتى ..

هل اهمس فى أنك ، لقد افسدتنى كثيرا هذا الشهر ، حتى ان الطائرة عندما بدات تهبط فى مطار صنعاء ، شعرت وكأنها تدخل أجنحتها فى جسدها وتتحول الى شبه صاروخ تغوص فى قناة مظلمة تصل الى مركز الارض .

بلادى — زوجتى — ما أجملها ، وما ارقها ، وسكانها ، وما اكرمهم ، وما ابسطهم .

ونزلت من الطائرة ، ووجدت المشهد القاتل أمامى جرحى ، ومقاتلين فى انتظار السفر الى القاهرة ، وركبت السيارة الى صنعاء ، وهناك الى الغرفة التى يسيطر عليها شبح الموت ، غرفة تخرج رجالا يدفنون فى اليمن .

ها قد قدت الى الغرفة اللعينة ، واليوم تبدأ حياتى التعيشة ، بين العدو والمجهول والحرب والبارود .

وتركت الغرفة ، بعد أن وضعت امتعتى ، وبدات السير فى شوارع صنعاء ، اشاهد جنود بلادى وهم فى الاسواق يشترون أى شىء ، ولا أحد

يعلم ما اذا كانوا سيعودون الى بلادهم ومعهم هده المتسريات . أو سنسلب منهم فى المواقع أثناء القتال .

كدت أختنق فى هذه الشوارع فيقال ان نسبة الاوكسجين فى صنعاء اقل بكثير من نسبه الاوكسجين فى القاهره ، ورئتى ما زالت معوده على نسمات القاهرة الغنية بكل شىء حتى الأوكسجين .

ثم ــ بعد هذه الجولة ــ فى المدينه العيسة ذهبت الى مقر القيادة مشيا على الأقدام ، ووجدت مشاهد غريبة فى هذه القيادة ، الرجال هنا مستريحون ، يتحدثون فى أمور خطيرة تكاد تقتلنى بلا انفعال ، وكأنهم فقدوا ردة الفعل ، أو تجمدت أعصابهم .

كان هنا الفريق أنور القاضى ، وكان الحديث عن قوات الطوارىء الدوليه ، وعن شهداء الجبل الأسود ثم جاء صلاح قبضايا الصحفى المعروف لعمل مقابلة مع الفريق أنور القاضى ، وسأذكر لك أهم ما قاله الفريق أنور القاضى . سأله الصحفى :

ــ ما هى الفوائد العسكريه لحرب اليمن ؟

وقال له الفريق القاضى :

ــ اذا اعتبرنا حرب اليمن مشروع قتالى فانه لا يعلم القتال الا القتال ولذلك فان هذه الحرب سوف تصقل المقاتل المصرى ليحارب فى أقسى الظروف فى المستقبل .

زوجتى ..

المشروع باللغة العسكرية هو مناورة ، أو تدريب شاق للجنود ، ثم بعد هذا السؤال سأله الصحفى ..

ــ وما هو الموقف العسكرى الان ؟

وقال الفريق أنور القاضى :

ــ أن رجالنا يسيطرون على اليمن ، والحالة هادئة الا من بعض المناوشات من هنا وهناك ، وجنودنا يقفون بحزم ضدها .

ــ والى متى ستستمر حرب اليمن ؟

وقال الفريق أنور القاضى :

ــ حتى يتوقف الطرف الآخر عن القتال ..

وسأله الصحفى ؟



الفريق أنور القاضى ، رجل مقاتل وقائد ممتاز وله رأى يخالف رأى القيادة فى حــرب اليمن ، الا أن عليه أن يسمع الاوامر ، جرىء كان على رأس قواته التى اقتحمت ذات يوم مدن شمال اليمن .

ـ كم تكلف قواتنا فى العام الواحد فى اليمن ؟..

وضحك الفريق أنور القاضى وسأله :

ـ الست مصريا ؟

ـ نعم ..

ـ وأين ستنشر هذا ؟ ..

ـ فى الصحافة .

ـ أى صحافة ؟ .

ـ سيدى .. سأنشره على ورق مطبوع ، يوزع على الناس ، فى يوم ما من الايام . قد يكون غدا ، وقد يكون بعد أعوام ، ولكننى يا سيدى لابد أن أنشره ، واوزعه لكل قراء العربية ..

وضحك الفريق .. وانتهى الحديث .. وخرج الصحفى .. وبدانا التعقيب ،

وسأصف لك اطراف الحديث ، الفريق انور القاضى ، رجل مقاتل ، وقائد ممتاز ، وله رأى يخالف القيادة فى حرب اليمن ، الا أن عليه أن يسمع الاوامر ، جرىء ، كان على رأس قوات اقتحمت ذات يوم مدن شمال اليمن ، متزوجا وبلا أبناء ، بعد هذه الحرب سيحصل على اجازة طويلة يقضيها هو وزوجته فى رحلة حول العالم ، يحلم بهذه الرحلة ، ويعد لها ، اشترى ماكينات للسينما ، وبعض الافلام ، وحقائب ، واعد نفسه لهذه الرحلة ، أمله أن تنتهى هذه الحرب ويعود الى القاهرة ليقود ذات يوم القوات المتجهة الى فلسطين المحتلة ، يريد أن ينهى حياته العسكرية بانتصار كبير على الاسرائيليين ، بعدها يترك الحياة العسكرية ويعيش حياة مدنية هادئة .

اللواء عبد المنعم خليل ، وقد رقى لهذه الرتبة ويطلقون عليه « رجل الاستراتيجية » هادىء ، يستطيع أن يضع خطة عسكرية لا يضعها الاكبار العسكريين فى العالم ، لا يتحدث كثيرا ، واذا تحدث ابتسم حتى فى احلك الاوقات ، متزوج من سيدة مثقفة فاضلة وله أسرة صغيرة مكونة من ثلاثة أفراد ، رغم صغر سنه ، الا انه يشعر انه أب لكثير من أفراد هذه القوات المنتشرة فى اليمن .

ضابط . لا اذكر اسمه حاليا ، فى الاربعين من عمره ، مهمته ارسال الجواسيس من عملاء القوات المسلحة المصرية الى مراكز اليمنيين ليأتوا بأخبار عن تحركاتهم ، أثرت فيه حرب اليمن ، فهو لا يقاتل ، ولكنه يتلقى الكثير من المعلومات . وهو أول من أطلق على هذه الحرب ، حرب« تـح » أى حرب تحسين حالة ، أى انها الحرب التى يأتى اليها يحسن حالته المالية .

العميد محمد أحمد قاسم رجل خفيف الظل ، لم يتزوج ، أشقر ، ورغم ذلك كأنه ولد فى اليمن ، وهو ضابط القبائل ، يذهب الى القبائل ليعاشرهم معهم . ويعيش حياتهم ويعرف اسرارهم ، يقدم لهم «هدايا المتيسر» وهى عبارة عن آلاف الريالات من الفضة حتى لا يهاجموا القوات المصرية أو يفصلون الرؤوس عن الأحياء .. متى تنتهى حرب اليمن ، أو حتى لماذا نحارب فى اليمن ، ولقد أدى هذا الرجل خدمات جليلة للقوات بما له من صلات مع رجال القبائل ..

والطرف الاخير فى هذه الاطراف .. انا .. كما تعلمين زوجتى .. مقاتل فى اليمن .. لا يهمك من أمر رتبتى شيئا . قد أكون جنديا .. وقد أكون قائدا .. لا أنا ـ كما تعلمين ـ لست قائدا ، أنا مثلى ، مثل هؤلاء الآلاف المنتشرين على جبال اليمن ، أنا مصرى ناصرى ، ترك زوجته وولده وجاء الى اليمن . ليحقق مبادىء يؤمن بها ، وعاش شهورا فى اليمن يقاتل ، ولم يفقد ايمانه بالمبادىء ، مرت عليه حالات شك فيما يؤمن الا أنه يبحث فى هذه القرية عن مبرر دائما لوجوده فى اكثر من الشك ، انه يؤمن بالوجود فى اليمن .

وبدأ الحوار بعد خروج الصحفى .. وكان أول من تحدث الفريق ..

ـ ماذا يحدث فى مصر .. او علم الناس مجريات الامور فى اليمن ؟.

ورد أحد الحاضرين :

ـ لن يحدث شىء .

وعندما سئل لماذا ؟ قال :

ـ شعبنا قانع .. بكل شىء .. وأى شىء ..

ورد أحد الحاضرين :

ــ لا .. لقد تحمل شعبنا كثيرا .. وقاوم كثيرا .. الا أن الاجهزة كانت أقوى منه .. والانسان .. أى انسان لديه قدرة تحمل .

وقال آخر :

ــ تحمل الى درجة انه اصبح جالية داخل بلده ..

ان آخر نكتة تقول .. نحن الجالية المصرية فى الجمهوريه العربية المتحدة نؤيد حرب اليمن ..

وحسم الفريق أنور القاضى النقاش .. بسؤال عن الشيخ الغادر للعميد محمد أحمد قاسم ..

سوف تذهب اليه فى الجبل الاسود بعد غد ..

زوجتى ..

وكنت مع العميد قاسم فى الرحلة الى الشيخ الغادر ، طبعا لم يذكر اسمه فى صحف القاهرة ، ان كل مقاتل هنا يعرف الشيخ الغادر ، انه فى نظرى حقيقة اليمن الوحيدة . فهو وحده أكد أن الصراع فى اليمن ، هو صراع بين مصر والمملكة العربية السعودية ، وأن المسرح هو أرض اليمن ، وهذه القوات تحارب فى البداية فى صفوف الملكيين نظرا للعطاء السخى الذى يقدم اليهم من السعودية وفى نفس الوقت عندما تتوقف السعودية عن العطاء يبدأ الشيخ الغادر معنا .

والشيخ على الغادر من أخطر رجال القبائل ، بل انه أخطرهم على الاطلاق وان مجرد ذكر اسمه بين القوات قد يثير الرعب ، وكثيرا ما كان فى أيدينا ولكننا لا نستطيع أن نقول له شيئا ، فانه ذكى ، وانه أحيانا ما يكون همزة الوصل بين الملكيين والجمهوريين ، وكثيرا ما باعنا لهم ، وكثيرا يضم ما باعهم لنا ، واستطاع ذات مرة أن يقيم فى بيته ضابط مصرى موفد من المشير وأن يضم الأمير عبد الله الحسن ، ولا أحد يدرى منهما بوجود الآخر ، كان يفاوض الاثنين فى وقت واحد .

وبدأنا الرحلة بعد الغداء .

القافلة مكونة من سيارة نصف لورى ، نجلس ثلاثة فى المقدمة ، العميد محمد أحمد قاسم ، والسائق وأنا ، وتتقدمنا سيارة مصفحة لحمايتنا من

« ركاب الجبال » وسيارتنا بها فى الاسفل حمولة ثقيلة هذه الحمولة هى « الهدية » .. وهى عبارة عن ريالات يمنية فضية سيقوم العميد قاسم واللواء عثمان نصار قائد المحور الشمالى يأخذها اليه فى صباح اليوم التالى واهدائها للشيخ على الغادر .

وسألت العميد ..

— وكم تبلغ قيمة الحمولة التى نحملها ..

وقال الرجل .. بعد أن تنفس تنفسا عميقا ..

— ٢٥٠ ألف ريال ..

— وكم تبلغ قيمة الريال .

— له سعران .. السوق السوداء وصل الريال بجنيه .. وسبب ارتفاع سعره أن اليهود فى عدن يشترون الريال اليمنى لأنه من الفضة الخالصة ، استعدادا للرحيل من عدن .. ولكن السعر الرسمى فان الجنيه ريالين ونصف ..

— الست معى ان المبلغ كبير ..

وقال العميد محمد أحمد قاسم ..

— كبير .. انه جزء ..

ان الغادر شيخ قبائل بكيل ، انه ساحر ، يامر قواته أن تقاتل فتقاتل ، لا يهم من تقاتل ، يستطيع أن يوجه هذه القبائل كيفما يريد .. يعتبر هذا المبلغ وسط اتفاقات اليمن مبلغا زهيدا جدا ..

— وكيف تم الاتصال به ؟

— عند الجبل الاسود .. رجل اسمه الشيخ طلوعى وهو يلتقى باللواء عثمان نصار وبينهم صداقات ، والشيخ طلوعى يرتب هذه المقابلات .

— ومتى سيكون الموعد ؟ .

— نحن سنقضى الليلة فى الجبل الأسود .. مع اللواء عثمان نصار ..

— الى أى مدى انت مؤمن بالحرب فى اليمن ..

— يا سيدى ...

— ومتى ستنتهى ..

— يا سيدى ..

— وكم قتل من شبابنا .

— اسمع . لا أريدك ان تلقى على الكثير من الاسئلة ، دعنى لا أفكر ان الفكر فى هذا الزمان هو آفة البشر .. المهم اننى فى طريقى الى رحلة ،

ومعى هذه الاموال ، وعلى أن اقدمها للشيخ الغادر ثم أعود الى صنعاء ، يكون الغادر قد انضم الى الجمهوريين ، أو جمهر بالتعبير الشائع هنا ، أو على الاقل أوقف هجماته عن قواتنـا فى اليمن ، فلا يدفن من شبابنا الكثير ..

وساد صمت طويل .. ولا أدرى زوجتى ما اذا كان يفكر فيما طرحته من أسئلة .. أم ماذا ؟ .. ولكنه قطع فترة الصمت قائلا :

ـ تصور اننى اخشى على نفسى بقيـة حياتى .. لقد انقذنى الله فى اليمن ثلاث مرات .. ولكى انسى أيامى أعود الى القاهرة سأشرب حتى الثمالة ، وأقامر ، وأعيش فى غيبوبة كالموت ..

ـ لكننا تعرضنا هنا للموت .. وانقذنا الله ..

ـ لا .. موتى كان من نوع آخر . لقد كان بالسم .

ـ بالسم .. كيف ؟

ـ نعم بالسم .. هى عادة قبلية .. لانى ضابط شؤون القبائل . فلا بد ان اقبـل دعوتهم على العشـاء .. ومن كثرة عملى اصبحت معروفا لدى الملكيين ، وارادوا قتـلى .. وفى احدى العزائم دسوا السم لى فى الطعـام وعدت الى صـنعاء .. وحرارتى مرتفعة .. وبعـد دقائق تحول جسدى كله الى حبيبات حمراء وكاننى قـد اصبت بالحصـبة ، ولو أن الاطباء فى صنعاء قد مرت عليهم هذه الحالة لكنت فى عداد الشهداء غسلوا لى المعدة ، ونقلوا لى الدم ، واعطونى اكوام من الادوية ، ونقلت الى المستشفى وعدت لوظيفتى اللعينة كضابط شئون القبائل .. وتكررت المأساة أكثر من مرة .. ولكنى كنت أشفى أسرع ، ربما لأن جرعة السم الأولى قد جعلت عندى مناعة . وربما اصبحت خبيرا فى طعم السم .

اشفقت عليه ، انه يسرد الحكاية بشكل روتينى . وكان الموت فى اليمن أصبح بالنسبة له كالطعام والشراب والتنفس .. ورغبت فى تغيير الحديث .

ـ لماذا انت الضابط الوحيد الذى يحمل عصا دائما معه .

ـ هل أقول لك ولا تخبر أحداً ..

ـ نعم ..

لأننى أتحدث معها كل مسـاء .. يا عصـاتى .. والى أين أسـير ؟ يا عصاتى العمر قصير .. والقتـال فى اليمن مرير والعـدو فى مصر على السرير وضحكت .. وضحكت طويلا . وضحك معى ...

— أنت تقول شعر .

— أنا لا أعرف الشعر .. ان رجلا آخر في الجبل الأسود هو الذى كان ينشدها ويضع ما يريد من بدل .. يا عصاتى .

غريب أمر هذا السائق الذى يقودنا الى الجبل الأسود ، لا يضحك ولا يتكلم ،ولا يبتسم ، ولا ينظر الى اليسار أو اليمين ، آلة تقود السيارة وحاولت ان أخرجه من صمته ..

— ما اسمك ؟ .

— محمود ..

— من أين ؟

— من أسيوط ..

— متى تعود الى أسيوط يا محمود ..

— غير واضح ..

— هل تحب البقاء فى اليمن ؟ ..

— لا .. فى أسيوط .

— هل لديك مشاكل ؟ .

— ...

— لا شيء يهم ..

ووصلنا الى الجبل الأسود .. ويبدو أن اللواء عثمان نصار كان يرصدنا من بعيد ، اذ انه كان فى انتظارنا على باب موقع قيادة المحور الشمالى .. وقال على الفور ..

— لماذا تأخرت يا قاسم ؟

واللواء عثمان نصار شخصية نادرة الوجود ، انه لا يكف عن الضحك انك تستلقى على قفاك من الضحك من كثرة نوادره ، وكل نوادره عن القتال فى اليمن ..وأمر الجنود بتفريغ الأموال الفضية الثقيلة التى وضعت فى أكياس وحمل كل اثنين كيسا واحدا ووضعوها كأكياس الأسمنت فى غرفة القائد ، ثم أمر احد الضباط وقال له :

— اذهب واحضر الشيخ طلوعى ..

— اليوم أنتم محظوظين .. فان الألغام قد أتت بثلاث عنزات .. وسنأكل العنزات الثلاث حتى نموت .. ان الموقع محاط بالألغام ،

وكثيرا ما تشرد العنزات وتسقط في حقل الالغام ، فيخرجون منهـــا الشظايا وتكون وليمة فى المواقع البعيدة عن صنعاء ، لأن ولائم صنعاء من القاهرة بالطائرة رأسا .

وجاء الشيخ طلوعى ، رجل طاعن فى العمـــر ، نحيف القوام ، صلب العود ، أبيض اللحية ، له ابتسامة ثعلب ، وعينى صقر . وقال له اللواء عثمان نصار :

ـــ لقد وصلت الفضة .

فقال الشيخ طلوعى :

ـــ غدا سيأتى رسول من الغادر .. ولا بد أن نتناول الغـــداء فى دارى تكريما للعميد قاسم ..

وقال لى العميد قاسم :

ـــ ان شاء الله .

فرد اللواء عثمان نصار :

ـــ واين الذهب ؟ ..

ـــ موجود ..

واخرج الشيخ طلوعى كيسين بداخلها جنيهات من الذهب .. ووضع امامنا هذه الجنيهات الذهبية وبدأ يعد ألفين من الجنيهات ..

ووضعهما جانبا ثم بدأ يعد أكياس الفضة ، واخذ الشيخ طلوعى المبلغ هذا حامله فوق ظهره وذهب بالفضة ..

وبدانا العشاء .. عنزات بالألغام ..

وذهبت اخلد للنوم فلقد كانت رحلة شاقة فى كل شيء ..

وجاء الصباح ، وسألنى اللواء عثمان نصار :

ـــ هل استطعت أن تنام ليلة البارحة ؟ ..

ـــ نعم ..

ـــ لقد حدثت معركة استمرت طول الليل ..

ـــ من كثرة ما حضرت من معـــارك أصبح لدى القـــدرة على النوم رغم انغام البارود ..

واستمر الحديث حتى اقترب موعد الغـــداء عند الشيخ طلوعى ..

وركبنا بسيارات الجيب فى الطريق الى الجبل الذى يقيم فيه الشيخ طلوعى .. كان بانتظارنا عند سفح الجبل .. وصعد الرجل امامنا بسرعة لم اتمكن انا الشاب من مجاراته فيها ، ووصلنا الى قمة الجبل حيث يوجد مسكنا .. ودخلنا ..

وجاءت صنية عليها قطع من اللحم ونحت اللحم شيء ما لا أدرى حتى هذه اللحظة ما هو ، تقدم الشيخ طلوعى وضرب يده فى كل قطعة لحم يذوقها ، ثم وضع يده تحت قطع اللحم وأدارها فى كل الغذاء ثم ذاق الطعام ..

وقال لى العميد قاسم :

ـــ انه يأكل أولا من كل مكان ، ومن كل قطعة لحم ليؤكد لنا أنه لا يوجد سم فى الطعام ـــ آه ـــ يا زوجتى ـــ السم .. وتذكرت حديث العميد قاسم ، وسألت نفسى ، وما شأنى بهذا كله .. لماذا قبلنا الغذاء ، لماذا نضع السم فى أفواهنا كارهين وبأيدينا ؟ .

.. وبدأت فى تناول طعام مشكوك فى انه ممزوج بالسم .. وحاولت أن ابلعه ، الا أننى لم أتمكن رغما عنى .. بل وكدت أن أعيد الى الخارج كل ما يحتويه جسدى .. وشعرت بعرق بارد ينصبب من جبينى لماذا لا نموت فى اليمن الا بالسم والخنجر أو رصاص الدمدم ، لماذا نضرب دائما من ظهورنا ، ثم لماذا نقبل الاستمرار فى هذه الحلقة المفرغة ؟

وانتهت حفلة « السم » .. وبعد أن انتهينا من الغداء .. قال الشيخ طلوعى .. الآن الغادر فى انتظارنا ..

ـــ أين ؟ .

ـــ على مقربة من هنا ..

وأمر عثمان نصار بعض الضباط الذين حضروا الحفل أن يذهبوا والعميد قاسم لاحضار شحنة الفضة ، وانتظرنا فى سفح الجبل .. وعلى الفور قام الضباط ، وجلسنا قليلا ، ثم بدانا نهبط الجبل فى الطريق الى السفح فى انتظار سيارة الفضة . وجاءت السيارة بعد قليل وبدات القافلة تسير ، والقافلة مكونة من مدرعة ، ثم سيارة اللواء ، ثم سيارتنا ثم سيارة الفضة ، ومدرعة أخرى للحراسة . سرنا خمس كيلو مترات فى طريق وعر ، ثم همس فى اذنى العميد قاسم قائلا :

ـــ نحن الآن فى عرين قبائل بكيل .. ان طلقة واحدة تكفى لان تشتعل هذه المنطقة كلها بالنيران ، لقد اعد الشيخ طلوعى هذا اللقاء ، وكان

اللقاء فى عرينهم ، انهم يخشون دائما الغــــدر ، انظر حولك على قمم هذه الجبال لتعلم اين نحن الآن ..

ونظرت الى الجبال حولى انها أشـــــبه بأشجار الخريف التى امتلأت بالغربان السود آلاف يقفون فوق القمم ، يحملون البنـــــادق فى أيديهم ، ونحن نسير فى الوادى تحت رحمة نيرانهم ..

سرنا حوالى ساعة .. ثم وقفت المدرعة ، ووقفنــا ونزل الجميع .. واذا بنا فى العراء ، أو فى دائرة سهلة تحيط بها الجبــال من كل اتجــاه ، لا يوجد سوى حائط من الحجارة ، ولا أدرى ما هو هذا الحائط .

ووقفنا جميعا تحت رحمــة نيرانهم ، وبعد دقائق طويلة وجــدنا من يهبط الجبال ، واقترب الهابطون ، رجل نحيف ، متوسط الطول ، رجل ذو ذقن رمادية ، حافى القـــدمين ، يربط فى خصره خنجـــرا ، وفى يده اليسرى بندقية ، وخلفه ما لا يقل عن خمسين رجلا .. واقترب أكثر .. وقال لى العميد قاسم .. ها هو الغادر ؟ ..

واقترب الرجل أكثر .. وها هو أمامنا ، رجل غير عادى ، واكثر ما يميزه عينين صغيرتين صـــادقتين وحادتين فى نفس الوقت ، هــــادىء الأعصــاب ، كأنه يعيش حالة ثأر دائمـــة .. وصافحنا وحـــده ، ولم يصافحنا أحد .. ثم اخذ اللواء عثمان نصـــار الى ناحيـــة بقايا الحائط الحجرى .. ثم دار همس طويل .. ثم طلب منا اللواء المشـــاركة ..

قال عثمان نصار :

هل تعلم أن لدينا طائرات ، ومدافع ، وقنابل ، ومتفجرات ، ورجالا لا يفنون ..

وقال الغادر :

ـــ أعلم .. ولكن رجالى لا يعلمون ..

وقال اللواء ..

ـــ وهل تعلم اننا نستطيع أن نحارب الى ما لا نهاية هنا فى اليمن ..

وقال الغادر :

ـــ ورجالى لا عمل لهم الا الحرب ..

وقال اللواء عثمان نصار ..

ـــ لماذا لا نبنى بما ننفقه المدارس والمستشفيات ..

وقال الغادر :

— انا أعلم معنى ما تقول .. ورجالى لا يعلمون معنى مدرسة انهم يحاربون « الجمهورية » لأنها فى نظرهم امرأة ..

وقال اللواء عثمان نصار :

— ألم تحاربوا الامام من قبل ؟

قال الغادر كثيرا

قال اللواء :

— اذن لماذا تشنون الحرب اليوم على الذين يحاربون الامام ؟

قال الغادر :

— لأننا نريد ذلك .

قال اللواء :

— ومتى تتوقفون ؟

قال الغادر

— ومتى نلبى جميع طلباتى واقابل عامر ..

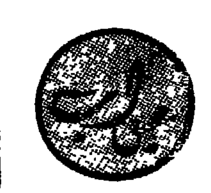
ثم اضاف الغادر :

— سوف يتوقف القتال شهرا اقابل فيه عامر وتكون مطالبنى قد تحققت وصافحنا .. وذهب مع الرجال الى قمة الجبل .. وتركنا له الفضة واتجهنا الى الجبل الأسود . ولقد كان للرجال مطالب مالية ومطالب سياسية ، وقضينا الليلة فى الجبل الأسود ، وعدنا الى صنعاء فى الصباح .

وكانت هذه الرحلة ، هى نقطة تحول فى كل افكارى .. نقطة تحول خطيرة ..

وقبل ان اقول لك الى اللقاء ، ارجو أن ترسلى كل ما ترغبين فيه من اليمن ، وأسواق اليمن حاليا ، أصبحت عامرة الى حد بعيد .

زوجك



الرسالة الخامسة

القاهرة فى أول فبراير عام ١٩٦٤

زوجى العزيز ..

وصلتنى رسالتك وكنت افكر فى اعياد راس السنة ، وتذكرت انه منذ سنوات لم نقض سويا هذه الاعياد ، تمنيت ان تبقى حتى نقضيها سويا ، لاننى سئمت رؤيتها فى الافلام والتليفزيون والصحافة ونسيت ممارستها الا أن هذا العام سوف أذهب فى منزل احدى صديقاتى لأقضى هذا العيد .

رسالتك هذه تنقلنى بحق الى مناخ اليمن ، والآن عرفت ما معنى الغادر وحاشد وباكيل ، والقتل بالسم والخنجر ، وتحسين الحالة ، والجبل الأسود ، واكاد اكون صديقة لكل ما ذكرتهم لى فى رسالتك وهذا قدرنا أن يكون اللقاء فيما بيننا دائما على ورق وعلى بعد مسافات طويلة . .

ولقد سعدت بأنك قررت أن تلبى لى مطالبى من اليمن ، أخيرا أصبحت « رجل من رجال العصر » ، فأنا ما أريده سبق وكتبت لك عنه ، فلو انك تذكر رسالتى ، تذكرت ما أريده ، وسأضعك فى هذا الامتحان .

واريد أن أقول لك كم نكون ابننا سعيدا وهو بجانبى فى سيارتنا الجديدة تطوف سويا شوارع القاهرة نذهب الى افخم النوادى ، نذكر هذا جبدا وانت تحقق لى ما اريده . وتطل هذه الاسرة على مصنوعات القرن العشرين فى أسواق اليمن ! . .

شـهرا جميلا رائعا قضيته معك فى بلادنا المسالمة الحالمة الهادئة الصبورة التى لا تعرف الكثير ، شـهرا سأحلم به حتى تعود مرة اخرى ونعيشه بعيدا عن الجبال والقتال ، وبين اسرة صغيرة ، وعالم جميل .

زوجى ..

اعلم انك تريد دائما أن أكتب لك عن اليمن فى القاهرة ، كان بودى أن تكون رسالتى لك عن غير هذا الموضوع ، الا اننى اعلم انه كل حياتك، وما يحدث فى القاهرة يؤثر تأثيرا مباشرا على طلقات الرصاص فى جبالكم اللعينة .

فى ديسمبر الماضى ، وصلت الى ميناء الطور فى سيناء أول قوات عائدة من اليمن على ثلاث بواخر مدنية تابعة لشركة الملاحة البحرية التى أصبحت تعمل على خط الأدبية الحديدية فقط . وذهبت مع آلاف ، بل ملايين المصريين الى مدن القناة لاستقبالهم ، فهم سيسيرون فى القناة حتى بور سعيد حيث يقام لهم احتفال كبير ..

وبين الكتل البشرية وقفت أنظر الى البواخر الثلاث وهى تعبر القناة ، والناس تهتف لها ، تهتف لهؤلاء الذين انقذهم الله من الموت فوق جبال اليمن .

لقد شاهدت يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩٦٣ مصر وهى تحتضن برفق ابنائها العائدين من حرب قاسية لقد شاهدت مصر وهى تبكى وكنت أبكى معها ، فرحة بعودة هؤلاء وحزنا على استشهاد الآخرين .

خرج الفقراء البسطاء فى قوارب صغيرة ، يلقون على الجنود بالفواكه والورود على طول الطريق من مدينة السويس الى الاسماعيلية والقنطرة حتى بور سعيد ..

وفى بور سعيد ، كان الرئيس جمال عبد الناصر فى استقبالهم ، وكان لقاء حارا بين الزعيم والجنود العائدين ، وكنت على مقربة من هذا المشهد .

ليس سرا اننى اشعر بحب شديد لهذا الرجل عندما أراه ، وارفض الكثير من أعماله عندما أناقشها ..

لن تصدق ان قلت لك اننى كنت أنظر له باعجاب شديد رغم اننى اعرف خفايا اليمن .



لقد شاهدت يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩٦٣ مصر وهى تحتضن برفق أبنـائها العائدين من حرب قاسـية ..

وفى المساء وقف الرجل يخطب فى الجماهير ، وشعرت انه يفقد السيطرة على نفسه عندما يرى هذه الجماهير لقد تحدث طويلا ، تحدث عن اليمن ، وثورة اليمن ، وانجازات ثورة اليمن ، ثم تحدث عن فلسطين. ومحاولة اسرائيل تحويل روافد نهر الأردن بالقوة ، وقال انه لا بد من منع اسرائيل من تحويل روافد نهر الأردن بالقوة ، أيضا وفى سبيل ذلك . لابد من انعقاد مؤتمر للقمة .

ولم نكن نتصور أن القادة العرب سيقبلون اجتماعا للقمة ، وأخذت أرسم صورة لشكل هذا اللقاء ..

كيف يلتقى عبد الناصر والرئيس السورى أمين الحافظ ؟ ولقاء السلال بسعود ؟ ولقاء الملك حسين بعبد السلام عارف ؟ ..

وتمت الموافقة على قمة عربية فى القاهرة ، وخرج الشعب المصرى ربما لشهد هذا اللقاء المثير ، أكثر من ترحيبه بزعماء الدول العربية ..

كان الرئيس جمال عبد الناصر بالأمس فقط يؤكد « اننا لن نحكم من خلف أسوار الحريم » مستمرا فى معركته الساخنة مع الملك سعود ، ونزل الملك من الطائرة يمسك عصا فى يده ، ويكاد لا يرى امامه ، وأشفق يومها الشعب المصرى على هذا الملك ، فهذا الشعب — زوجى العزيز — يصعق عندما يرى عزيز قوم ذل .

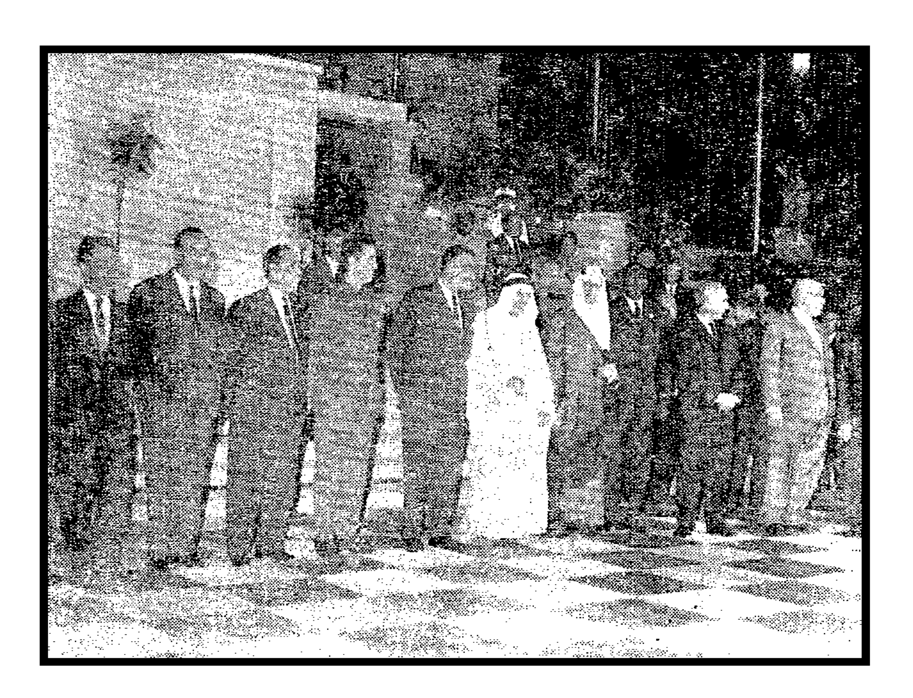
وجاء الملك حسين ، واثار اعجاب الناس لا احد يدرى لماذا أثار اعجابهم ..

ونزل أمين الحافظ .. وكان مشهدا مضحكا حقا ، لقد دفع بصدره الى اعلى ليصافح عبد الناصر ..

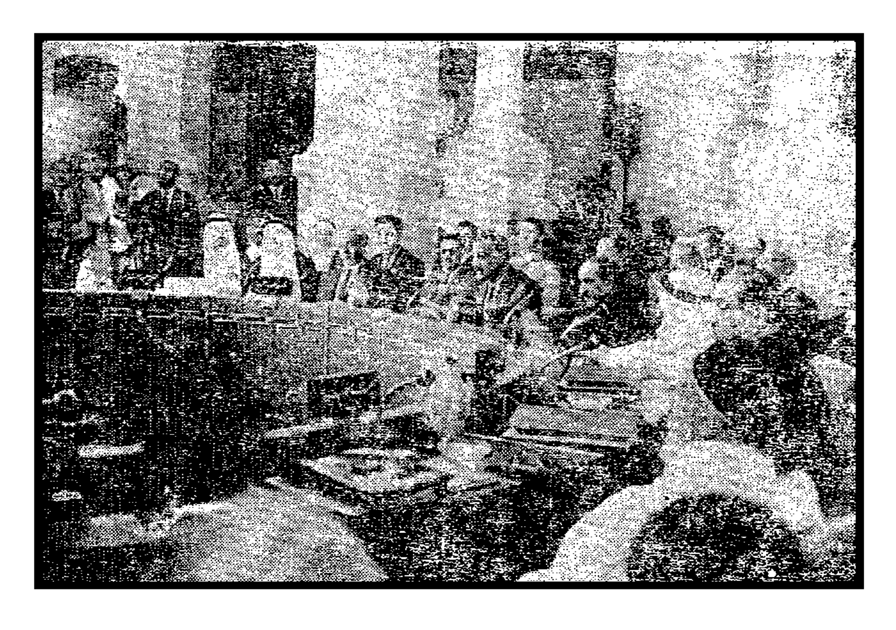
كان الملك سعود قد فقد فى المملكة السعودية سلطانه ، فقد كل شىء هناك الا الاسم وأصبحت كافة الأمور فى يد الأمير فيصل .

والملك حسين جاء ليفتح صفحة جديدة فى القاهرة مع الرئيس جمال عبد الناصر .

وأمين الحافظ قالوا له ان جمال عبد الناصر يصافح بطريقة معينة يبدو فيها المصافح انه ينحنى له ، وسمعت بعد ذلك أنه قام بهذه التجربة



لم نكن نتصور أن القادة العرب سيقبلون اجتماعا للقمة



واجتمع الملوك والرؤساء فى القاعة المستديرة الحمراء فى الجامعة العربيه

عشرات المرات قبل حضوره الى القاهرة وكانت القمة مهمة لكل ملك .
ولكل رئيس كانت القمة للسلال ــ مثلا ــ الحصول على الشرعية العربيه .
وكانت القمة لعبد الناصر محاولة لانسحاب كريم من اليمن ، وكانت القمة
للملك سعود محاولة لاستعادة قوته فى السعودية ، وكل هذا تحت مظلة
الاستعداد لمعركة عسكرية ضد القوات الاسرائيلية .

واجتمع الملوك فى القاعة المستديرة الحمراء فى الجامعة العربية تحت
جدول أعمال ، وجاء الخبراء ، المهندس أحمد سويلم يتحدث عن تحويل
نهر الأردن . الفريق على على عامر يتحدث عن القوات المسلحة العربية
وامكاناتها ، ولكن المحادثات الثنائية يحاول كل انسان ان يحقق ما يريد
دعما لوجوده ودعما لسياسته .

ولكن . مصر لم تجد من تحاوره فى القمة الأولى الملك سعود لا يملك
أن يتحدث حتى باسمه شخصيا ، لا يستطيع أن يوقف او يستمر فى حرب
اليمن .

وانتهى الاجتماع .. وذهب كل ملك ورئيس الى حيث جاء ..
واستمرت حرب اليمن .

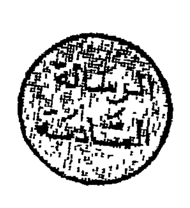
زوجى ..

هل تصدقنى عندما اقول لك انى اشفق على عبد الناصر ، اشفق عليه
من كل شىء ، انه يتصور انه يصنع الصحيح ، وانه يريد وقف الدم فى
اليمن وانه يريد لشعب اليمن كل حرية واستقرار .. ولكن دائما تأتى
الرياح بما لا تشتهى السفن .

آه .. لو أخذ الرأى .. آه لو سمع النصيحة .. آه لو انتظر حتى
يعلم ما يدور فى اليمن .. آه لو علم طبيعة قبائل اليمن .. وجبالها ..
آه لو قرأ تاريخ اليمن .. لما دفعنا فى اليمن .. نبيل الوقاد وعلى مراد ،
وسليمان ، وعبد الله ، ومحمد وعوضين وكل هؤلاء الشباب .. ولما
كانت اليوم مقبرة لزهرة شباب مصر ..

آه لو علم قبل أن يقدم .. وآه لو تراجع قبل أن يتورط .. ولكن
هذا هو قدرنا .

زوجتك



صنعاء : فى ١٩٦٤

زوجتى ..

لقد حاولت خلال الأسابيع الماضية الا اكتب لك حرفا عما رايته ، لأنك فى الموقف الأكثر خطأ ولأنك فى الموقف المعارض دائما ، ولا اريد أن اناقش معك هذا الموقف ، فلديك الأسباب المقنعة ، وهى أسباب خاصة ولكنى أنظر للموقف من وجهة نظر أكثر اتساعا ، وساعطى لك مثلا بسيطا ، وهو انك اذا رغبت فى تناول « البيض » لا بد أن تكسريه ، فما بالك بحماية ثورة ؟ .

ولقد توقفت عن الكتابة لأن ما رايته كان بشعا الى ابعد حدود البشاعة ، ولكن نظرة أكثر اتساعا قد نجده عملا ضروريا لحماية الرئيس السلال ، واليك — زوجتى — الحكاية من بدايتها ..

كما اخبرتك فى رسائل سابقة ، فاننا لم نجد شكلا حقيقيا من أشكال الحكومة ، وساعد على عدم ظهور قوة الحكومة وجود القوات المصرية فى اليمن .

رغم ان قائد القوات العربية — وهو أعلى سلطة عسكرية — لا يتدخل فى الشئون الداخلية الا فيما يتعلق بأمن القوات المسلحة المصرية .

وأهم الكثير من الأحداث الداخلية ، قرار الرئيس عبد الله السلال تشكيل « جهاز حكومى عصرى » ، أنا أتصورك الآن تبتسمين عندما قلت لك « جهاز حكومى عصرى » .. ولهذا وقبل أن ادخل فى الموضوع أرجو أن أهمس فى اذنك ، أنت تتصورين أنى أعمى لا أرى ، وانى منساق وراء الزعيم ، واحيانا تشككينى فى كل شىء .. واننى ادافع عن قضية خاسرة ..

سأردد لك ما سبق أن ذكرته فى رسائلى السابقة .. واذا كان من بين سطورها شك فان مردوده اننى أكتب لك ..

اليمن ـ زوجتى ـ كانت فى حاجة الى ثورة .. والثورة كانت فى حاجة الى حماية .. والحماية لا تتوفر الا لدينا .. فهل نترك ثورة دون حمايتها .. مهما كلفنا ذلك من جهد ومال .. وشباب ..

الخلاف بيننا كالتالى :

زوجة أقليمية التفكير وزوج قومى الأمل والتفكير ..

زوجة تنظر للمستقبل القريب ..

وزوج ينظر للاجيال القادمة ..

زوجة تكره الرئيس جمال عبد الناصر دون ابداء الأسباب ..

وزوج ناصرى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى وعمل وأهداف ..

زوجة متطلعة الى طبقة أعلى ..

وزوج مؤمن بالطبقة التى ينتمى اليها ..

زوجتى ..

هذا التناقض لا أريده . حتى لا اخفى عليك حقيقة واحدة ، ولا تبنى فى روح الانهزامية ، ولا تجعلينى أتصور أننى أدافع عن قضية خاسرة . أعود معك الى أحداث اليمن .. والى « الجهاز الحكومى العصرى » .. فمنذ فترة وفى ١٣ ابريل ١٩٦٣ اجتمع فى العاصمة ممثلون عن معظم أنحاء اليمن لمناقشة وضع دستور دائم بدلا من الدستور المؤقت ، وفى نفس الوقت تم تشكيل المجلس الجمهورى برئاسة اللواء عبد الله السلال ، وتشكيل المجلس التنفيذى برئاسة عبد اللطيف ضيف الله ، كما تقرر اقامة برلمان ، ويتكون هذا البرلمان من ٢٥ عضوا يمثلون كافة الأطراف فى اليمن ، ولكن يبدو أن كل هذا مجرد حبر على ورق ، وما اراه أن لا أحد يحكمه أحد فى اليمن ، ولا أحد محكوم لأحد فى اليمن ، والكثير لا تعنيه أمور اليمن كوطن ، فى كثير أو قليل ، وأنا ـ المصرى ـ أحزن لكل ما اراه فى اليمن لأن اليمن يمكنها أن تكون غير الذى تراه الآن ، انها تحتاج الى اخلاص قليل ، فتأتى بثمار عظيمة ، ان ثروات اليمن فى كل مكان نقول انا هنا ، ثروات زراعية ، وثروات طبيعية ، وثروات معدنية ، بل يقال هنا بترول ، لقد حدثتك فى رسالة سابقة عن المستشفى الذى جاء ، هكذا اليمن .



اجتمع السلال برجال القبائل لتشكيل « جهاز حكومي عصري في اليمن ! ! ! »

بعد هذا الشكل العصرى للحكومة سافر السلال الى الخارج واسند الى الرجل القوى حسن العمرى مسئولية قيادة الدولة فى غيـاب السلال .

وأثناء سفر السلال . أعلن حسن العمرى عن اكتشاب مؤامرة لقلب نظام الحكم .

زوجتى .. لا ادرى لماذا اشك فى مثل هذه المؤامرة فلا يعقل ان تحاك مؤامرة ويتصور مخططوها انها يمكن أن تنجح فى ظل هذه الألوف من القوات المصرية .

وبدأت الفوضى تعم صنعاء ، عشرات تم اعتقالهم ، واتصور أن العداء الشخصى لعب دورا فى الاعتقال ، فربما كان هناك من يعترض على الأسلوب، ولكن لا اتصور من يعترض على النظام ويفـكر فى تغيير بالقـوة ، وأطلق الرصاص من يمنيين على يمنيين فى شوارع صـنعاء ولم نتدخل فى هـذا النزاع الداخلى ، كل ما فعله الفريق أنور القاضى انه طلع على بعض التقارير عن هذه المؤامرة لمعرفة مدى خطورتها على أمن القوات المسلحة المصرية .
وعاد السلال الى اليمن .. وبدأت المحاكمات .. وانتهت المحاكمة باعدام تسعة من الأفراد والسجن مدى الحياة لاثنى عشر ..

آه .. الاعدام ! ..

والف آه .. على !! السجن !!

لا شىء تغير كثيرا فى الوسائل من حكم الامام الى الحكم الجمهورى ..

قد تكون عادة يمنية .. ولكنها ــ مهما كانت ــ فهى حتى ضد الانسانية
هل لديك ــ زوجتى ــ القدرة لتحمل مشهد الاعدام فى اليمن .. لا اتصور .. ولكنى سأحاول أن أخفف من حدة الصورة .. وانني أكتب لك لانني أشعر انني أحمل أثقالا .

أنت تعلمين مدى قدسية الجسد لدينا ، وقد يكون هذا التقديس تقليد مصرى قديم ، لذلك فمشاهدة الاعدام بالنسبة لى ، رغم اننى أرى القتل بالجملة ، أمر ليس سهلا على نفسى ، وبالامس شاهدت الاعدام فى اليمن فى ساحة من ساحات اليمن ، تجمع عدد من الجنود فى شكل دائرة ، ثم فجأة تجمع الناس لمشاهدة « يوم الاعدام » ثم جاءت سيارة بها المتآمرين على الرئيس السلال . ودهشت ، فانهم يرتدون ملابسهم العادية ، ونزل الأول فى وسط هذه الساحة ، وعجبت ، فهو لا يرتدى سلاسل . وعينيه

مفتوحتين . وينظر الى النــاس بعينين لا تحمــل اى معنى ، لا أحــد يقف بجواره ، فى مركز الدائرة وقف ، ثم ركع ، ثم خفض رأسه الى اسفل ، لم يطلب منه أحد ذلك ، وكأنه أعدم قبل ذلك . وظهر رجل طويل ، يحمل سيفا ، وتمتم السياف ببعض كلمات ثم رفع السيف بيديه الى أعلى وفى لحظة كان السيف ينزل على رقبة الرجل ليفصل رأسه عن جســده ، ثم يأتى آخر ليأخذ رأسه ، واثنين لحمل جســد القتيل ، ثم يدخل المتآمر الثانى وتدور اللعبة .

آه .. كم تحملت من مشقة انسانية ونفسية وأنا أشهد هذه الرؤوس وهى تنفصل عن الجسد بهذه السهولة .. وكدت العن الثورة والثوار .

الا ان اليمنى يفضل الاعدام عن السجن ، لأن السجن هو أقسى سجون العالم .. سجن بلا غرف ولا أســوار .. انها « فن العــذاب والتعذيب »، ان السجن عبارة عن حفرة متر ، فى نهايتها وتد مدقوق ثم ينزل السجين هــذه الحفرة ويربط من يديه ورجليه فى هــذا « الوتد » ، ويظل هكذا سنوات ، يقدم له الدقيق والماء كالكلاب ، يقضى حاجته وهو مربوط فى هذا الوتد ، لا يهم اذا كانت الشمس حارة ، أو اذا كان هناك مطرا ..

ويظل هكذا سنوات ومعظمهم ماتوا فى هذه الحفرة اللعينة .

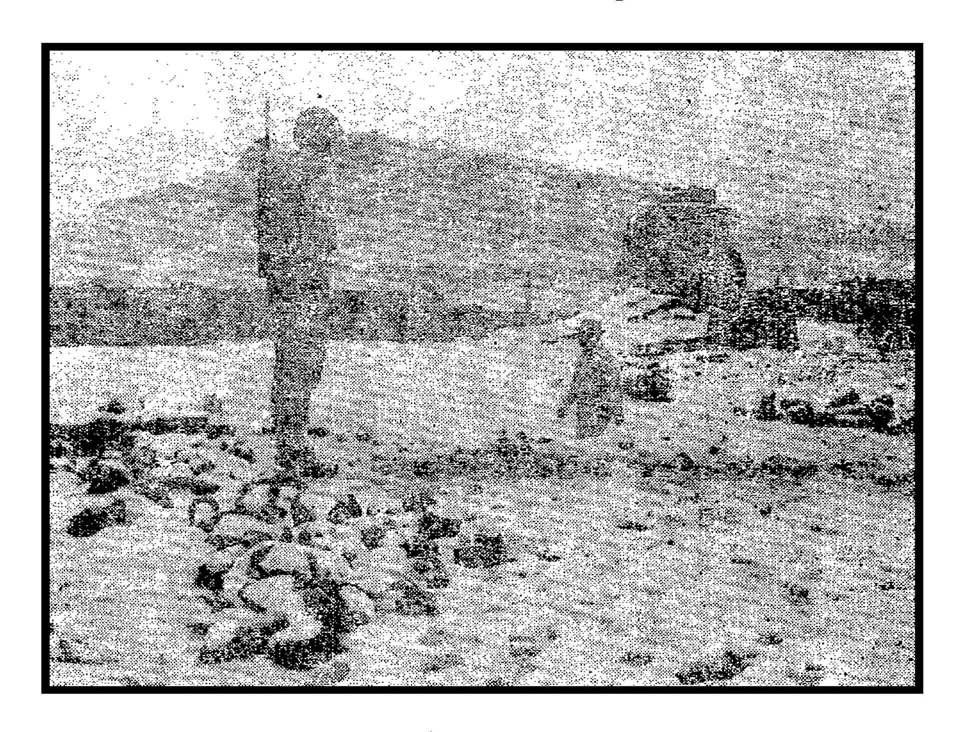
ونحن هنا فى أرض عجيبة .. عجيبة فى كل شيء .. نحن فى أرض هى عار فى جبين الانسانية .. كل المجتمع البشرى .

والى اللقاء

زوجك



اقول لك ان مصر فى حاجة الى ابنائها الذين يقاتلون فى اليمن ، فان الاعداء فى الداخل أضعاف أضعاف الأعداء فى الخارج ..



عودوا من اليمن لكى نبنى مصرنا .. وان لم نقضى على اعداء الداخل .. فسوف يلعننا كل جيـــل قادم ..



الرسالة السادسة

القـاهرة : سبتمبر ١٩٦٤

زوجى العزيز ..

وجاءت الرسالة .. وقرأتها .. وما زلت أقرأها .. ولقد انتابنى مشاعر شتى .. شعور بالخوف . فأتصور أحيانا جسدى بلا راس ، وشعور بالأسى وأنا أسمع منك هذا التقرير عنى .. وشعور بالحاجة .. الحاجة اليك لمهام أكبر من هذه المهمة .. وقبل أن أواصل حديثى معك عن القاهرة .. لا بد وأن أدافع عن نفسى كمواطنة مصرية .. تعيش مع زوج على اقل تقدير يجب الا يكون هذا التناقض بينهما ..

آسفة اذا قلت لك أنك أعطيت مختارا لفكرك وتفكيرك اجازة ، لقـد ضربت عرض الحائط بالمنطق ، واندفعت بلا تفكير وراء « خلود الفرد » وأنا عندما أفكر ، وأفكر مع زوجى فلقد حدث التناقض .. أرجوك أن نناقش قضايانا بعقل سليم .. وبفكر منفصل ..

تقول فى حديثك عنى اننى اقليمية التفكير .. بل العكس صحيح .. أنت أجبرت على أن تكون أقليميا .. لأنك اخترت اما أن تكون كل الأقاليم فى هذه الأمة تفكر بفكرك ، وتنشد نشيدك ، وتبرر اخطاءك ، واما فهذه الاقاليم عدوة ، ولم يعد لك سوى حدود هذا الاقليم للتعامل والتعاون والتقارب ، والدليل ان مصر الآن لا تتعامل الا مع اليمن وبقوة السلاح . فأنت الأقليمى المجبر ..

تتهمنى بأننى انظـر المستقبل القريب « أى قصر نظـر » .. واقول ليتنى قد ولدت بلا راس يفكر ، وكنت فى نظرك الآن بعيدة التفكير .. أكرر لك أن مصر فى حاجة الى بناء .. وان الاعداء فى الداخل أضعاف أضعاف الأعداء فى الخارج .. والعدو الداخلى أخطر بكثير من العدو الخارجى .. وان لم نقضى على أعداء الداخل .. ونبنى مصرنا .. فسوف يلعننا كل جيل قادم ، لأن بناء مصر لهذا الجيل .. وكل جيل قادم ..

تقول انني اكره الرئيس جمال عبد الناصر .. اطلاقا لا اكرهه .. بل ان نظـرتي اليـه تختلف عن نظرتك له .. انت تعتبره معصـــوما عن الخطأ ، انت تعتبره اله .. وأنا أعتبره ثائرا وزعيما .. ورئيس دولة .. وانه يجب أن يناقش .. وأن اى خطأ يرتكبه يؤثر فى مصير أمة وشـعب .. ولأنه يرفض الحوار ، ولانه لا يقبل النقاش فان الصواب من وجهة نظره خطأ ... والخطأ صواب ، ان الناس الآن تناقش الالهة .

تقول انني متطلعة الى طبقات أعلى ولو انى أفكر هذا التفكير الضيق ؛ لما كان اعتراضي على وجودك فى اليمن فان دخلك فى اليمن اضعاف أضعاف دخلك فى القاهرة ، وبهذا الدخل ، وبغيره من الطرق السائدة فى مصر استطيع أن أتسلل الى غير طبقتى من طبقات .. ولكن نظرتى للامور أرحب بكثير .. انها نظرة مصرية ترى أموال بلدها تهدر كل يوم فى اليمن ، وشباب بلادها تدفن كل يوم فى اليمن ، وبلادها لم يبق فيها ما تدفعه فاستدانت لتدفع ، وسيسدد هذه الديون الأجيال القادمة التى تتحدث انت عنها ..

وكم بودى أن يحمل البريد رسالة منك تجيب على هذه الأسئلة :

١ ــ هل وافق الشعب على ارسال القوات الى اليمن ؟

٢ ــ هل يعرف الشعب حقيقة ما يجرى فى اليمن ؟

٣ ــ هل تستطيع أن تدلنى عن مكان الذين اعترضوا على ارسال قوات الى اليمن ؟

٤ ــ هل مصر قادرة على الاستمرار فى اليمن ؟

٥ ــ هل بنينا الجيش ليحارب فى اليمن ؟

٦ ــ اذا شنت اسرائيل ــ وهى العدو الحقيقى والأوحد ــ على مصر هجوما .. فهل نطلب منها مهلة حتى نسحب قواتنا من اليمن ؟

معـذرة زوجى فى هذه الجملة الاعتراضية الطويلة .. معـذرة بمشهد الاعدام فى اليمن .. ومحاولتك أن تقول لى ان هذا حماية السـلال .. وأحداث مصر .. .. وفراقك عنى .. كل هذا وضعنى فى حالة انتحارية .. لا أتصور أن يحدث كل هذا لشعب فى السلام بنى حضارات ، وفى الحروب التى هددت وجوده حقق انتصارات ، اخشى على هذا الشعب من حرب غير مقنعة هى حرب اليمن .

زوجى ..

بعد عودتك من مصر .. ورأيت فيها ما رأيت . كتبت لى رسالة رائحتها ذكية ، كانت أشبه أنين مستتر لوجودكم فى اليمن ، واليوم تكتب عن اقتناع ، فهل مشهد الاعدام أقنعك ؟ ام حالة مصر المتدهورة اقنعتك ؟ ام بيوت الضباط فى مصر التى تحولت الى متاجر من بضائع اليمن قد جعلتك تؤمن بأن جيشنا فى اليمن محارب ؟ ..

لا .. يا زوجى ..

سأظل أقول أن حرب اليمن تنهك قوانا ، وان انهاك قوى مصر ليس لصالح مصر .. ولا لصالح اليمن نفسها ، انى اتصور ان الثورة قد قامت لأسباب كثيرة ، ولكن السبب الرئيسى لما حدث لها فى فلسطين اثناء حرب عام ١٩٤٨ ، وان من الأهداف الستة للثورة ، أو أهم الاهداف على الاطلاق « بناء جيش قوى » ، واتصور أن بناء هذا الجيش لمواجهة اسرائيل ، ولا يمكن ان أتصوره فوق جبال اليمن يحارب عدوا أنت بنفسك قلت عنه « انه الغيب » وانكم تحاربون الغيب بالغيب ! ..

سأسألك زوجى العزيز ..

هل تدرب طيارونا على ضرب مطارات اسرائيل ؟

هل تدرب رجالنا على اقتحام النقب والوصول الى بير السبع ؟

بل هل تدرب رجالنا على حماية الممرات ؟ ..

هل يعلم افراد القوات المسلحة ابن سرم الشيخ ، وعلى اى ساحل تقع نهاريا ، وماذا فى حيفا ، وكيف الهجوم على يافا ؟ ..

انى اسمع صرواح ، والجبل الأسود ، وصعدا ، والحديدة ، ونجران ، وجيزان ، والجوف ومأرب ، كلها أسماء مدن لسكنى أشقاء حتى او اختلفنا معهم ..

زوجى .. انا لا اطيقكم تقاتلون فى مدن تحمل هذه الاسماء .. فالأعداء لا يسكنون الجبل الأسود ، ولا مدينة صرواح ، ولا حتى مأرب ، انهم فى يافا ، وحيفا ، وتل أبيب ، وبير السبع والمرشراش ..

زوجى ..

ناقشنى .. واقنعنى .. أو اقتنع منى ..

سأخطرك فى هذه الرسالة الى ما وصل اليه الشعور العام فى مصر بالنسبة للقوات المسلحة ، هنا ، من كثرة الضغط ، والفقر ، والتردى الاقتصادى ، تحول الشعب داخل بلاده الى جالية ، كالجالية اليونانية والجيش كأى جيش احتلال ، يخشون منه ، لا يتعاطفون معه ، وانت

نعلم انه حتى فى الظلام يكسب هذا الشعب رايه بالنكتة ، والنكتة التى تقال الآن أن مدنيا تشاجر فى الطريق العام مع ضابط بسبب خلاف حقيقى ، وانضم الى المدنى ثلاثة مدنيين آخرين ، وساقت الشرطة الجميع للتحقيق ، فأبدى المدنى الأول سببا وجيها للخلاف وكذلك الثانى ، وسأل الشرطى المدنى الثالث : وأنت لماذا ضربت الضابط ..

فرد عليه : تصورت أن الثورة انتهت .. فنزلت فيه ضربا مبرحا ..

وهذه النكتة تحولت الى حقيقة فى حادثة سأرويها لك :

أنت تعلم أن كل من قال « لا » وكان يملك شيئا بسيطا وضع تحت الحراسة كوالدى مثلا ، وأصبح هناك عمارات الحراسة كثيرة ، واصبح من حق المحاربين فى اليمن الحصول على شقة خالية من شقق الحراسة : واحد من الضباط طلب شقة من هذه الشقق ، فأرسل له السيد على صبرى خطابا يقول له أن هناك شقة سوف تخلو فى شارع الجمهورية وذهب الضابط ومعه الخطابات الى العمارة هذه واقتحم شقة هو واثنان مدنيان ، وأبلغ السكان الشرطة وجاءت شرطة النجدة على الفور ، وكان نصف العفش بالداخل والنصف الآخر فى الخارج ، وأغلقت الشقة على هذا الوضع ، ووضعت عليها « الشمع الأحمر » ، وساقوا الجميع الى الشرطة ، وفى الشرطة كان هناك العداء واضحا بين القوات المسلحة ورجال الشرطة ، كما كان العداء واضحا بين سكان العمارة والرجل المقتحم ، واهين الضابط فى قسم الشرطة ، ولكن فى الصباح بعد الاتصالات احسنت معاملته بالأوامر .. المهم انه حصل على شقة الرجل الغائب .. غياب القانون فى بلدى ..

حتى أنا عندما رويت لى هذه القصة لم اكن متعاطفة مع رجل القوات المسلحة وزميلك ، وتصور اقتحام البيت واخذه ! ..

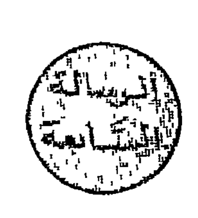
والآن أين القضاء ؟

- والآن .. اين أمن المواطن ؟ ..

وبهذه المناسبة ، فان الطلب الذى قدمته ، قد نجح ، وسوف أتحرك من مصر الجديدة الى شقة رائعة فى جاردن سيتى ، حتى أستطيع أن اقول ذات يوم اننى استفدت كونى زوجة رجل من القوات المسلحة ، ولبس من افراد الجالية .

وبعد أيام سأذهب الى حاوان لاستلم السيارة نصر ١١٠٠ ، وسوف آخذ وحدى وأدور به كل مكان فى القاهره ، وسأكون نصف سعيدة لأنك لن تكون بجوارى .

زوجتك



صنعاء : ١٩٦٤

زوجتى ..

هل تسمحين لى فى بداية هذه الرسالة أن ارد على فقرة فى رسالتك تتهميننى بالتناقض ، بين مؤيد ومعارض لحربنا فى اليمن ، وتتهميننى بالتناقض بين الحب والكراهية لزعيم هذه الأمة ، لك الحق ، كل الحق فى هذا الاتهام ، فلقد كنت أرفض حوارا دائما بينى وبين نفسى ، كنت لا اريد أن ارفض الحرب فى اليمن ، ولا أريد أن ارفض أى خطوة يخطوها الزعيم . كنت أركض فى طريق واحد ، لا أرى ما على يمينى ، او على يسارى كل ما أريد أن أراه أو أصل اليه نقطة نهاية السباق ، ورغم اننى لا أراها ، كنت لا أريد ان اشك فى ذلك الرجل الذى تحدى الاستعمار البريطانى ،وهز عروش ، ومزق أحلافا عسكرية ، وقضى فى مصر على الاقطاع وغير فى خريطة المنطقة السياسية .. وكنت أريد أن أغفر له حربنا فى اليمن ، لذلك كنت احارب بدون نقاش ، وكلما رأيت الخطأ حاولت أن أبرره ، واخلق له ألف تبرير ، وأكرر ذلك حتى أصدق نفسى ، فمن الصعب أن أرى العملاق يخطىء ..

ثم اننى احب هذا الرجل ، فليس من السهولة أن أبدل مشاعرى كما أبدل ثيابى ولكن حكايتنا فى اليمن جعلتنى أعش فى فترة تناقض رهيبة ، كرحلة مرهقة بين الشك واليقين ، وبدأت الحوار العقلانى ، ونظرت حولى فى هذه الجبال ، ونظرت بامعان الى زملائى فى اليمن ، وبدأت أفكر ، وكلما « فكرت » تسرب الخوف الى قلبى ، وشعرت لأول مرة بالمطلوب منا ، كجنود فى اليمن ، وكشعب فى مصر مطلوب الا « نفكر » .. لأننا لو فكرنا » .. لأننا لو تأملنا لو « وقفنا » .. قد نكتشف ما لا يجب أن

نكشفه ، ونصــــل الى قناعات غير مطلوبة .. فالفـرق بينى وبينك انك فكرت ، وأنا رفضت الفكر والتأمل والمناقشة ، ولكن وجودى فى اليمن كان أكبر من أن تخفيــه اجهزة الاعلام التى تفكر بدلا منــا ، وأضخم من التبريرات ، وسوف يذكر التاريخ أن أكبر خطأ وخطيئة للزعيم هو الدخول فى هذه الأرض المجهولة .

زوجتى ..

أقول لك هذا بعـد أن انتهيت من معــارك مستمرة وطويلة ، ومريرة ، كانت دفاعية ثم هجومية ، لقد أعدوا الهجوم على صنعاء بشكل كبير ودقيق اتصور أن هــذه هى أكبر محاولاتهم وآخرها ، انهــا قد نظمت بطــريقة عسكرية لا أتصور أن احدا من اليمن قادرا عليها .

فى بداية الهجوم الملكى الكبير ، استطاعت هذه القوات أن تقطع الطريق على القوات المتمركزة ، وكانت تنشد بذلك امرين :

* تحييدها عن الدخول فى معارك .
* حصارها وتثبيتها فى مكانها .
* تصفيتها بعد الدخول الى صنعاء .

وتمكنت القوات الملكية من تنفيذ البند الأول والثانى ، وتم حصـــار مواقع كثيرة من قواتنا فى كافة المحاور ، بل عادت صنعاء محاصرة للمرة الثانية .

فى هذا الهجوم الكبير منهم ، ثم الهجوم الكبير منا ، سقط « أبنـــاء الأمة الواحدة » فى اخطاء تاريخية كلانا يريد ان يحرز النصر على الآخر ، كلانا يريد أن يدمر الآخر ..

وما حدث فى اليمن خلال الشهور الماضية ، لن يغفره التاريخ الانسانى لنا ولهم ، ولقد القوا من المدافع ذخيرة تحمل جرثومة الكبد والوبائى على قواتنا ، وبدأ هذا المرض اللعين ينتشر بين قواتنا ، وأصبحت الطائرات لا عمل لها الا حمل المصابين بهذا الوباء من صنعاء الى القاهرة ، لقــد فشلت البعثات الطبية العسكرية من السيطرة على هذا الوباء الذى انتشر بشكل خرافى بين الجنود ، وكاد هذا الوباء أن يشل حركة قواتنا فى اليمن .

واجتمع قادة القيادة العسكرية فى صنعاء لمناقشة هذا الأمر الخطير ، الخطير حقا ، وأكدت سرايا الاستطلاع أن هذه القذائف مقدمة الى قذائف جرثومية اخرى أشد فتكا ، واعلن فى هذا الاجتماع أن الملكيين يستعدون

لتفجير قنابل تحمل جرثومة « الطاعون » ، وخيم الحزن على الجميع من هذا الخبر الأسود فلقد وصلنا فى الحرب فى اليمن الى أبشع أنواع الحروب « حرب الجراثيم » ، بل واختار العدو أبشع أنواع الجراثيم فى حربه ضد قواتنا المصرية فى اليمن ، صحيح أن الجراثيم سوف تنشر فى كل اليمن ، ولكن ليس هذا الأمر هاما الى درجة كبيرة بالنسبة لأطراف الصراع .

والحل .. ارسلت القيادة العربية فى صنعاء تقريرا عاجلا الى القاهرة تطلب المشورة ، وجاء الرد .. استخدموا الغاز السام على مواقع الملكيين بشكل محدود ، والقيادة السياسية سوف تتصرف ..

واجتمع قائد القوات العربية فى اليمن بالطيارين ، يعرض عليهم أمر الحرب الوقائية التى تراها القاهرة ردا على بداية حرب الجراثيم ..

وكان راى الطيارين انه لا يجب أن ننساق وراء هذه الحروب ، فسوف تكون وثيقة عار فى جبين القوات المسلحة المصرية ، ورأى الطيارين تكثيف الغارات الجوية على الحدود الشمالية لليمن حيث معاقل الملكيين فى جيزان ونجران ، والاتصال بالسلطات السعودية للتدخل لدى الملكيين لوقف حرب الجراثيم ..

ولا ادرى تماما ماذا حدث بعد ذلك ، الا اننى أؤكد أن الجراثيم توقفت فى اليمن بعد أسابيع من هذا الاجتماع ، وقامت الطائرات بالاغارة بشكل كبير على جيزان ونجران وكل أماكن وجود الملكيين ..

لقد كان الطيران هو البطل فى اليمن ، فهو الذى ساهم فى رفع الحصار عن صنعاء ، وهو الذى طهر أماكن كثيرة من قواعد اليمنيين فى كل أنحاء اليمن .

لقد قاست قواتنا الكثير خلال الشهور الماضية وهى تفك الحصار عن القوات الاستراتيجية الموجودة فى اليمن .

لقد تم تقسيم اليمن عسكريا الى عدة محاور ، وان أهم المحور الذى ابتلع آلاف المصريين وهو المحور الشرقى الذى يبدا من صنعاء الى جيحانة، العرقوب ، صرواح ، مأرب .

فان مدينة مأرب ، بوجود قواتنا تستطيع أن تغلق الطريق أمام الامدادات العسكرية التى تأتى من السعودية الى بيحان (احدى امارات الجنوب العربى) تصل هذه الامدادات الى بيحان ثم الى حريب ، ومنها الى مأرب وصرواح والعرقوب وجيحانه الى القوات التى تحاصر صنعاء .

وهذا المحور من أوعر وأقسى المحاور أنهـا سلسلة جبلية عالبة ، والسيطرة على هذه الجبال تحتاج الى شهور من القتال ، ثم التسلق ، وبعد التسلق يحتاج من فى قمة الجبال الى امدادات مستمرة ، وحراسة دائمة فى ظروف من أقسى الظروف ، وفى طبيعة من اقسى ما يمكن أن يتخيله انسان ، فيبدو ان الجبال هنا مختلفة أيضا .

استطاعت قواتنا أن تشق طريقهـا الى صرواح ، وقد اشتبكت مع القوات الملكية فى قتال عنيف استمر أسابيع تكبدنا خلاله آلاف الشهداء . فان هذه القوات تسير فى هذه الطرق لأول مرة وحاولت القوات أن تتجه من صرواح الى مأرب الا أنهـا لم تتمكن من ذلك ، وسقطت فى عشرات الكمـائن ، وقتل الكثير فى محاولة الوصول الى مأرب ، الا أن القـوات الموجودة فى مأرب ترسل لها الامدادات والتموين بواسطة الطائرات ورغم أنها تعـانى مشـاكل قتالية الا أنها لا تعانى مثل القـوات الموجـودة فى صرواح وجيحانة .

المحور الثانى ، تقدمت قوات من صنعاء فى حماية الطيران فى طريقها الى عمران ، ومن عمران اتجهت شرقا الى مدينة اسمها « الخراب » المطحنة ثم اتجهت جنوبا من الحزم الى مأرب حيث استطاعت أن تفك الحصار عن هذه المدينة .

وخلال القتال : استشهد الآلاف فى هذا المحور الوعر الصعب ، ولكن أمكن فك الحصار عن قوات كثيرة محاصرة فى مواقع فوق الجبال .

ثم المحور الثالث : وهو المحور الشمالى الذى يصل صنعاء بصعدا ، وكان اجتيازه مثالا رائعا للعسكرية المصرية .

المحور الرابع : وهو المحور الساحلى لتأمين القوات من الساحل ، ومن الحديدة الى ميدى (نقطة التقاء الحدود السعودية باليمن) .

والآن .. أصبحت قواتنا الآن فوق الجبال ، وفى المدن ، وعلى الطرقات جيش كامل محارب ، نحتـاج فى كل يوم ما لا يقل عن اثنين مليون من الجنيهات انفاقات ، وطبعا تسمعون فى القاهرة من وقت لآخر أسماء تسمع لأول مرة فى آذانكم ، وقد تتساءلون ما هذه الأسماء ، أسماء المعارك . « معركة الجبل الأسود » « معركة الجبل المعكوف » « معركة الجبـل المخروم » .. ففى اليمن جبال قاسية لها أسماء ، وكان للسيطرة على هذه الجبال بقوات نظامية ، وأسلحة ثقيلة شهادة خارقة للقوات المصرية .

والآن .. هل انتهت المعارك فى اليمن ؟

أبدا .. ما انتهت .. انهم الآن يبنون أسلوبا جديدا فى القتال .. يمكن أن نسميه عسكريا « القبضة الحديدية » ، يجمعون كل ما لديهم من قوة ، ويحاولون السيطرة على موقع ما ، ويبدأ القتال ، وقد يستمر اياما ، وقد يتم حصار .. وبالتالى يحتاج الى قوات لفك الحصار ، ويتم فك الحصار ، ويهرب الملكيون ، ثم يعاودون الكرة مرة أخرى فى موقع آخر .

ونجد أنفسنا فى حرب جديدة ، وغريبة ، لا نهاية لها يريدون انهاك قوانا الاقتصادية ، وانهاك قوانا البشرية وكل هذا يتم فى السر .

بودى أن أكتب لك عن « المقاتل الجديد فى اليمن » .. و « أثر حرب اليمن على المقاتل العربى » .. أو « مرض حرب اليمن » .. عناوين كثيرة لقصة حزينة ، أليمة تبدو بلا نهاية ..

وينقسم المقاتلون اليمن الى قسمين :

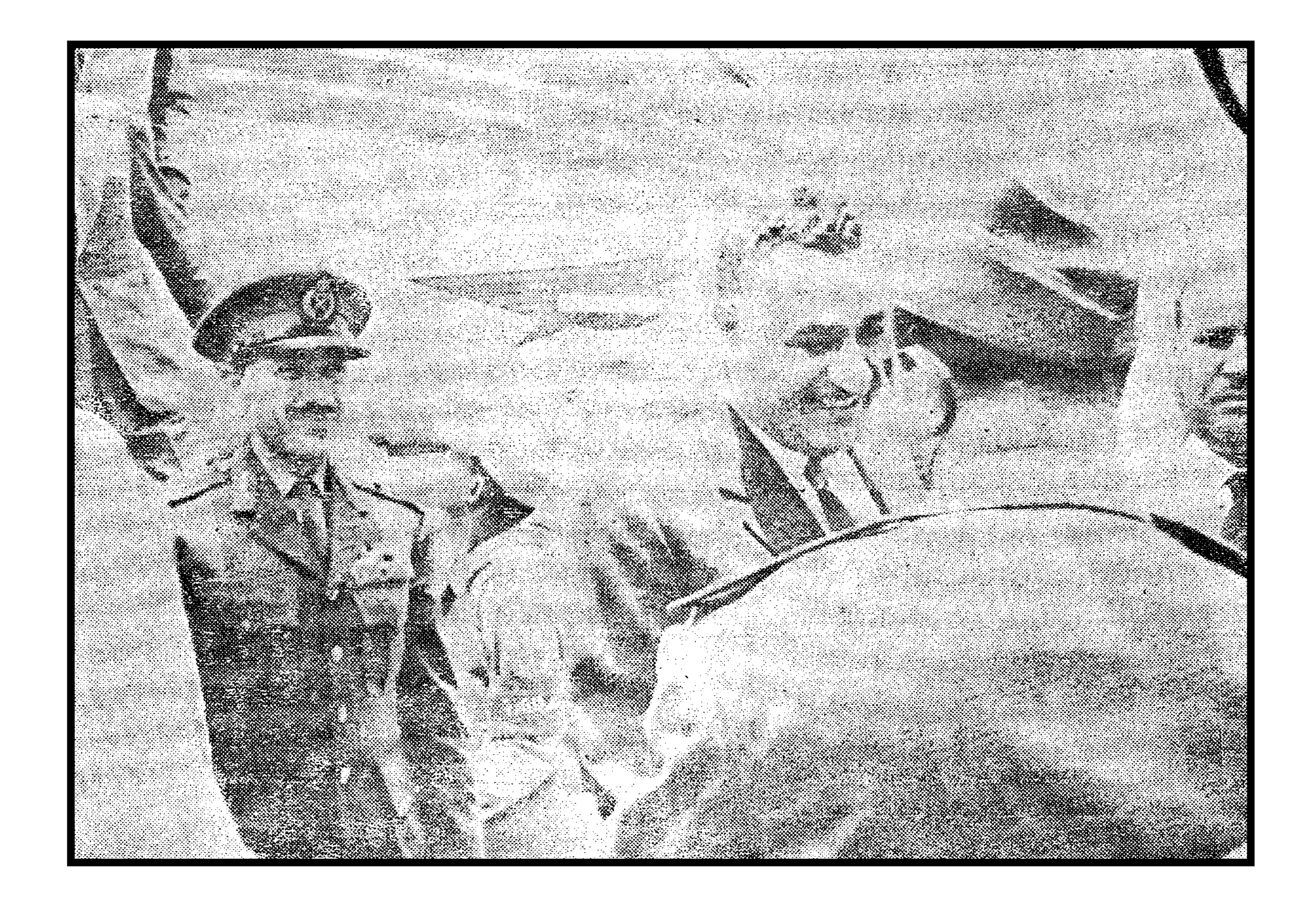
ـــ القيادات الموجودة فى المدن المستقرة الى حد ما ، كالقيادات الموجودة فى صنعاء ، وتعز والحديدة ، وهم الى حد كبير فى راحة كبيرة ، بعيدين عن ساحة القتال ، وسط أسواق صنعاء ، وهبوط الطائرات القادمة من القاهرة تحمل لهم بقايا خيرات مصر ، ويستقبلون القادمين من القاهرة ، وعلى مرمى حجر من المسئولين لتلبية كافة مطالبهم .

ـــ القسم الثانى : رجل الجبال والمحاور والقتال ، المحاصرون بقوات ملكية ، المعرضون كل لحظة للموت ، العازمون على الثورة ضد كل هذه الأوضاع ، فلقد وصل بهم الحال انهم يقاتلون لكى يبقوا أحياء ، لأن القضية لم تعد مقنعة لهم . الذين يشهدون جثث زملائهم وقد مثل بها .

مثال ذلك .. قوة من ٤٠ فردا تحتل جبلا فى المحور الشمالى ، لا تستطيع أن تتركه ، يحتاج الجبل الى صعوده ثمانى ساعات على الأقدام، ويحتاج هبوطه ساعتين ، ووجدت القوة انها ليست بحاجة للهبوط أو الصعود واستمرت على هذا الحال أربعة أشهر ينتظرون الطائرة التى تسقط لهم الغذاء والماء ، أحد أفراد هذه القوات فقد عقله تماما ، فأرسل الى القاهرة ، ولم يكن وحده الذى يحتاج الى « عودة العقل » بل كان هناك مئات غيره ، أعتقد أنهم منتشرون الآن فى مصحات القاهرة .

هذه هى قواتنا التى أعدت ، وانفق عليها الشعب ما يملك لتحارب اسرائيل وها هى هذه القوات على بعد آلاف الأميال من الجبهة الحقيقية فوق الجبل الأسود وجبال صرواح وجيحانة .

هذا هو الكمين الذى أعد لمصر كلها شعبا وجيشا ولا نريد أن نخرج منه ..



ناصر والقاضى وعامر

كان المشير عامر ينظر الى جمال عبد الناصر وكأنه ينظر الى معبودته ! ! !

هذه قناعتى ولن أحيد عنها حتى الموت .

هنا على جبال اليمن ، وبين شعبها ، وعندما يشهد الانســـان بأم‌عينيه « مأساتنا فى اليمن » ، يكفر بكل شىء ..

عندما تشاهدين جثث المصريين الممثل بها ابشع تمثيل .. تفضرين ! !
عندما تشهدين جيشـــا كاملا يقاتل قتـــالا عنيفا .. بلا هدف مقنع .. تفكرين !

عندما تشهدين بين قادة جيش لأمة فقيرة وقد تحولوا الى تجار حرب .. تكفرين !!

عندما تشهدين « القيادات العسكرية » وهى مختلفة على كل شىء .. تفكرين !

عندما تشهدين مصر .. كل تاريخها .. وكل حضارتها .. وكل تراثها .. وكل شبابها يغوصون فى وحل اليمن المتحرك بلا منقذ ..
واذا كان الانسان لا يريد أن يكفر بشىء عليه الا يكفر .. فالكفر كفر كما تعلمين !! ..

والآن .. قواتنا شبه مستقرة فى مواقعها الشائكة فى كل أنحاء اليمن ..
والآن .. قواتنا تبسط نفوذها على اهم المدن والمواقع فى اليمن ..

والآن .. انتصرت قواتنا فى اليمن .. ولكن على من كان الانتصار ؟ .. ولماذا كان الانتصار والهزيمة ؟ ..

والآن .. لم يبق شىء سوى الزيارة .. زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للجمهورية العربية اليمنية .. وبدأنا الاعداد للزيارة ..

وصلت قوات خاصة اضافية الى صنعاء وصدر أمر بعدم دخول يمنيين صنعاء ومعهم السلاح ، سواء كانوا جمهوريين أو ملكيين ..

وفى الثالث والعشرين من ابريل عـــام ١٩٦٤ وصـــل الرئيس جمال عبد الناصر الى صنعاء ، يرافقه المشير عبد الحكيم عامر .. ووصـــل من المطار الى العاصمة فى سيارة غير مكشوفة طبعا فنحن هنا فى اليمن ولسنا فى دمشق أو القاهرة ..

واتجه الى بيت المشـــير ، فللمشير بيت فى صنعاء ، وكنت بين القـلة التى كانت فى استقباله فى بيت المشير ..

وكان هذا هو اللقاء الثانى لى بالرئيس جمال عبد الناصر ، كان اللقاء الأول فى يوليو عام ١٩٥٨ فى دمشق ، فى تلك الفترة كنت عند ضابط مخابرات مصرى اسمه نبيل ، ثم دق جرس التليفون وتحدث قصيرا ..



لقد اشفقت على الرئيس جمال عبد الناصر .. كل ما اخشاه أن تكون نهايته فى هــذه البـلاد التعيسة ..

وكانت علامات الفرحة والدهشة والسرور ترتسم على وجهه .. وقال لى :

— يوم العمر .. ستجلس مع الرئيس جمال عبد الناصر .. وركبنا سيارة الرئيس واندفعنا الى قصر الضيافة فى دمشق ، فى ذلك الوقت كان فى بغداد ثورة ، وفى دمشق وحدة ،والقاهرة أمل ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر فى بيوجراد عندما قامت ثورة العراق ، فذهب الى الاتحاد السوفيانى سرا ، وعاد الى دمشق سرا أيضا ، لم يكن أحد فى العاصمة السورية يعلم بوصول القائد الى دمشق ، وفى قصر الضيافة كان عدد الحاضرين لا يزيد على ٢٥ شخصا انا واحد منهم .. وصافحت عبد الناصر .. بل كدت أقبل يديه حبا ، هذا هو معبودى ومعبود الملايين ، وتحدث معى خلال لحظات هى أروع لحظات عمرى ، كان يبدو نضرا يمتلىء حيوية ونشاطا وجمالا وروعة .. ولقد توقف الكلام فى فمى من شدة الحب والفرحة والاعجاب ..

واليوم بعد مرور أكثر من ست سنوات على هذا اللقاء ، أعود فالتقى به فى صنعاء ، لم تكن لهفتى عليه كالماضى ، له رهبة وكبرياء ، ولكن ليس له نضارة الماضى ونشاطه ، فى هذه المرة استطيع أن أحاوره ، وفى دمشق فقدت النطق من الحب ، أرى فيه اليوم ما لم أكن اراه بالأمس ، أرى فيه جثث الشهداء فى السهول والوديان ، ، أرى فيه الكبد الوقائى ، أرى فيه اقتصادنا المنهار ، أرى فيه الأمل الذى خاب ، أرى فيه هذه المرة عنيد الباطل .

واشفقت عليه .. فكل ما أخشاه أن ينتهى الرجل ومعه مصر فى هذه البلاد التعيسة ..

وقال له المشير :

— يا ريس سمعهم صوتك فى السعودية وعدن .. وسأل الرئيس :

— فين عثمان نصار ..

وضحك المشير .. وفهمت فيما بعد أن الرئيس جمال عبد الناصر يحب عثمان نصار . قائد المحور الشمالى لخفة ظله المتناهية ..

ثم نظر الرئيس جمال عبد الناصر الى كل وجوه الحاضرين ، واحدا وراء الآخر ، ولم يبتسم ، وقد تملكنى الخوف .. عفوا زوجتى ، عندما أقول ذلك فلقد تصورت للحظة أنه يعرف ما بداخلى من مشاعر .



ناصر والقاضي وعامر
كان المشير عامر ينظر الى جمال عبد الناصر وكأنه ينظر الى معبودته ! ! !

انى بصدق أحب المشير عامر . عنده شهامة الأب . ووفاء الصديق ، وجرأة القائد ، وكان المشير عامر ينظر الى جمال عبد الناصر ، وكأنه ينظر الى معبودته ، وكان السلال فى كل هذا لا معنى له ولا محل للاعراب .

وكان السلال قد عاد من القاهرة فى يناير الماضى ١٩٦٤ ، ومعه ممرضة مصرية من المستشفى التى كان يعالج فيه ، وقيل انه تزوجها ، وقد جاء ليمسك زمام أمور اليمن بيديه ، وقد حدثت مناقشة بينه وبين القائد للقوات العربية فى اليمن اللواء مرتجى حول عدم اشتراك رجال الثورة فى هذه الحرب الا بأعداد قليلة جدا ، وبعض من هؤلاء من الجنوب العربى وقد جاؤا متطوعين . والقليل من اليمن الشمالية ، أما رجال القبائل فى اليمن ، فيوم مع الفضة ويوم مع الذهب ، يوم معك ويوم عليك .

وقرر السلال تشكيل مجلس الأمن الوطنى ، وبتكون هذا المجلس من بعض الضباط اليمنيين ، والفريق مرتجى ، وبعد تشكيل المجلس غادر صنعاء فى طريقه الى القاهرة لحضور مؤتمر القمة العربى ، ثم عاد الى صنعاء بعد زيارة لموسكو . وقيل أن هذه الزيارة قد اقلقت الرئيس جمال عبد الناصر ، وان زيارته الحالية من أسبابها « زيارة السلال لموسكو وليس معنى ذلك أن هناك خلافات بين موسكو والقاهرة ، ولكن كل الأمور يجب أن تتم عن طريق الرئيس جمال عبد الناصر » .

كان هناك خوف شديد على حياة الرئيس جمال عبد الناصر ، وكما فى مصر — حدث فى اليمن — تم اعتقال كل من :

أولا : من يعارض وجود القوات المصرية فى اليمن .

ثانيا : كل من لهم انتماءات بحزب البعث .

ثالثا : كل من يشك فى ولائه للجمهورية أو الرئيس السلال .

اصبحت صنعاء فى وجود الرئيس جمال عبد الناصر — مدينة نظيفة ، نصفها رجال أمن والنصف الآخر مما لا يشك فى ولائهم للرئيس جمال عبد الناصر .

وفى صنعاء ، ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا سياسيا هاما يعتبر نقطة تحول فى تاريخ اليمن ، هاجم فى هذا الخطاب السعودية ، ثم بدأ الهجوم على الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى .

أقول أن هذا الخطاب يعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ حرب اليمن ، لأن هذا الخطاب كان مولد حرب جديدة فى جنوب الجزيرة العربيه ، أو ظهور « العملية صلاح الدين » ..

لقد رحل الرئيس جمال عبد الناصر الى القاهرة ، بعد أن أعد تفصيلات العملية « صلاح الدين » ، واختار بنفسه الرجال الذين سيتولون قيادة الحرب الجديدة فى الجنوب ضد الوجود البريطانى هناك .

ويهدف الرئيس جمال عبد الناصر من شن هذه الحرب فى الجنوب الى الآتى :

١ ــ اقلاق القوات البريطانية فى الجنوب .

٢ ــ تخفيف الضغط على القوات المصرية الموجودة فى كل أنحاء اليمن .

٣ ــ تشكيل قيادة من أبناء اليمن تابعة له ، مؤمنة به تتسلم مقاليد الأمور بعد رحيل الاستعمار البريطانى .

ولكن .. ان قيام العمليـــة « صلاح الدين » ، تعنى وجود أطول فى اليمن ، حقا لقد أعلنت الحكومة البريطانية الرحيل من شرق السويس ، وأن أول رحيل سيكون من عدن ، وهنـــا لا بد أن ننتظر حتى يخرج آخــر جندى بريطانى من هناك ليكون لنا تأثير فى عدن ، واذا نجحت خطة الرئيس جمال عبد الناصر فى ذلك ، فان هذا يعنى السيطره على عمان وامتداد نفوذه الى الخليج العربى لاقامة حزام حول المملكة العربية السعودية .

الا أن عدة قوى ستواجه هذا الموقف بكثير من العناد والصلابة .. فان تصورى أنه فى اليمن فقط لاستنزاف قوى مصر ، ولن يحدث أن تسمح له هذه القوى ــ وهى كبيرة ــ أن يحقق أهدافه ، وان يمتد نفوذه الى باب المندب من جنوب البحر الأحمر ومن الشمال قناة السويس ، ثم مضيق الخليج العربى .

وأتصــور أن هــــذه الأفكار الوردية هى التى تدفع الرئيس جمــال عبد الناصر الى الاستمرار فى اليمن رغم الزهور التى تدفن هنـــا ، ورغم الافلاس الاقتصادى الذى نعانيه ، ورغم كل الأمراض التى أصابت المجتمع المصرى .



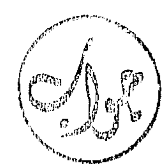
لقد وصل الرئيس جمال عبد الناصر الى القاهرة بعد ان اعد تفصيلات العملية « صلاح الدين »

واتصور أن هذه الافكار جاءت وليدة الشهور الماضية ، بعـد اعلان بريطانيا الانسحاب من شرق السويس وان هـذا الموقف الجديد سوف ينسف كل محاولات السلام فى اليمن ، وكل المفاوضات السابقة والقادمة بين القاهرة والرياض حول اليمن .

لدى احساس آخر .. ان الاعلان البريطاني اخشى أن يكون كمينـا للرئيس جمال عبد الناصر والذى كان جادا منذ فترة فى محاولة الخروج من اليمن ، وان كافة القوى المعادية لمصر تريد منا أن نتورط أكثر فأكثر حتى يسهل ضربه فى القاهرة ..

والى اللقـاء ..

زوجك



الرسالة السابعة

القـاهرة : ١٩٦٥

زوجى العزيز ..

اخيرا نلتقى بعـد سنوات من حـرب اليمن ، وبودى أن يناقش كل الناس حرب اليمن ، فهى ليست حادثة صدام فى الطريق العام ، ولكنها حرب حقيقية وفى اليمن ، ويدفع الناس هنا من قوت يومهم ثمنـا لهذه الحرب ، وتدفع الأسرة المصرية من ترابطها ومن أخلاقها ثمنا لهذه الحرب .

اننى كل يوم أرى كارثة تحل بنا ، وأعرف أنها بسبب حربنا فى اليمن، ولا أحد يريد أن يفكر فى ذلك ، فكما سبق أن ذكرت لك أنها حرب سرية، جانب كبير من القوات يعلم ذلك ..

بودى أن نناقش بصراحة .. عدة امور منها :

- لو أن مصر لم ترسل قواتها الى اليمن ، هل استمرت الثورة ؟
- لو فشلت ثورة اليمن ، فما مدى تأثير هذا الفشل على مصر ؟
- هل يستطيع عبد الناصر أن يحقق فى هذه الظروف امبراطورية عربية ؟
- وهل الأسلوب الذى نتبعه يقيم هذه الامبراطورية ؟
- هل الأزمة الاقتصادية المستمرة ، والفسـاد الادارى ، وخنق الحرية وحصار مصر ، وتوقف كافة خطط التنمية ، هل يستحق كل هـذا حماية ثورة فى اليمن ؟..
- هل نصلح البيت المصرى أولا ، ونقيم منـه قاعدة صلبة ، ثم ننطلق الى ما يريد أن يحققه الزعيم ، أم ندخل كل هذه المعارك بشعب أفقرته هذه الحروب ، وخربت أخلاقه واكثرت من متعطليه ؟

- هل ستحقق ثورة اليمن خطوات طويلة أكثر بمراحل من خطوات الامام البدر والذى كان صديقا للرئيس جمال عبد الناصر لا..

شعب مصر الذى يدفع ، وشعب مصر الذى ينتحر ، وشعب مصر سيرتد ردة قومية ، لأنه يدفع كل شيء حتى أحلى الشباب .

أتصور أن مصر ، ليست الدولة الثورية الوحيدة فى المنطقة العربية ، ولكنها الدولة الوحيدة التى اتخذت على عاتقها حماية ثورة اليمن ، وعلى بقية الثوار أن يشهدوا ، ويضعوا النظريات ، يصدروا المنشورات ، وكأننا فى حلبة مصارعة ، واذا توقفت هذه اللعبة القذرة لعدم القدرة على المواصلة او لأسباب قاهرة القوا على اللاعبين بالحجارة ..

أنا أريد لعبة مصرية ، اللاعبين والمشاهدين ، لا أريد أن يلقى على بالحجارة ، من هؤلاء الذين يشهدون ولا يشتركون ، فعندما تكون الدماء مصرية ، يصبح أيضا القرار مصريا .

اخرجوا من اليمن ، فسوف نصفق لكم فى القاهرة .

اخرجوا قبل ان يفوت الأوان، ونندم كل الندم على كل لحظة قضيتموها على هذه الجبال .

سأذكر لك حكاية ، غريبة ولكنها منطقية ، لا سأذكر لك عدة حكايات عن آثار حرب اليمن فى القاهرة ..

فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرها ، استشهد زوجها فوق جبالكم اللعينة ، تحصل على معاش من وزارة الحربية يبلغ سبعون جنيها ، وهو رقم بلا ضرائب ، تريد الزواج — وهذا حقها — ولكنها اذا تزوجت فقدت معاش زوجها السابق ، وأى زوج فى هذا العمر دخله أقل بكثير من المعاش، وأصبحت هذه المعادلة صعبة ، تريد الاثنين ، الرجل والمعاش ، وهذه ليست فتاة واحدة ، بل آلاف الأرامل ، وعليك أن تتصرف .. والنتيجة دائما الاحتفاظ بالاثنين .. الرجل والمعاش ..

صديقنا ابراهيم باهر زغلول ، شاب يحلم بكل ما يحلم به الشباب ، شقيق وحيد لثلاث شقيقات ، استشهد على جبال اليمن ، وجاء مندوب من قيادتكم يحمل مغلفا به ثمن حياة هذا الشاب ، واستقبله والده ، وأخرج الأول الثمن ، ووضعه على طاولة صغيرة ، ثم قال للوالد هذه عدة آلاف جنيه ، وابنك قد استشهد على جبال اليمن .

وحدث ما يشبه الزلزال فى البيت ، كاد الوالد أن يحنق المندوب ، ولم يتصور أن يدفن ابنه فى اليمن وضع كلتا يديه على رقبته .. وقال له .. قتلتوه يا قتلة .. قتلتوه يا قتلة .. وانهار كل من فى البيت ..

وابراهيم باهر زغلول ، واحد من الآلاف الذين يقتلون فى اليمن .

عندما علمت بموته ، ذهبت لشراء رداء أسود . فلا يصح أن أذهب لتقديم العزاء الا بالرداء الأسود كأيامنا ، وكانت مفاجأة قاسية ، ان هناك ازمة فى الأقمشة السوداء ولم أصدق ما سمعت وبركب القاهرة الى المحافظات للبحث عن الأقمشة السوداء فلم أجد فعلا . ومعنى ذلك اذا استمر قتلكم فى اليمن . فان مصر كلها سترتدى السواد .

أنا .. كزوجة مقاتل .. عندى الآن سيارة .. وبيت فى أرقى أحياء مصر .. ولكنى احتاج لرجل يقود لى السيارة . ويحل لى مشاكل ابنى فى المدرسة ، وفى الشارع ، ونذهب سويا الى كل مكان .. ومن طول غيابك بالشهور الطويلة ، وأحيانا بالسنوات أبحث عن رجل آخر يحمينى .. قد أفضل أن اتركك ، وقد أفضل أن أخدعك .. ولكن بالتأكيد هناك آلاف الزوجات المنتظرات لعودة أزواجهن من اليمن .

هذه حكايات يومية .. ولكن ما زالت الحكايات الأساسية تقتل مصر ، وتفقدها شبابها وجمالها بسبب حرب اليمن ، وان القيادة السياسية تعمل فى اتجاهين لا ثالث لهما ..

الأول : حماية الكراسى التى يجلسون عليها ، وهناك عيون الآلاف على الناس خوفا منهم ..

الثانى : حرب اليمن ، من كل الساحات ، الساحات الاعلامية والسياسية والعسكرية .

ونسى الرئيس جمال عبد الناصر جملة كنت أتصور انها أساسية فى سياسته ، قال « لقد فشل كمال أتاتورك لأنه قام بثورة سياسية ، ولم يقوم بثورة اجتماعية » ، وأستطيع أن أقول لك أن عبد الناصر حاول القيام بثورة سياسية ، ولم يفكر بالثورة الاجتماعية ، وسيأتى اليوم ليجد نفسه مطالبا بأمور ملحة ، لن يستطيع انجازها .. سيجد نفسه مطالبا بحل مشكلة الأمية فى مصر ..

سيجد نفسه مطالبا بحل مشكلة المياه والمجارى والطرقات واستصلاح الأراضى .

سيجد نفسه مطالبا بالبحث عن مكان لكل طفل ، كل شاب فى المدرسة والجامعة ..

سيجد نفسه مطالبا البحث عن عمل لآلاف المعطلين وانصاف المتعطلين بسبب توقف التنمية فى مصر .

سيجد نفسه مطالبا بتشغيل المصانع المتوقفة أما بسبب الاهمال الادارى أو قطع الغيار ..

لا أريد أن أقول انه سيجد نفسه مطالبا باعطاء الحرية للناس ، فهو يعتبر الحرية ترف لا تستحقه الجماهير ، رايه كما اعلنه فى الحرية ، ان مخابز مصر تخرج لكل انسان ثلاثة أرغفة فى اليوم .. والحرية التى يراها هى حرية الرغيف ، ورأيه فى الاقتصاد المصرى كما قاله لأحد الصحفيين الأجانب : الم تأكل دجاجة فى الهيلنون ، وسلاطا ، وهذا معناه انه لا يوجد ازمة اقتصادية فى مصر .

سيجد نفسه زعيما لشعب فقير ، مريض ، هربت منه كل العمالقة والكفاءات .. فكل شيء يهرب الآن ، انها رحلة الخراب من مصر .. الصحافه تهرب .. الفنون تهرب بعد أن سبقتها الحرية وسيادة القانون .

وحكاية البيضانى ليست كما ذكرتها لى ولكان البيضانى نفسه يقول فى القاهرة ، انه كان يريد أن يبنى اقتصاد اليمن بصدق ، فقرر انشاء البنك اليمنى للانشاء والتعمير ، يكون تمويله من الحكومة ومن أموال المغتربين اليمنيين ، وطرح أسهمه للاكتتاب والتى نفذت فورا ، لأن اليمن ارض بكر ، وأى استثمار فيها يكون له مردود سريع وحاولت الحكومة سرقة أموال هذا البنك ، بل وأكثر من هذا قرر ابعاد البيضانى لخلافات فى الرأى السياسى والاقتصادى ، وبدات الأموال التى دخلت اليمن تخرج ، وقرر البيضانى اقامة مشروعه فى عدن ، وسافر الى عدن وهناك تحدث فى السياسة ، وتحدث عن الأوضاع فى اليمن ، وأمام الجماهير اشتد حماسه فعارض الزعيم فى بعض الآراء ، وعند عودته الى القاهرة حددت اقامته فى منزله ، ثم خرجت عشرات الاشاعات حول اعتقاله .. وما زال معتقلا حتى الآن ..

أعود الى رسالتك الاخيرة لى .. وتناقضك بين التأييد والرفض للزعيم أنا معك ، انها رحلة شاقة رحلة مؤلمة ، من اليقين به الى الشك به ،

وأعلم أنك فكرت مرارا الا نقيم أى حوار حول سياسة الزعيم ، وعندما بدأت الحوار ، اقتنعت بكثير من الأخطاء ، وأخطاء يذهب ضحيتها آلاف الشباب ، بل ان الضحية هنا أمة بأسرها هى الأمة المصرية .

فأنا لا يمكن أن أتصور مصر قد غاصت الى الأعماق بهذا الشكل ، الكل ينمو ، ونحن نضمر ، الكل يأخذ ونحن ندفع .. لا يمكن أن أتصور هذه الهجرة الجماعية من مصر ، هجرة العمالقة وبقاء الأقزام .

ثم .. عن حرب الجراثيم .. ازعجتنى قسوة هذه الحرب وبشاعتها ، ولا انسانيتها ..

زوجى .. للنهوض باليمن ألف وسيلة ، غير حرب الجراثيم والغاز السام ، والنابالم والقنابل الفسفورية الانسان انسان فى أى مكان وزمان ، وعلينا أن نحترم انسانيته .

زوجى .. اعلم ان عبد الناصر سيفتح جبهة فى الجنوب ، وانه سيواصل الحرب لآخر شاب فى مصر محاولا تحقيق أحلامه ، ولكن لن تتحقق هذه الاحلام .. نعم لماذا ؟

لاننا فى فلس اقتصادى ، لاننا محاصرون من كل اتجاه ، واخشى أن يأتى اليوم الذى لا تستطيع أن تدفع فيه رواتب العاملين فى هذه الدولةالتى شاخت من كثرة الديدان .

نحن هنا فى مصر ، محاصرون ..

محاصرون بالفساد الادارى ..

محاصرون بأزمة اقتصادية جعلتنا من أفقر الدول .. محاصرون بالأعداء ..

محاصرون باسرائيل فى الشرق الأوسط ..

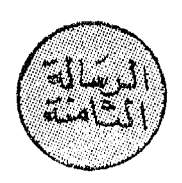
واتصور انه لن يترك يحقق مثل هذا النجاح ، لن يستطيع أن يحقق آمال هذه الامبراطورية ، وأريد ان أقول كلمة انصاف ، انه مؤمن بما يفعل وانه يتصور ان ما يفعله هو الصواب ، مؤمن بالدماء التى اريقت على جبال اليمن ، مؤمن بعدم معارضته لانه يعمل لصالح الناس .. لكل الناس ..

وهذا الايمان جاء لعدم وجود من يقول له اين الصواب . وأين الخطأ ليقول له اننا قد نموت جمعا من شدة الطغيان ، ليقول له ان الحرية تلد العمالقة . وتلد الرخاء ، وتلد التقدم ، وتلد الحضارة . وانه فى غياب الحرية يموت كل شىء ، وأخشى أن نموت .

زوجك



الشـــامى والايريانى
هنا بدات محاولات للسلام فى اليمن واجتمع الملكيون والجمهوريون حول مائدة واحدة



زوجتى ..

لا .. لم نتفق بعد ــ كما جاء فى رسالتك السابقة لى ــ فلقد تصورت اننى ارفض الزعيم ككل ، بل فقط اننى اعتبر أن أكبر خطأ له فى اليمن ، ذلك ان لحرب اليمن آثار سيئة للغاية على الشعب والقوات المسلحة ، فهى باختصار انهكت اقتصاد مصر ، وخلقت للجيش أسلوب قتالى لا يصلح والمعركة الحتمية القادمة مع اسرائيل ، الا ان هذا لا يعنى أننا ننسى السد العالى ، والمصانع ، والمدارس ، والأراضى التى استصلحت ، وثقل مصر السياسى فى العالم كله ، ويكفى عبد الناصر انه غرس القومية فى أرض مصر ، والتى حاول الاستعمار أن يبعدها عن الأمة العربية بكل وسيلة .

ولكن حربنا فى اليمن خطأ ، وخطيئة ، وكل ما أرجوه أن نتحدث عن السلبيات والايجابيات ، ولا ننسى الايجابيات فى غمرة أحزاننا فى اليمن .

الأحداث هذه الأيام ــ فى اليمن ــ سريعة ومتلاحقة ، هنا فى اليمن محاولات للسلام فشلت ، ولهذه قصة طويلة ، هنامحاولة للبقاء فى اليمن فترات طويلة ، ولهذه حكاية ثانية وهنا قتال من نوع آخر لدا فى الجنوب العرى ولهذه حكاية ثالثة ، وهنا الجمهوريون مختلفون ، وهذه قصة رابعة ، ولكن كل هذه الحكايات هى الوان مختلفة تشكل فى النهاية الصورة فى اليمن .

ولا أعتقد أن كل هذه الأحداث تتسع لرسالة واحدة ، وسأكتفى فى هذه الرسالة بالموقف العسكرى المصرى فى اليمن بعد زيارة الرئيس جمال عبد الناصر الآخرة والأخيرة .

عندما كان الرئيس جمال عبد الناصر فى اليمن ، عرضنا عليه الموقف العسكرى فى اليمن ، وكان يتلخص فى ان قوات ضخمة تواجه قوات عصابات صغيرة ، وان هذا يؤدى الى خسائر فادحة ، وقد علمنا من الرئيس جمال عبد الناصر بان فكرة الانسحاب التى تراود بعض القادة غير واردة استراتيجيا ، واننا سنظل فى اليمن حتى خروج آخر جندى بريطانى من الجنوب العربى ، ووعد بانه سيعقد اجتماعات مع القادة العسكريين فى القاهرة « لتقنين » الموقف العسكرى فى اليمن ، ووضع سياسة جديدة لوجود القوات ، وخاصة ان الجانب الآخر يتصور اننا نريد ان نخرج من اليمن بطريقة كريمة الى حد ما ، لذلك فهو يوجه ضربات للقوات المصرية حتى نخرج من اليمن بطريقة كريمة .

ولقد جاء الحديث وحل الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى تخنق مصر ، وخاصة ان السلاح والذخيرة ندفع ثمنه سواء نقدا بالعملة الصعبة للاتحاد السوفيتى أو بيع المصنوعات والخامات المصرية للاتحاد السوفياتى .

ثم كان رقم الذين استشهدوا فى اليمن مذهلا ، حتى للرئيس جمال عبد الناصر ، وكان يريد أن يقلل من عدد الشهداء الذين يقتلون فى الكمائن المستمرة للقوات المنتشرة فى كل اليمن .

وفى اجتماع سرى عقد فى القاهرة واشترك فيه قادة الأسلحة ، والمشير عامر واللواء مرتجى ، ظهرت استراتيجية النفس الطويل ، وهى نظرية ليست جديدة فى الساحة العسكرية ، وهى تعتمد على البقاء فى منطقة ما أطول مدة ممكنة وبأقل الخسائر ، وعسكريا مجهدة فى الخطوات الأولى لتنفيذها ، الا انها بعد ذلك تتيح للقوات الراحة ، وقد تؤدى سياسة النفس الطويل الى تحقيق الأهداف التالية :

أولا — تقليل حجم القوات الموجودة فى اليمن ، وبالتالى تقليل الانفاقات
ثانيا : امكانية البقاء أطول مدة فى اليمن .
ثالثا : امكانية القضاء على حرب العصابات .

رابعا : تقليل الخسائر فى الأرواح التى تتم عن طريق الكمائن ، والهجوم على الوحدات الصغيرة .

وفى بداية فبراير ١٩٦٥ بدأ تنفيذ سياسة النفس الطويل ، أو تجميع القوات ، وهذه السياسة لتؤكد للمملكة العربية السعودية بأننا سوف نبقى فى اليمن ، وبالتأكيد فان هذه السياسة سوف تنسف كل جهود السلام القادمة والتى سوف أحدثك عنها .

ولعلمك ، اننا لو رغبنا فى الخروج اليوم من اليمن ، فان آخر جندى يرحل بعد عام من الآن ، فلم يعد الأمر سهلا .. المهم الا نغرق فى رمال اليمن المتحركة .

جاءت التعليمات من القاهرة بخطوط عامة، وطلبت التعليمات من قيادة القوات المصرية فى اليمن تنفيذها ، كانت الخطوط العريضة تقول :

١ ــ تجميع القوات فى صنعاء ، الحديدة ، تعز .
٢ ــ فى حالة اشتباك لا بد أن يحسم بكل عنف وقوة وتشترك كافة الأسلحة فى الردع والحسم .
٣ ــ الهجوم ، على القوات المتجمعة أن تهاجم بعنف كل محاولة لتجميع قوات ملكية .

وبدأت القيادة المصرية فى صنعاء تنفذ خطة « تركيز القوات » فى المناطق الأساسية ، وبدأت الوحدات الصغيرة فى منطقة الجوف تتجمع ، حيث ان هذه القوات هى أكبر قوات منتشرة فى اليمن .

ولقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن سياسة « النفس الطويل » وقد أدى ذلك الى دفع رجال القبائل بالكثير من المقاتلين لمحاولة ضرب القوات التى بدأت تلتحم بعضها بالبعض الآخر ، كان أهم تجمع هو تجمع قوات الجوف ، فهى منتشرة ، وفى طرق وعرة ، ويسهل القتال معها بالشكل الذى نعيشه فى اليمن ، وبخسائر كثيرة فى الأرواح أمكن القيام بعملية تجميع قوات الجوف والتى اتجهت الى صنعاء .

ولقد قام بهذه العملية بنجاح اللواء سعد الدين الشاذلى ، ولقد بدأ التنفيذ فى البداية بأن طلب شيوخ القبائل فى المنطقة لمقابلته ، واجتمع بهم ، وطلب منهم عدم التعرض للقوات المصرية والتى سوف تتحرك فى طريقها الى صنعاء ، كما أخبرهم اللواء سعد الدين الشاذلى بأن اى ضرب لهذه القوات سيقابل بعنف شديد .

والحقيقة ، ان الرجال ــ رجال القبائل ــ تأثروا من خروج القوات المصرية ، وتصوروا انه انسحابا كاملا من اليمن ، ولا أدرى هل كانت عاطفة أم مصلحة .

وقام اللواء سعد الدين الشاذلى تبليغهم كافة الطرق التى كان يتسللها الملكيون فى طريقهم لضرب قوات الجوف ، ونجحت عملية التجمع فى المرحلة الأولى .

وبدأ تنفيذ سياسة « النفس الطويل » وأمكن تجميع القوات فى الأماكن التى حددتها القيادة السياسية المصرية .

ويمكن أن يقال ان شمال اليمن اصبح خاليا تماما من القوات المصرية ، وقد دفع ذلك بالملكيين الى تشكيل جيش قوى لاحتلال الاماكن التى أخلاها الجيش المصرى وكان هذا الجيش بقيادة الشيخ قاسم منصر واستعد الجيش خارج صنعاء ، وهدد الشيخ باحتلال صنعاء ، وقد أرسل اللواء سعد الدين الشاذلى رسولا يطلب منه عدم المحاولة ، ولكن رسول الشاذلى أهانوه ، بل كادوا يقتلوه ، وأعادوه الى صنعاء فى حالة سيئة .

وقررنا الهجوم على جيش الشيخ قاسم ، واشترك معنا بعض القوات من الجيش اليمنى ، وتحركت القوات المتمركزة على مشارف صنعاء فى اتجاهات ثلاث لتحاصر تماما قوات الشيخ قاسم ، وقامت القوات الجوية أثناء عملية الالتفاف بالقاء قنابل مستمرة فى منطقة وجود هذه القوات ، ودارت أعنف معركة شهدتها اليمن ، قوات كثيفة من الجانبين ، كانت قواتنا تقدر بحوالى خمسة وعشرين ألف مقاتل ، بالاضافة الى حوالى الف من الجيش اليمنى ، وكانت قواتهم تقدر بحوالى ٨٠ ألف مقاتل ، ولديهم كافة أنواع الأسلحة ، استمرت المعركة عدة أسابيع ، ونتج عنها آلاف القتلى من الجانبين ، وخاصة من الجانب الملكى ، وانتهى جيش الشيخ قاسم ، وتدخل مستر روشان مندوب الصليب الأحمر الدولى لاخلاء القتلى ، وطلب مسيو روشان من قائد القوات العربية بعض الأطباء المصريين ، وسيارات اسعاف لانقاذ المصابين من الجانب الملكى ، وأسرع رجالنا بكل حماس للقيام بهذه المهمة الانسانية ، ان طبيبا صديقا قد أجرى ٣٠ عملية جراحية فى يوم واحد ، لثلاثين من رجال القبائل التى كانت تقاتل القوات المصرية ، ان طلب مسيو شومان أظهر له مدى طيبة وصبر أطباء مصر ، لقد قال لهم بعد أن شاهد على مدى عدة ليالى العمليات الجراحية التى قاموا بها « أنتم أطباء أكفاء ، وأكثر ما يميزكم أنكم أكثر من البشر ، فأنتم الملائكة . . » .

كانت هذه المعركة من أشرس المعارك ، لو جلست مع الجنود واستمعت الى القصص الخرافية لهجوم القوات المصرية ، لن تصدقين .

انني أستطيع أن أقول ان المقاتل المصرى خير من يهاجم ، ويقتحم بلا خوف ، فلقد كانت جيوب الملكيين الموجودة فى كهوف الجبال تحتاج الى

قتال مواجهة ، واقتحام ، وقد نفذ المقاتلون هذه العملية الكبير بشجاعة منقطعة النظير .

زوجتي ..

لقد استخدمنا في هذه العملية عشرات الاطنان من الذخيرة ، والروس يبيعون لنا الذخيرة بشكل احتكاري كما اننا استخدمنا دبابات وسيارات مصفحة واسلحة متوسطة وثقيلة خرجت من المعركة لا تصلح لمعركة أخرى واذا كنا هنا في سبيل المبادىء ، واذا كان الاتحاد السوفيتي يساعدنا لأننا نحارب حرب مبادىء ، واذا كان هناك لقاء بين مبادئنا ومبادئهم ، يكفي اننا نحارب الاستعمار والرجعية ، فلماذا لا تدفع موسكو ــ على الاقل ــ ثمن السلاح والذخيرة في اليمن ؟.

وقد كان سؤالي لقائد القوات في اليمن .. وقال القائد :

ــ ان الاتحاد السوفياتي قرر أن يتنازل عن نصف ثمن الذخيرة والسلاح الذي استخدم في اليمن .

زوجتي :

اعلمي اننا هنا باقون .. ليس هناك ملامح للخروج من اليمن ، ان أهداف عبد الناصر يريد تحرير الجنوب والخليج العربي من الاستعمار البريطاني وتسليم مقاليد الحكم للقوى الوطنية .

من هنا كانت العملية « صلاح الدين » والعملية صلاح الدين تكاد تكون منفصلة عن العملية ٩٠٠٠ ، ولقد أقيمت قيادة العملية صلاح الدين في مدينة تعز الجميلة والقريبة من حدود الجنوب العربي ، أو الجنوب اليمني المحتل

فما هو الجنوب العربي ــ كما تسميه الرابطة ــ أو ما هو جنوب اليمن المحتل ؟

الاجابة على هذا السؤال ، هي القاعدة ، أو احدى القواعد الأساسية التي ترتكز عليها الاستراتيجية المصرية للبقاء في اليمن .

نحن هنا باقون الى ما شــاء الله .. لن نخرج بسرعة حتى يتم تحرير الجنوب العربي ، والعملية صلاح الدين هي دفع لتحرير الجنوب العربي ، ومن الجنوب ننطلق الى ظفار ومسقط وعمان ثم الى الامارات المتصالحة وقد كان هناك مغريات كثيرة لوجودنا في اليمن ، منها :

١ ــ ان الاستعمار البريطاني قد انهكته حروب عبد النـاصر في الدول العربية أو في أفريقيا أو آسيا ، وقرر الرحيل .

٢ ــ ان الانباء القادمة من السعودية تؤكد ان ظلال حرب اليمن ، لا تترك ظلالها وبصماتها على القصور الملكية فقط ، بل وعلى كل مواطن فى المملكة العربية السعودية

٣ ــ ان حرب اليمن قد ادت الى استيقاظ المواطن العربى فى عمـــان والخليج العربى ، وانه يمكنه أن يقول للاستعمار البريطانى : لا .

وأنا أعلم ان ردك سيكون .. ومصر .. وأقول لك ــ زوجتى ــ قلبى مع مصر .. مع بلادى الجميلة .. مع شبابها .. مع الأبرياء فى السجون .. مع الجوعى فى سبيل اليمن .. مع الأرامل .. مع اليتامى .. مع الفقراء من شعبنا المطحون ..

زوجتى ..

فى نهاية رسالتى .. يراودنى سؤال محير .. هل يقدر العـــالم .. والعالم العربى بصفة خاصة ما تقدمه مصر فى اليمن .. هل سينسى العالم العربى ذات يوم ان آلاف الزهور قد دفنت هنا ؟ ..

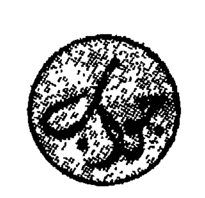
زوجتى ..

يوما ما .. سنخرج من اليمن .. لا أدرى متى ؟ وبودى أن أعود اليها بعد عشر سنوات .. بودى أن أرى شيئا غريبا .. مقابر الشهداء فى اليمن .. كيف ستكون !.. هل كمقابر شهداء الحرب العالمية الثانية فى العلمين؟.. أم أنه لن يكون هناك مقابر للشهداء ؟..

زوجتى ..

سأطلب منك طلبا ، أنا .. اذا دفنت هنا . فكل ما أرجوه أن تذهبى ــ ولو فى نهاية عمرك ــ لتضعى زهرة على قبرى .. وان لم يكن لى قبرا .. فانثرى فى أى مكان من اليمن الزهور على هذه الأرض .. لهؤلاء الشهداء بلا قبور ».

زوجك



الرسالة الثامنة

القاهرة : يوليو ١٩٦٦

زوجى ..

عاد الرئيس جمال عبد الناصر من جدة بعد مباحثات حول « السلام » مع الملك فيصل ، وعقب عودته علمنا بعض التفاصيل عن هذه المقابلة المثيرة .. عندما بدأت المباحثات نظر الرئيس جمال عبد الناصر ، للملك فيصل ، وقال له ..

ــ يا اخ فيصل .. تعال نناقش بصراحة .. موقفى فى مصر « زى البمب » .. لا يمكن الاطاحة بالنظام فى مصر .. ان الأجهزة عيونها على كل الناس .. ان الأزمة الاقتصادية لن تهز النظام فى مصر .. والعائدين من اليمن ضباطا أم جنودا لن يقوموا بأى انقلاب كما قالت لك المخابرات الأمريكية ..

ثم نظر الرئيس عبد الناصر الى الملك فيصل وقال له ..

ــ ولقد اعتقلت لك فى الأسابيع الماضية ١٠٠ ألف من الاخوان المسلمين . ففى خلال الشهور الماضية تحولت المدارس الى معتقلات ، وكان هناك أكثر من جهاز مستقل يعتقل الأخوان المسلمين ، ومن فى عداد الاخوان المسلمين ، أو حتى من كان له صلة بالاخوان المسلمين ..

لقد بدأت « هوجة عرابى » بحديث بين الرئيس جمال عبد الناصر وعبد العظيم فهمى وزير الداخلية .

ــ كيف حال الاخوان ؟

ــ كل التقارير تؤكد انهم مستكينين ..

ــ انت نايم يا عبد العظيم .. دول معاهم سلاح .. وحيقلبوا البلد .. اصحى يا أستاذ .

ووضع الرئيس جمال عبد الناصر سماعة التليفون ..

لقد ذهب أحد السائقين يقول للمباحث العسكرية ان جماعة استأجروه لحمل سلاح من مكان الى آخر ، وانه يستطيع أن يدل على هذا المكان ..

وكان الاخوان المسلمون يعدون فعلا انقلابا ضد حكم الرئيس جمال عبد الناصر ، وقيل ان قائد الانقلاب هو الأستاذ سيد قطب ، واستطاع سيد قطب أن يستقطب آلاف من الاخوان المسلمين ، وأن يشترى سلاح من الأهالى والذى كان فى حوزتهم منذ عام ١٩٥٦ وجمع السلاح فى قرية من قرى الجيزة وكان هذا آخر شحنة من السلاح فى طريقها الى المخازن ، واستطاع سيد قطب أن يكون جيشا للاستيلاء على الحكم .. وفجاة ذهب السائق الى الشرطة العسكرية الجنائية ليكشف عن هذا الانقلاب ، وعن الأجهزة السرية التى استطاع سيد قطب تكوينها .

وأخطر الرئيس جمال عبد الناصر ، وعلى الفور خرجت قوائم كافة الاخوان المسلمين ، الذين اعتقلوا قبل ذلك أم الذين لم يعتقلوا ، وفى هذا الوقت كان يمكنك أن تدخل أى انسان السجن ، بأن تشير بأن هذا الرجل من الاخوان .

وأسندت مهمة اعتقال جماعة الاخوان المسلمين لثلاثة أجهزة :

- الشرطة والأمن العام .
- الشرطة العسكرية الجنائية .
- مكتب الأمن لرئيس الجمهورية .

وكان هناك تنافس بين الأجهزة الثلاث على من يعتقل أكثر .. وكثيرا ما حدث أن ذهب قوة من الجهازين فى وقت واحد لاعتقال شخص ما ، وتحدث بين أفراد الجهازين مشاجرة ، من يعتقل هذا الرجل .

وكثيرا ما ذهبت قوة الاعتقال من كان من السابق بين جماعة الاخوان المسلمين فيقال لهم .. لقد حضرتم متأخرين عدة سنوات .. لقد مات ؟؟

وكثيرا أيضا ما كانت تذهب الشرطة لاعتقال شخص ما يقولون لهم انه معتقل منذ سنوات ، فيعتقلون أى شخص فى البيت ..

ولقد استثنى من هذه الاجراءات رجال الاعلام ، وحدث ان كان أحد الصحفيين من الذين كان لهم علاقة قديمة بالاخوان المسلمين قد حصل على تأشيرة خروج ، وسافر الى الاسكندرية ، وأثناء سفره بدأت « هوجة عرابى » ، فذهب أحد رجال الجمارك يسأل عنه ليلغى التأشيرة حتى

لا يسافر ، وعاد الصحفى الى القاهرة وعلم من البواب أن ضابط شرطة قد سأل عليه ، وقد خشي أن يتصور انه هارب فذهب الى الشرطة وقال للضابط ان أحد الضباط قد سأل عنه .. وبدأ الضابط يبحث فى كشف المطلوبين فلم يجد اسمه ، ووقف الضابط حائرا ، اذا تركه ، قد يسألوه لماذا لم تعتقله وقد جاء لك برجليه ، واذا اعتقله ، قد يسألوه لماذا اعتقلته وهو لا اسم له بين المطلوبين ، ووجد أن أسلم حل لهذه المشكلة أن يسأل الأعلى منه ، واحتار الأعلى منه كحيرته ، فاتصل بأعلى الأعلى ، واحتار الثالث ، فيبدوا ان المسئولين من شدة الخوف لا يستطيعون اتخاذ « قرار » وظل الصحفى اربعة عشر شهرا لمعرفة ما اذا كان مطلوب اعتقاله أم لا !!

بعض الاخوان من كثرة ما اعتقلوا قرروا أن يعملوا كل شيء تتناقض ومبادىء الاخوان المسلمين ، ومن كثرة ممارستهم لهذا التناقض أصبح أمرا عاديا ، ورغم ذلك اعتقل العشرات كانوا فى البارات والكابريهات وعلب الليل فى القاهرة .

من كثرة الأبرياء فى المعتقلات ، ومن عدم وجود أماكن للمعتقلين ، ولأن المدارس كانت على الأبواب لا بد من اخلائها للتلاميذ ، فلقد وضع تقليد رحيم ، من يجد كفيلا كبيرا ، يمكنه أن يخرج من السجن ، والكفيل هنا اما وزير ، أو ضابط كبير على صلة بالنظام ، وذهبت أسرة عم الأستاذ أمين هويدى تطلب منه كفالة عمه الحاج عبد الرازق الرجل العجوز ، ولكنه رفض .

زوجى ..

لقد سمعت حكايات كثيرة ، وكثيرة جدا ، كلها تشير الى امر خطير ، ان الخوف قد فرق الأسرة ، و الأسرة اذا تمزقت ، تمزقت معها الأخلاق .

هل تعرف معنى الأخوة .. انها كانت علاقة مقدسة ، والآن ، اسمع قصة أخ ولا أصدقها ، ولكنها للاسف حقيقة تؤكد نهاية المبادىء والتقاليد، ان أخا فى القوات المسلحة بلا سبب أخذ يلفق لأخيه أى تهمة تفصله من عمله ، مرة يرسل شكوى لرئيسه بأنه يسب فيه ، ومرة أخرى يرسل لرئيسه بأنه سمسار ، ومرة أخرى بأنه يعمل عملا خارجى وهذا – فى رأيه – ضد القوانين ، ووجد « هوجة عرابى » ، فأرسل فى شقيقه يقول انه من الاخوان المسلمين فاعتقلوه .. وفى التحقيق قال انه وشقيقه كانا ينتميان الى جماعة الاخوان المسلمين وفصل شقيقه الضابط فى القوات المسلحة من عمل واعتقل هو الآخر !!

كانت مصر ــ زوجى ــ اشبه بغابة كبيرة ، ضاعت فيها القوانين ، وماتت فيها العدالة ، وانتحر الحق وتبخرت الأخلاق ، وكان الشعب كله يريد أن يلحق بسفينة نوح قبل الطوفان ، أن يوما من هذه الأيام تجعلك تكفر بكل شيء ، فاننا نعيش هذه الأيام لحظات أقوى من الطوفان ، لم تبقى عاطفة نبيلة ، ولم يبق سوى اللحاق بالسفينة قبل الطوفان . . يرساون كل الناس الى السجن الحربى ، حيث يوجد رجل أعزب رغم أنه فى رتبة لواء ، اسمه حمزة البسيونى ، أرجوك الا تنسى هذا الاسم مهما بلغ منك العمر ، وارجوك كل الرجاء أن تبصق دائما عندما تسمع هذا الاسم اللعين ، انه ممثل النظام فى السجن الحربى ، انه سفاح تحميه القوانين ، ان امرأة فاضلة اسمها زينب الغزالى تبلغ من العمر ما فوق الخمسين ، أرسل لها جنـــديا ــ بالأمر ــ يضاجعها . . تصور !

حمزة البسيونى، طالما ان اسمه موجود فى مصر ، فانه علامة اللاانسانية، وعلامة التخلف ، وعلامة الظلم بلا عدل ، وعلامة اختفاء الحق والقـــانون ، وعلامة شريعة الغاب ، وعلامة البغاء والخلق المهدور الذى تراه فى شوارع القاهرة هذه الأيام .

حمزة البسيونى اسمه تحفظه كل اسرة فلكل أسرة سجين ، ولكل سجين حكاية نادرة وقاســـية فى ذات الوقت مع حمزة البسيونى ، سفاح بدرجة لواء ، ولواء بدرجة سفاح ، وهو يتصور ، ويتصور غيره انه يحمى النظام ، انه وحده كفيل بأن يدين النظام فى محكمة حرة ، هى محكمة التاريخ، انه وحده كفيل بأن يقال كان فى مصر رجل اسمه حمزة البسيونى يحمى النظام بأقسى من الحديد والنار . .

كان فنانا فى تعذيب البشر ، كان خالقا فى كل وسائل التعذيب .

وسط كل هذه الصور المخزية أقول لك ، انا لا أرفض الناصرية . .

من يرفض القومية كأقوى المبادىء ؟ . .

من يرفض العروبة كأحلى انتماء ؟ . .

من يرفض الاشتراكية كأعظم أنواع العدالة ! . .

من منا لا يود أن يعيش فى مجتمع الكفاية والعدل ؟

من يقبل الاقطاع ؟

من يقبل رأس المال المستغل ؟

من يقبل العبودية ؟

من يرفض الحرية ؟

من يرفض الوحدة ؟

من يهادن الاستعمار ؟

اليست هذه الناصرية ؟.. نعم .. الناصرية هى الحرية والوحدة والاشتراكية ومحاربة الاستعمار والقضاء على الاقطاع ، والعبودية والقضاء على رأس المال المستغل ، واقامة مجتمع العدالة والكفاية .

الحرية انتحرت .

والاشتراكية الفقر .

والوحدة هتافات .. بعد اجهاضها فى سوريا .

والاقطاع استشرى ..

والعبودية طريق المناصب ..

ورأس المال فى الطبقة الجديدة السمسارة .

والعداله فى الجهل والفقر والمرض .

واستعمار جديد باسم جديد بدلا من الاستعمار القديم .

وقد تقول ان السبب فيمن هم حول الرئيس ، وأقول انها لغة بليدة لغة قديمة ، ليست لغة العصر فاذا أردت أن تعرف شخصا أعرف من حوله ..

هل تذكر محافظ أسيوط الذى قال فيه وامامه انه اشبه بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ـ وقلنا انه سيفصل من عمله لشدة نفاقه ، لهذا أصبح محافظ اسيوط هو محافظ العاصمة .

زوجى ..

النفس البشرية ضعيفة ، فاذا تعودت على المديح ، رفضت كلمة حق ، كلمة نقد ، وقد يحرمك هذا الكلام ولكنها الحقيقة ، والحقيقة دائما مؤلمة .. ونحن نعيش فى الآلام .. فى آلام الحقيقة ..

زوجى ..

ان الخلاف فى الراى قد يظهر الحقيقة ، والحكم هنا يريد الناس قوالب، لون واحد ، شكل واحد ، طابور واحد ، وبلا رؤوس ..

ومن يخرج عن الطابور ، ومن يحاور أو يناقش أو من ترفع هامته ، أو تنبت له هامة قطع رأسه ووضع فى الطابور .. ومن كثرة هذه الممارسة ، اصبحت هواية ، وامتدت الهواية لغير المصريين ، قد تفجع ، وقد تكون

اخفيت عنى فى رسائلك الخبر ، ولكن هل نعلم ان عشرات من اليمنيين وغير اليمنيين ، الذين خالفوا الزعيم الرأى منتشرين الآن فى سجون مصر ..

- مهدى عماش « عراقى » وجدوا أن أحسن معتقل له بيت فى مصر ..
- معين بسيسو « شاعر فلسطينى » خالف عبد الناصر فى الرأى فوضعه فى الواحات ، وذات مرة قالوا له اكتب استرحام للرئيس عبد النـــاصر وسوف نفرج عنك .. فكتب هذه القصيدة :

اركع
اركع للورقة
أغرز قلمك فى عينى طفلك
وأطلب ما أمرك أن تكتب من ذبحك
بالقلم على عتبة بيتك
كوم أوراقك قدامك
واسأل جلادك .. عن عود ثقاب

- ابراهيم طوبال « مناضل تونسى » فى المعتقل بمناســبة زيارة الحبيب بورقيبة للقاهرة .

واليمن لها حكاية مع حمزة البسيونى أو مع السجن الحربى ..

فى ١٦ سبتمبر الماضى ، حضر الى القاهرة النظام الجمورى لديك ، وكان المفروض ان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر ، واستقبلوهم فى المطار استقبالا وسميا ، وركبوا السيارات تحميهم الحصانة الدبلوماسية وبدلا من مقابلة الرئيس ، قابلوا حمزة البسيونى فى السجن الحربى .

- احمد نعمان عضو المجلس الجمهورى ورئيس وزراء اليمن والذى يرى أنه يمكن التفاهم مع السعودية مع البقاء على النظام الجمهورى .
- الفريق حسن العمرى القائد العـــام للقوات المسلحة اليمنية ويرى ان القوات اليمنية تستطيع وحدها مواجهة الملكيين فى حالة خروج القوات المصرية .
- حسن مكى نائب رئيس الوزراء ، له نفس الاراء السابقة .
- العقيد حسن السورى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة اليمنية له نفس الآراء السابقة .

- العقيد ابراهيم الحمدى نائب القائد العام ، كان أيضـا يرى ان يجتمع الزعماء العرب لوقف الدم العربى فى اليمن ، والنهوض باليمن .
- أحمد عبده سعيد ، نفس الآراء السابقة .
- محمد الحجرى ، وهو لا يعارض القيادة المصرية ، انما يبحث عن مخرج من الأزمة .
- يحيى المتوكل ، نفس الآراء السابقة .
- محسن العينى ، نفس الرأى السابق .
- درهم أبو لحوم ، أيضا يريد حقن الدماء .
- محمد أبو لحوم ، أيضا يريد البناء .

امين عبدالواسع عثمان وزير الزراعة ، البحث عن مخرج .

- عبد الرحمن البيضانى كان معتقلا فى بيته قبل تعيينه سفير اليمن لدى لبنان لصلة النسب بينه وبين أحد المسؤولين فى مصر .
- القاضى عبد الرحمن الاريانى . نظرا لكبر سنه وخوفا من بطش السفاح حمزة البسيونى ، اعتقل فى بيته لا اتصـال بالنـاس ، ولا للنـاس الحق الاتصال به .

هؤلاء كلهم فى السجون ، أدرى ، هل يعلم الرئيس بذلك ؟ .. هل هو الذى امر بذلك .. الا اننىعلمت بعض الأسباب لاعتقـال ثوار اليمن ، أو زعماء اليمن ، انهم يرون حلا لمشكلة اليمن ، مخرجا للسلام فى اليمن ، وهم يرون الاتصال مباشرة بالملكة العربية السعودية لوضع صـيغة للتعاون ، ونظرا لشدة الصراع بين مصر والسعودية ، فان من رأيهم أن يراقب الطرف المصرى الحوار اليمنى السعودى .. ورفضت السلطات المصربة هذا الاقتراح وقرر العمرى والاريانى والنعمان ومكى السفر الى الدول العربية لشرح وجهة النظر ، والتوسط بين زعماء الجمهورية ، وحماة الجمهورية ، بل ان الفريق حسن العمرى قرر أن يذهب الى الأمم المتحدة ليعلن عن عدم قبوله لاستمرار الوضع الراهن .

معنى ما يريده الفريق العمرى ، أن يسحب من الرئيس جمال عبد الناصر شرعية الوجود فى اليمن ، سواء على المسـتوى الداخلى ، أو العربى أو

الخارجى ، ويضع القيادة المصرية التى تخطط للمستقبل فى موقف حرج .
وهنا استدعاهم الرئيس جمال عبد الناصر للحضور الى القاهره للتفاهم على هذا الموقف الجديد ، وادخلهم جميعا فى قلعة اللواء حمزة البسيونى الكائنـة بالقرب من استاد القاهرة الكبير .

ستقول ان اليمن تستحق كل هذا ، سنقول ان اليمن تستحق آلاف الزهور التى دفنت هناك ، ستقول ان اليمن تستحق ان ينفق فيها أكثر من اثنين مليون جنيه مصروفات يوميا ، ستقول ان أثار ثورة اليمن ستضرب فى أعماق المنطقة وتقلبها الى الأمام ، ستقول ان ثورة اليمن ستدفع بشعب الجنوب والخليج الى الامام . ستقول انها بداية النهاية للاستعمار فى الخليج والجنوب وكل الجزيرة العربية .

لن أنكر شيئا من هذا ، بل لن أنكر انه لولا الوصول المصرى العسكرى السريع لليمن لما بقيت الثورة ، ولاجهضت كما تم اجهاض قبلها عشرات الثورات الكبيرة والصغيرة .

ولكن مصر ، القلعة والهدف ، البيت المصرى فى حاجة الى ترتيب من جديد ، الانسان المصرى فى حاجة الى اطلالة على العصر ، لقد قامت الثورة على مبادىء ستة ثلاثة اقامة ، وثلاثة قضاء .

١ ـ اقامة جيش وطنى قوى .
٢ ـ اقامة عدالة اجتماعية .
٣ ـ اقامة حرية سياسية .
٤ ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه .
٥ ـ القضاء على الفساد .
٦ ـ القضاء على الاقطاع ورأس المال المستغل .

نعم .. أقيم الجيش الوطنى القوى ، ولكن هل أقيم ليحارب فى اليمن ، والكنغو ويعسكر فى العراق أم أقيم لمحاربة اسرائيل ، ان قواتنا هذه اللحظة موجودة فى ثلاث مناطق خارج مصر ، قوات فى الكنغو ، وقوات فى العراق ، وقوات فى اليمن . ولنفترض ان اسرائيل شنت علينا هجوما ، هل ننتظر حتى تعود قواتنا ـ وهى أحسن ما لدينا ـ من الكنغو ، أم من العراق ، أم من اليمن ؟؟

والعدالة الاجتماعية ، بدأت بمحاولة عظيمة ، الا ان انفاقات مصر فى الخارج ، على المنظمات والأحزاب والصحف ، والعملاء ، والأفراد ، والقوات المحاربة لم تبق لتحقيق هذه العدالة ، وكأن العدالة فى الفقر .

والحرية السياسية ، أن لا تفكر ، تسير كما يريدون ، لا رأى لك الا الراى الرسمى وعليك أن تتبناه ولا تناقشه .

يا زوجى ..

بعد قيام الثورة أو قبلها بقليل ، قدمت مصر قرضا لالمانيا الغربية بمبلغ عشرة ملايين جنيه ، والآن مصر تدق كل الأبواب بحثا عن القروض ..

فى نقاشك عن خمس عشرة سنة ماضية ، وحديثك عن المصانع التى شيدت أتنس حقيقة ، تنسى انه بعد الحرب العالمية الثانية ، حدثت ثورة علمية كبرى ، هى ثورة التيكنولوجيا ، فجرت هذه الثورة ثروات ضخمة فى البلاد التى كان لديها استعداد لقبولها ، تنسى أن نصيب مصر من هذه الثورة العالمية لا شيء ، وحدث مقابل ذلك ظهور المال العربى بشكل كبير يبحث عن الاستثمارات ، وكان المفروض أن يكون مجاله الحيوى فى مصر ، ولا شيء من هذا حدث .

العالم كله يتقدم ، وكان علينا أن نضع هدفين واضحين : مواجهة اسرائيل وبناء مصر . ثم بعدها ننطلق الى العالم نعطى له الفائض ، نعطى له الدم ، نعطى له من قاعدة قوية .

هل تريد أن تحرر العالم كله ، ثم فلسطين ، أم تحرر فلسطين ثم تحرر العالم ؟..

هل تريد أن نبنى العالم كله . ثم نبنى مصر ؟

هل تريد الحرية للكونغولى ، والكوبى ، والايرانى ، ولكل انسان عربى ثم تعطى الحرية للمصرى بعد ذلك ؟

اننى أرى أن نبدأ بمصر أولا ، فهى القلعة ، وهى الرائدة ، وهى القاعدة التى يمكن أن ينطلق من عليها كل الأقمار !!

لست انانية ، ولكنى مصرية .

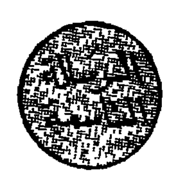
كلامى هذا سوف يغضب أى مواطن عربى خارج حدود مصر ، أنا أعلم ما قدمه الرئيس عبد الناصر للمواطن فى سوريا ، والجزائر ، وفى المغرب والخليج ، وأنا أعلم ان عبد الناصر قد قام بحماية ثروات البلاد العربية ، أنا أعلم ان اصلاحات داخلية كثيرة ، وانفتاح كبير حدثت فى عدد

كبير من الدول العربيــة خوفا من الناصرية ، أنا أعرف هامات المواطنين فى الخليج العــربى والجنوب العربى قد ارتفعت ، وصوتهم قد قوى ضــد القوات البريطانيــة الموجودة ، انا أعلم الثورات التى تفجر ضد الاستعمار فى آسيا وافريقيا ..

ولكن من يدفع !

المواطن المصرى ، يدفع من حبـــاته ومن دخله ، ومن قوته اليومى ، والآن يدفع من دمه ، ويدفع بأعز ما يملك بزهور تدفن أو تزرع هنا وهناك المهم اننا نحتاج لهذه الزهور فى تربتها الطبيعية على أرض مصر الطيبــة ، فانني أخشى أن نحتاج يوما فلا نجد من يقدم لنا شيئا ، بل اننى لا أريد ان احتاج لأحد ، لأننا أثرياء ، ولكن هذه الثورة تصار خارج الحدود .. وداخلى ممزق ..

زوجتك



صنعاء : ديسمبر ١٩٦٦

زوجتى ..

قبل أن اتحدث عن لعبة « السلام » فى اليمن ، أود أن اهمس لك بما يجول فى خاطرى ، لقد جاء لنا احد العملاء من المملكة العربية السعودية وتحدث عن آثار حرب اليمن فى الجزيرة العربية ، ولقد أعجبنى حديثه ، على الأقل ان الزهور التى دفنت هنا لم تذهب هباء ، أخذت بعدها افكر فى آثار هذه الحرب خارج مصر ، ووجدت أمامى هذه الصورة ..

* فى المملكة العربية السعودية انفتاح داخلى ، ومشروعات ، ومدارس ، ومستشفيات ، حتى أن سكان نجران لم يعرفوا طول حياتهم المال ، وكانت حياتهم كلها بالمقايضة ، لم يذوقوا اللحم ، لم يروا سيارة ، لا يوجد طريق ، والآن هناك طرق ومطارات ، وأموال ، ورخاء .

* فى الجنوب العربى شعور قومى لم يشهد له التاريخ مثيلا ، والاستعمار البريطانى لا بد وان يرحل عاجلا او آجلا ، ولم يعد منطقيا وجود العقول المتحجرة للسلاطين ، هم ايضا فى الطريق الى الزوال .

* فى الخليج العربى ، يستعد رجاله استلام مقاليد البلاد بعد قرب رحيل الاستعمار البريطانى .

* فى الكويت تجربة ديمقراطية كانت بعض الجيران تريد ضربها لولا انشغالها بتطورات الأمور فى حرب اليمن .

ولكن ..

فكرى فى مصر الحزينة ، فى الشباب الذى يدفن هنا ، فى الأموال التى تهدر هنا ، فى الأرواح التى ترهق هنا ، وكأن الدم المصرى أصبح رخيصا جدا ، وكأن المال المصرى أصبح مشاعا لكل انسان الا شعب مصر ، ومصر باستمرارها فى حرب اليمن أصبحت منهكة القوى ، وأخشى أن تنتهى هذه الحرب بكارثة على مصر ، وعلى هذا الشعب الصبور .

مصر ــ زوجتى ــ تحمى ولاتهدد ، تعطى ولا تأخذ ، وتعطى الى آخر ما تملك من مال ، من تأييد ، من حب ، بل ومن دم أحمر قانى كلون القرص الأحمر فى المغيب لأنه دم الشباب ! .

وكل ما أخشاه . أن يحتاج الرئيس عبد الناصر ، جانب ولو ضئيل لما نقدمه فلا يجد الا الجحود ، ولا يجد الا الرفض .

سأحكى قصة غريبة ، أشبه الى الرق منها الى أى شيء آخر ، دولة عربية ، لا لن أذكر اسمها ، ليس لديها خبرات ، لديها القليل من المتعلمين ، هى فى حاجة اليهم والى اضعاف اضعافهم ، هذه الخبرات تصدرهم الى الخارج بأثمان مرتفعة ، ترسل للرئيس عبد الناصر تطلب خبرات مصرية ، ومصر تلبى الطلب من منطلق قومى ثم تعطى للمصريين رواتب ضئيلة وتتحمل مصر الفروق واحيانا تتحمل مصر كل رواتب البعثة المصرية بينما ابناء هذه البلد يعملون فى الخليج والسعودية وهى فى الأساس تجارة ، وتجارة رقيق .

روجتى ــ اذا كان هذا قدرنا ، فلماذا لا نغير هذا القدر ؟ .. لماذا لا نثور على هذا القدر ، لأننا بقليل وقليل جداً من الذاتية ، وعطاء ليس بهذا السخاء نستطيع أن نصنع من مصر قطعة من اوروبا ، بل منافسة لأوروبا فى شمال افريقيا .

آه لو نخرج بسلام من اليمن ، آه لو أنفقنا ما أنفقناه فى اليمن على قرى مصر ، وشعب مصر ، لشهد العالم دولة عظيمة وقوية ورائدة .

ولكن فى اليمن ، كانت المأساة ، وفى اليمن كانت أحلى الزهور تدفن هنا وتوار الأمة العربية كالمتفرجين فى حلبة مصارعة ، دخلوا الحلبة ببطاقات مجانية ، بل بطاقات دفعت مصر ثمنها ، ولا تأخذ منهم الا الأصوات العالية .

وقصة السلام فى اليمن ، قصة قديمة ، صنعتها الأقدار منذ مئات السنين ، فاليمن أشبه بغناء مسرح رومانى ، العالم يتفرج على أطراف كثيرة متصارعة ، كل متصارع حديد فى لعبته ، يشد المتفرجين .

ولكى نفهم السلام ، لا بد وان نفهم أطراف اليمن ، وأطراف اللعبة .
أو المتباحثين عن « السلام » ..

حلبة المصارعة عليها مصريون ، وسعوديون ، ويمنيون ، وأمريكيون ، وسوفيات ، وانجليز ، كل هؤلاء اتخذوا من اليمن مسرحا للصراع .

* المصريون ، لهم وجهتى نظر فى « السلام » ، البعض يرى السلام فى رحيل القوات المصرية مهما كانت النتائج ، لأن مصر فى أمس الحاجة الى أبنائها وأموالها التى تهدر فى اليمن ، والآخر يرى فى استمرار الوجود فى اليمن حتى يمكن اخراج القوات البريطانية من الجنوب ثم عمان والخليج وبذلك يمكن حماية الثروة العربية من أيدى المستعمر ، وان هذا هو قدر مصر .
* السعوديون ، يريدون رحيل القوات المصرية واعادة البدر اماما على اليمن ، رغم الخصومة التاريخية بين الأسرتين ، وفى ذلك تجميد النمر اليمنى .
* الأمريكيون ، فى البداية كانوا منزعجين من وجود القوات المصرية فى اليمن ، ولكنهم وجدوا أن هذه وسيلة لاضعاف مصر اقتصاديا وانهاك قواها وشغلها بمعركة واحدة ، وهى التى كانت تقود ضد أمريكا عدة معارك فى اماكن مختلفة وفى وقت واحد .
* الانجليز ، يريدون رحيل القوات المصرية قبل رحيلهم ، لتظل المناطق المستعمرة بالقوات البريطانية تحت سيطرتهم بعد الرحيل .
* اليمنيون ، وهؤلاء هم المشكلة ، وهؤلاء هم الأطراف الأساسيون فى النزاع .

فاليمنيون فى نزاع مع أنفسهم منذ مئات السنين ، واى نزاع ؟ ..

* نزاع بين القبائل ـ سكان الجبال ـ والفلاحين سكان السهول .
* نزاع بين الزيود والشوافع .
* نزاع بين الهاشميين وبقية الشعب .
* نزاع جغرافى بين اقاليم اليمن .
* نزاع بين الهاشميين وأنفسهم .
* نزاع بين الذين تعلموا فى المدرسة العلمية وبين الذين تعلموا فى مدرسة الأيتام .

* نزاع بين مرتدى العمامة والخنجر وبين مرتدى الطاقية والتى يسمونها هنا « الصمادة » وهى ملبس أبناء الشعب .

* نزاع بين الملكيين والجمهوريين .
* نزاع بين الملكيين انفسهم .
* نزاع بين الجمهوريين أنفسهم .

أى أننا لسنا امام « يمن » واحـــد أو شطرين من اليمن ، بل اننـــا امام عشرين يمن ، وكل يمن من هذه تريد تصفية حساب تاريخى مع يمن ثانية ، وجانب من هذه الحرب ، واستمرار هذه الحرب ، يقع أساســا على حقيقتين أساسيتين :

الأولى : ان القيادة المصرية تفتقر جدا الى دراسة علمية عن الخلافات فى اليمـــن .

الثانية : ان القيـــادة المصرية لم تتمكن من وقف المضى فى تصفيـــة الحسابات التاريخية بين اليمنيين بعضهم البعض .

ان آلة الحرب البشعة فى اليمن لم تعطينا الفرصـــة لهذه الدراسة الهامـــة ، ولن أدعى لك اننى خبير فى هـــذه الخـــلافات ، الا اننى سمعت حكايات كثيرة عن هذه الخلافات كان من الممكن أن تكون الخيوط للوصـــول الى « حقيقة اليمن » .. واليك القليل مما سمعته :

●● حكم اليمن أو « الامامة » حق للهاشميين وبدأ العهـــد المتوكلى عام ١٩١٨ ، وبدا العهد بجمع زعمـــاء قبـــائل من المتعصبين للســـلالة الهاشمية ، المؤمنين بحقهم المقـــدس فى الاستئثار بالسلطة والحاقدين على الذين لم يتعصب أجدادهم قبل مئـــات السنين لحق على بن أبى طالب فى الخلافة من بعد الرسول هو وأبنـــاؤه واحفاده واحفاد أحفاده .. وهذه القبائل أبيح لها أن تسكن فى مساكن الأهالى بالقـــوة حتى لو أدى الأمر ــ وكثيرا ما كان يؤدى ــ الى اخراج رب المسكن ليحتـــله المجاهد فى سبيل الله ، ويفرض على الزوجة ان تتولى خدمته واطعامه ما يختار من طعام .. وكم من أكواخ هدمت أو حرقت لأن فلاحا أو فلاحة اعتـــذرت بالفقر على تلبية الرغبات المسعورة للجنود ، والتى لا قبل لأحد بها ، ولا تزال اليمن كلها تذكر احراق خربة « الجوبان » سنة ١٩٥٥ بفعل الجنود الذين ارادوا اغتصاب حزم الحطب من الفلاحين ، فدافعوا عنها فعـــاد الجنود ليقاتلوا الأهالى ويحرقوا قريتهم .

●● فى اليمن طبقة السادة وهم من الهاشميين ، وللسـادة حقوق كثيرة منها رئاسة الدولة ، وعلى كافة المواطنين أن يقبلوا أيدى السادة ، اذا كانوا من عليـة القوم ، ويقول محمد أحمد نعمـان « أما المواطنون العاديون فالمفروض عليهم أن يقبلوا ركب الهاشميين ، واذا اراد الهاشمى أن يرد على هذه التحيـة ، فليس بأكثر من وضع يده على كتف المواطن المتقوس الظهر أمامه وهو يقبل ركبته » .

يقول محمد أحمد نعمان فى مذكرة « لقد حاولنا القفز على الحواجز ، ثم دبرنا المـكائد ، وانفجـر البركان يريد أن يحطم كل شىء ويسحق كل مقاوم ثم وجدنا أنفسنا بعد ذلك نواجه حقائق وجودنا صارخة مجردة ، وننظر لتناقضات حياتنا ساخرة مفزعة » .

* الحريق الدمار لأرض القبائل .
● النسف والاغتيال فى المـدن .
* وقتل العسـاكر للفـلاحين فى « ماوية » وشرعب ونهب الدكاكين فى الحديدة وتعز .
● والاعدامات للهاشميين والمعممين الكبار من القحطانيين .
* والصراع المخيف على اقتسام المراكز بين الزيود والشوافع .
● وتهامة التى تبحث عن نسب لهـا بين الفئات المختلفة كلها تشـكو انصراف الجميـع عنهـا وتضيق بالوافـدين « الحباليـة » ، « فالحديدة » . لأبنائها أولا ، وليعود أهل البلاد الباردة الى الجبال .

زوجتى . .

هذه صورة لأطراف اليمن ، ومن هم خارج اليمن الذين يبحثون عن « السـلام » ، والسـلام فى اليمن مر بمراحل كثيرة ، مرة كنا نرغب فى الخروج ، ومرة نريد أن نحقق آمالا جديدة فنتمسك بالوجود فى اليمن ، الا ان النهاية أننا فى مازق .

ولقد عقد حتى الآن خمس مؤتمرات رئيسية بحثا عن السلام فى اليمن وغير المؤتمرات الجانبية التى عقدت هنا وهناك .

* وكان أول مؤتمر يبحث فى السلام هو المؤتمر الذى عقد فى ٢ سبتمبر عام ١٩٦٣ فى مدينة عمران وكان جدول أعمـاله البحث عن « وقف القتـال » وكان أعضاء المؤتمر من شيوخ القبائل ، ولم يسفر هـذا المؤتمر على أى خطوة نحو السلام .

* عندما اجتمع الملوك والرؤساء العرب في الاسكندرية في سبتمبر عام ١٩٦٤ ، كان اللقاء الأول بين الملك فيصل — بعد ان أصبح ملكا — وبين الرئيس جمال عبد الناصر ، وفي اجتماعاتهما الجانبية تم مناقشة قضية اليمن ، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر « يضم الأطراف المعنية » للبحث عن السلام في اليمن ، وتم اختيار مدينة « اركويت » في السودان للمؤتمر ، وفي ٢٩ أكتوبر تم أول لقاء بين الملكيين والجمهوريين على ارض السودان ، وكان هذا المؤتمر لبحث أمرين :

الأول : وقف القتال .

الثاني : الاعداد لمؤتمر سياسي .

وتمت الموافقة على وقف اطلاق النار ، وصدر البيان برغبة « المؤتمرين » في عقد اجتماع جديد .

* بعد مؤتمر اركويت ، بدأ الاستعداد لعقد مؤتمر حرض في اليمن ، لقد قررت الحكومة اختيار ممثل عن كل منطقة جغرافية لحضور مؤتمر حرض ، وحدثت شبه انتخابات لأول مرة في تاريخ اليمن ، اذ قامت كل قرية أو مدينة باختيار مرشحها لمؤتمر حرض ، وجاء الممثلون الى صنعاء ، واعترض البعض على البعض ، وبدات الاحقاد التاريخية تطفو من جديد ، وظهرت عشرات القوى ، الا أن هناك خمس قوى هامة ظهرت على المسرح السياسي للاعداد لهذا المؤتمر :

١ — الجمهوريون المنشقون ، وكانوا يرون اهمية اقامة علاقات حسن جوار مع السعودية .

٢ — الحكومة الجمهورية ، ترى في الجمهوريين المنشقين خونة .

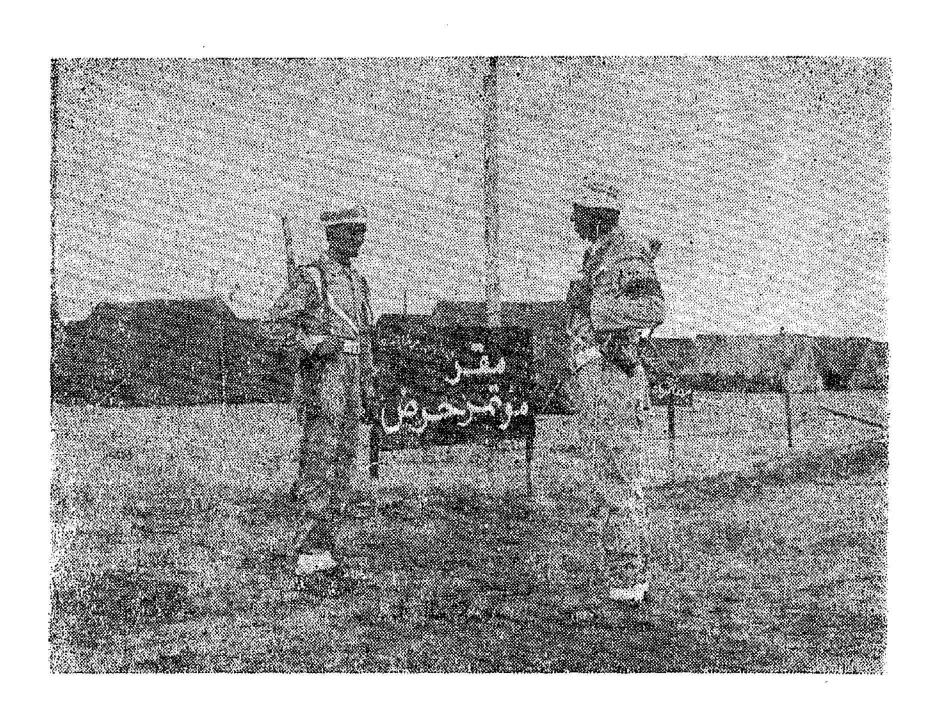
٣ — اتحاد القوى الشعبية اليمنية .

٤ — منظمة الشباب .

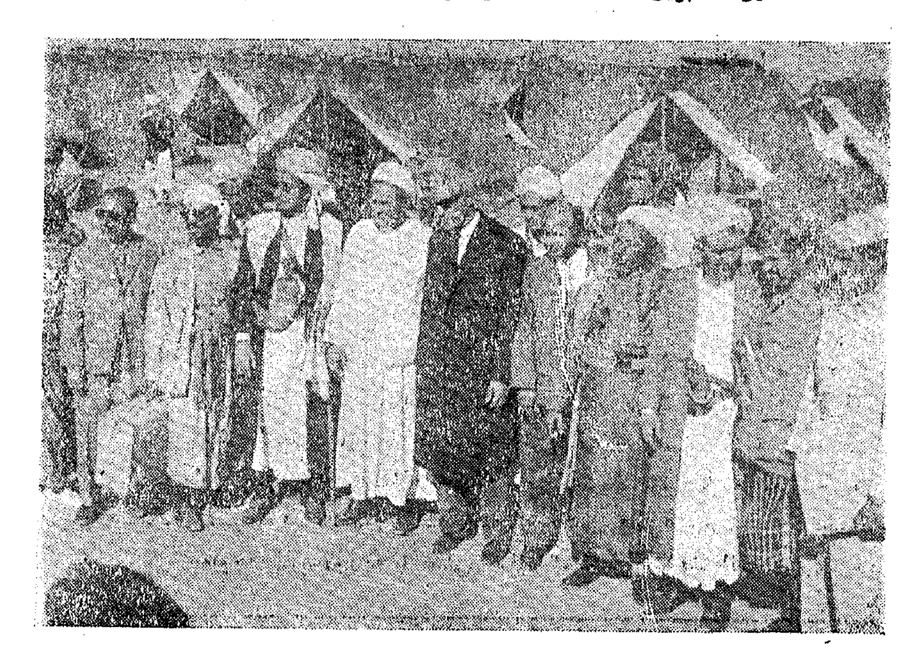
٥ — حزب الله الذي كونه محمد محمود الزبيدي ورفاقه .

وفشل مؤتمر حرض الأول ، ثم تلى ذلك أحداث مؤسفة قمتها اغتيال محمد محمود الزبيدي .

* وفي ٢ ابريل عام ١٩٦٥ عقد مؤتمر صحر وطالب المؤتمر العمل على اصدار دستور لليمن وتشكيل لجنة لمتابعة قرارات هذا المؤتمر العام . والتوصية على ضرورة عقد مؤتمر آخر تحضره جميع الأطراف . ولقد



وفى ٢ ابريل ١٩٦٥ عقد مؤتمر حرض لمحاولة ايجاد سلام فى اليمن



النعمان : زعيم الجمهوريين المنشقين

أعجبنى فقرة من فقرات قرارات المؤتمر والتى تقول « يشكر المؤتمر وباسم الشعب اليمنى ، الجمهورية العربية المتحدة على ما قدمته من عون للثورة اليمنية وللشعب فى الجمهورية العربية اليمنية ، ويقدسون الدماء الزكية وأرواح الشهداء الطاهرة التى حققت المعانى السامية للاخوة العربية » .

اعجبتنى هذه الفقرة لأن التاريخ العربى ملىء بالجحود والنكران ، وملىء بالزيف والتزييف ، ولهذا اخترت لك هذه الفقرة من قرارات هذا المؤتمر .

* رغم هذا تعقدت الأمور ، كما تعلمين ، فان الرئيس جمال عبد الناصر قد سافر الى المملكة العربية السعودية ، وتم التوصل الى اتفاقية جدة ، وأهم بنود هذه الاتفاقية هو :

١ ـ تقرير المصير فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ .
٢ ـ مؤتمر جديد فى حرض يعقد يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ .
٣ ـ وقف مساعدات السعودية للملكيين .
٤ ـ انسحابنا من اليمن قبل مؤتمر حرض .
٥ ـ تشكيل قوة سعودية مصرية تسمى قوة السلام .

وبدأ التنفيذ ، ووصلت باخرة سعودية « الطائف » الى ميناء الحديدة تحمل معدات لجنة السلام كما تم تعيين الفريق فريد سلامة رئيسا للجانب المصرى والأمير عبد الله السديرى رئيسا للجانب السعودى واستطاعت لجنة السلام تشكيل لجان واقية ، وعن طريقها تم تسليم الأسرى المصريين وكان عددهم ٤٢ أسيرا وهؤلاء تحدثوا عن الأسرى بالعشرات الذين قتلوا فى نجران وجيزان ، بأيدى قوات البدر وعلقت رؤوسهم على مداخل المدينة ، سمعت ـ زوجتى ـ من القادمين قصصا يشيب لها الأطفال لا يمكن أن يحدث هذا فى أى قرن من قرون البشرية . وأسرعنا بترحيلهم الى القاهرة .

وعلقنا الأمال على لجنة السلام السعودية المصرية ، والتى قامت فعلا بجهد كبير ، ورغم الاعداد لمؤتمر حرض ، كان الفريق حسن العمرى رئيس الوزراء لا يتعامل مع لجنة السلام ، ولا يؤمن كثيرا بشرعية مؤتمر حرض الا أن القيادة المصرية فى صنعاء استطاعت ان تكون همزة وصل بين لجنة السلام وبين حكومة الجمهورية ، حتى أمكن تشكيل الوفد الجمهورى من

٢٥ عضوا لحضور مؤتمر حرض ، وكان الوفد برئاسة القاضى عبد الرحمن الاريانى . وحملت طائرتان مصريتان الوفد الجمهورى الى حرض .

وحضر من الجانب الملكى ٢٥ عضوا برئاسة القاضى أحمد محمد الشامى وبدأت الاجتماعات فى معسكر كبير ، ومستشفى ، ومكتب للبرقيات واذاعة محلية .

والتقى الجانبان ، وكان لقاء حارا بين الجانبين ، وعقدت الجلسة الأولى وتحدث القاضيان الاريانى والشامى .

كان كل شىء يسير الى الأمام ، حتى وصل أحد أعضاء الوفد الملكى ، رجل أمريكى يرتدى الملابس العسكرية للقوات الملكية اليمنية ، اسمه بروز كيندى ، أو عبد الرحمن كنده ، كما كان يطلق على نفسه ، وهذا الأمريكى يتحدث اللغة العربية بعدة لهجات ومنها اللهجة اليمنية ، ودخل صالة الاجتماعات الا ان الجانب السعودى قد نقل الأمريكى فى اليوم التالى للمؤتمر ، وكان حديث الدكتور رشاد فرعون يعطى صورة للصراع فى اليمن حيث قال المستشار السعودى « أن شاء الله يتعشم خير ، لا بد أن ينتهى الخلاف بيننا لأنه لا يستند الى أسباب قوية ان بعض محترفى الحروب يأتون الينا ليتسلموا رواتبهم ويأخذون ثمن ما يعملون ، وربما نفس الأشخاص يأخذون منكم أيضا ، وأنتم شعب مسالم ـ مصر ـ موارده محدودة ، وهذه الحرب لم تجرأ عليها جيوش الدول الكبرى ، وسنتعاون معا من أجل سحب القوات العربية من اليمن ، اننا بالنسبة لهذه النقطة متفقون تماما » .

استمر المؤتمر شهرا كاملا ، يبحث عن تفسير لاتفاقية جدة ، وكان أهم ما يعترض المؤتمر أمرين :

١ ـ ما جاء فى الاتفاقية « ليتولى طريقة الحكم » ، وكان الجانب الجمهورى يرى ان طريقة الحكم معناها أسلوب الحكم فى ظل الجمهورية العربية اليمنية بينما يرى الجانب الملكى تمنى شكل الحكم .

٢ ـ طالب الجانب الجمهورى اسقاط أسرة حميد الدين ، وقال الجانب الملكى أن اتفاقية جدة لم تذكر شيئا من هذا .

وأرسلوا للرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل يطلبون تفسير ، وجاء الرد منهما يحمل نفس المعنى ، وهو التمسك بروح اتفاقية جدة .



بروز : ضابط من المرتزقة ، اسموه عبد الله ، واعطوه رتبة اللواء فى جيش الملكيين أو قوات الامام التى تتمركز فى جنوب المملكة العربية السعودية ..

وجاء شهر رمضان ، وانفض السامر ، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر فى يناير ١٩٦٦ ، وأجهضت اتفاقية جدة ، وفشل مؤتمر حرض ، وانتهى السلام من ربوع اليمن ، وعاد القتال من جديد ولم تخرج ـ طبعا ـ القوات المصرية من اليمن ، وعاد الخلاف المصرى والسعودى ، وعاد الخلاف بين الجمهوريين ، الى آخر هذه الحكاية المقيمة الأليمة التى تحدث هنا .

هذه حكاية السلام فى اليمن ، الا أن هناك أسباب أساسية لفشل السلام فى اليمن ، فأى انسان يشهد لقاء اليمنيين فى هذا المؤتمر يشعر ان هناك حلقة مفقودة هى التى تقف حائلا للسلام فى اليمن ، وليس فى الأمر سرا ، ان السلام فى اليمن لن يتحقق للأسباب الآتية :

١ ــ تكوين طبقة مصرية سعودية يمنية مستفيدة شخصيا من استمرار حرب اليمن ، أثرت ثراء فاحشا من هذه الحرب ، وتطالب بالمزيد ، ولن يأتى المزيد الا من استمرار الدم ودفن الزهور فى اليمن .

٢ ــ ان هناك مرتزقة مستشارين للامام البدر ، وهؤلاء المستشارين هم مستشارى السوء ، يصورون له امكانية دخول صنعاء وهذا مستحيل تاريخيا ، بودى أن أقطع رقبة هؤلاء المستشارين الذين يبحثون عن مصالحهم الشخصية فيضللون .

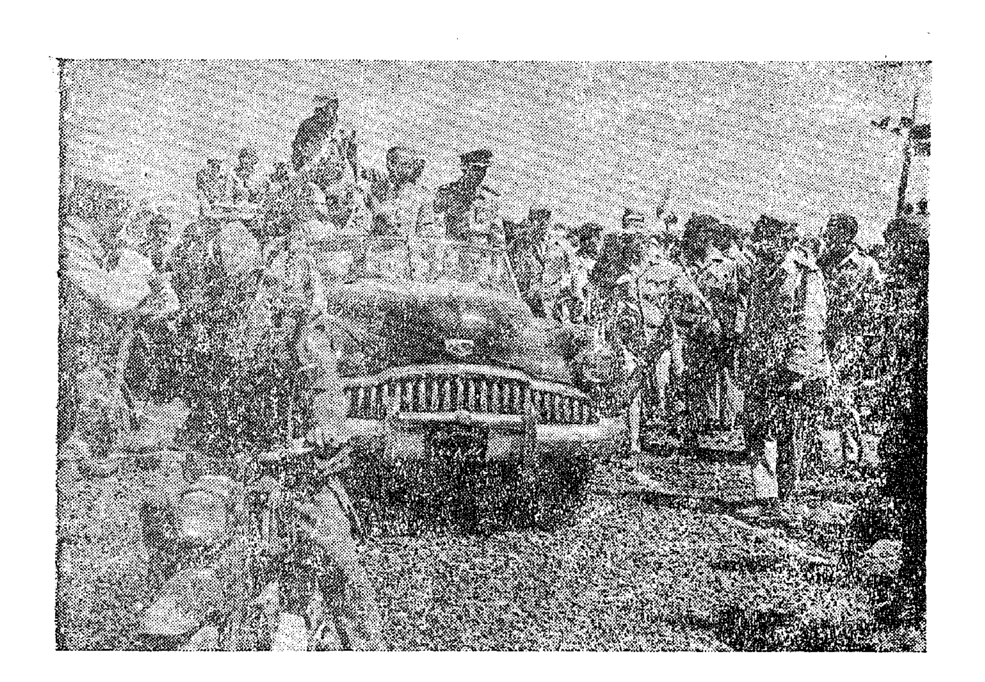
٣ ــ الولايات المتحدة الأمريكية ترى التورط المصرى فى اليمن ، يكفل حماية من مهاجمتها فى أماكن أخرى من العالم .

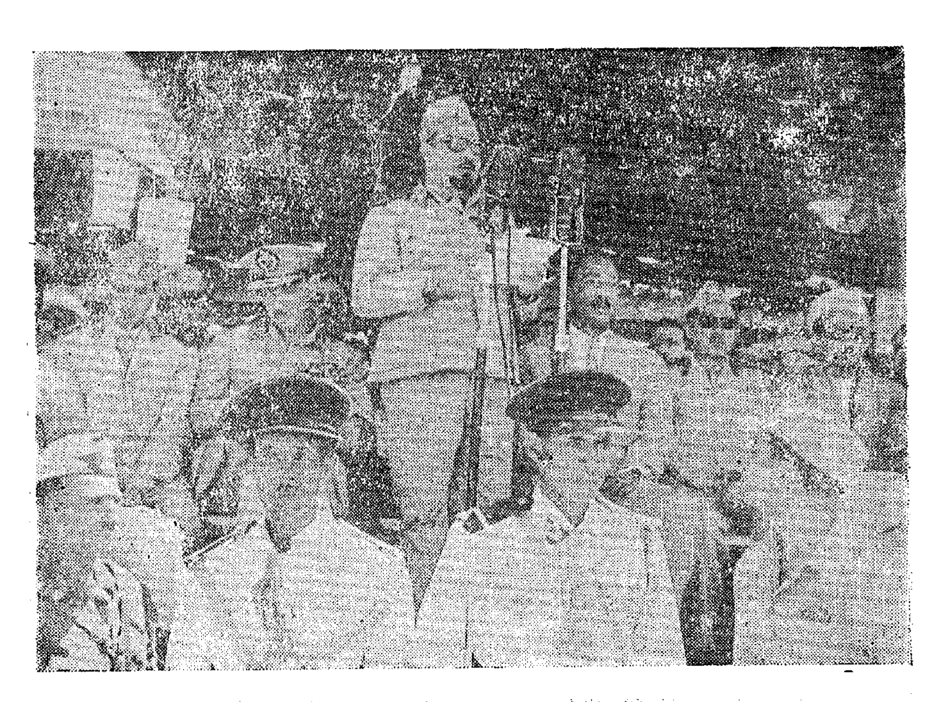
وأخيرا ..

الآن نحن فى بداية عام ١٩٦٧ ، وهذه كل محاولات السلام باختصار التى حدثت فى اليمن ، وأقول لك اننا لن نخرج من اليمن الا فى ظروف لا يعلمها الا الله ، وان هذه الحالة كارثة علينا ، وعلى اليمن نفسها ، فالثورة ما قامت لتستمر الحرب كل هذه السنوات ، بل قامت لتبنى يمنا جديدا غير يمن الامام والعصور ما قبل الوسطى ، واقتصادنا منهار ، وأمامنا معركة حتمية ، حتمية مع العدو الاسرائيلى لا ادرى متى تكون هذه المعركة ، ولكنها قادمة .

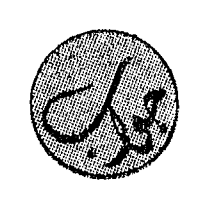
وسلام عليك من اليمن حيث لا سلام ولسنوات قادمة .

زوجك





كانت زيارة أنور السادات لنا تعطينا الكثير من الطمأنينة ، وكذلك المشير عامر



الرسالة التاسعة

القاهرة : فبراير ١٩٦٧

زوجى العزيز ..

نحن فى حاجة الى معجزة لنخرج من اليمن ، الا اننى أشعر وأنا على بعد آلاف الأميال أن القتال لم يعد عنيفا كالسابق ، وأشعر أنه حدثت شبه معايشة مع ظروف اليمن ، هذه هى الخطورة ، المعايشة لقتال ومناخ اليمن ، لأن الحرب التى سوف تخوضها مصر تختلف شكلا مضمونا عن حرب اليمن ، ولقد كان هذا سؤال من عضو مجلس الأمة المصرى للمشير عبد الحكيم عامر فى الجلسة السرية التى عقدها المجلس ليسمع حكاية اليمن من المشير بعد أن كثرت وانتشرت لاشاعات فى طول مصر وعرضها ، وبعد أن فقدت الحكومة المصرية الثقة فى اخلاص هذه الحكومة تجاه ابنائها ، ولقد حدث فى مصر حدثان خطيران لهما دلالة أكيدة بعدم الثقة المتزايد بين الحكومة والناس ، الحدث الأول ، فان احدى المجلات المصرية وهى آخر ساعة ، قد نشرت تحقيقا صحفيا مصورا لقواتنا وهى فوق الجليد فى صنعاء ، وما كان من الأمهات أن ذهبن الى المحلات لشراء بلوفرات من الصوف ، وذهبن بها الى ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة لكى تقوم هذه الادارة تسليم هذه البلوفرات لأبنائنا فى اليمن ، وان دل هذا عن شيء فانما يدل على أن الشعب لا يثق فى أن الحكومة قد وفرت فعلا ملابس ثقيلة للقوات الموجودة فى اليمن .

والحدث الثانى أغرب وأعنف ، لقد خرجت الأمهات بملابس البيت فى مظاهرة عنيفة الى المدارس لاخراج أبنائهن وأخذهم الى البيوت وقد حدث هذا فى لحظة واحدة من أسوان الى مرسى مطروح ، وبعد انتشار إشاعة

تقول ان الحكومة ستأخذ دم من الأطفال ، وهذا دليل على عدم الثقة بين الحكومة والشعب .

زوجى ..

حقائق اليمن بدأت تتسرب الى الناس لتمزقهم بين لا مبالى لكل شىء وبين معارض الى حد السجن مما جعل المشير عامر يجتمع بأعضاء مجلس الأمــة يتحدث لهم ، ويخفف من قسوة الحقـــائق التى نشرت فى مصر ، يقابلها شواهد وأهم هذه الشواهد اختفاء عشرات السلع من الأسواق .

وفى هذا الأسبوع ، حدث ان احد الجنود قد رفض السفر الى اليمن ، وانتشرت هذه الدعوة الى معسكر كامل ، يرفض السفر الى اليمن ، وقد ارسلت لهم القيادة الى معسكرهم فى المعـــادى احد كبار ضباط القوات المسلحــة ليشرح لهم أهــداف حرب اليمن ، ولكن لم يستطع ان يقنعهم بالسفر الى هناك لحرب لا نهاية لهـــا ، وفطنت القيـــادة العامة الى أمر عزيز على الشعب المصرى ، وهو الدين ، فأرسلت لهـــذا المعسكر احــد علمــاء الدين ، ليشرح لهم أهداف حرب اليمن من الناحية الدينية ، وانها حرب لانقاذ شعب مســلم من اسرة ظالمــة مستبدة ، ولكنهم ايضـــا لم يقتنعوا ، وخشيت القيادة أن تسير العدوى الى كل القوات ، وأن تصل الى القوات الموجودة فى اليمن ، فتكون كارثة لا حل لها ، وفى نفس الوقت لا تستطيع أن ترسل قوة متمردة الى اليمن ، فأرسلت المعسكر الى منطقة نائية على البحر الأحمر .

بعد ذلك .. أصبح السفر الى اليمن اختياريا . وهذه موضة جديدة فى أى قوات مسلحة فى العالم يذهب احد أفراد القيـــادة من كبار الضباط الى المعسكر — أى معسكر — يشرح فيه الفوائد الشخصية ، وخاصة المالية التى يجنيها المسافر الى القتال فى اليمن ، ثم يذهب بعده أحد رجال الدين يحثهم على الجهاد فى سبيل رفع الظلم عن الشعب اليمنى ، ثم من اقتنع يسجل اسمه فى قائمة المغادرين البلاد فى طريقهم الى جبال اليمن .

بعد اغتيال الاخوان المسلمين ، كما تحدثت لك فى رسالتى السابقة ، أفرجت الحكومة عن كافة الشيوعيين المصريين ، يومها قيل للرئيس جمال عبد الناصر ، ان الشيوعيين متآمرون ولن ينسوا ما حدث لهم فى السجون من تعــذيب ، وقد يتآمرون عليك ، وسيعملون من تحت الأرض كعهودهم السابقة ، وكان الرئيس جمال عبد النــاصر يريد الافراج عن الشيوعيين ارضـــاء الكرملن ، وكان رد الرئيس جمال عبد النـــاصر على تخــوفات المسؤولين من الافراج عن الشيوعيين :

— أنا أعرفهم جيدا ، أنا سأحل كل تنظيماتهم بمصروفات يوم واحـد فى اليمن ، سأشترى التجمعات الشيوعية المصرية بالمرتبات والمناصب ، وسوف تشهدون أنهم سيمثلون الطبقـة البرجوازية فى مصر بعـد شهور ، .

كان صادقا الرئيس جمال عبد الناصر فى توقعاته ، معظمهم انغمسوا فى متطلبات الحياة اليومية ، وتطلعاتهم الشخصية ، وانحصرت نشاطاتهم فى شقة انيقة فى حى راق ، وسيارة صغيرة وجلسـة فى مقاهى الفنـادق الممتازة ليتحدثوا عن البلوريتاريا ، وفائض القيمة ، والاستعمار الجديد ، وتكون رؤوسهم قد اثقلها الخمر والحديث فيذهبون الى منازلهم ، سعداء بهذه الحياة السهلة الرائعة .

ولكن ، مما لا شك فيـه ، أن هناك جانب ضئيل منهم ما زال يؤمن بمبادئه ، يعمل من اجلها ، وهؤلاء فى طريقهم الى حيث الاخوان المسلمين الآن .

واحدث نكتة ، أن الشيوعيين فى الصحف أصدروا ملاحق تتحدث عن مؤامرة الاخوان المسلمين ، وانتشرت اشـاعة قبل صـدور هذه الملاحـق تقول أن هناك جهـازا سريا للاخوان لم يكتشف بعد ، وخاف الشيوعيون أن يوقعوا على المقالات التى تهاجم الاخوان المسلمين فى هذه الملاحق خوفا من الجهاز السرى الذى لم يكتشف بعد .

يبدو ان العلاقة بين مصر والسعودية قد وصلت الى نقطة اللاعودة ، ما زالت صحفنا تهاجم بعنف المملكة العربيـة السـعودية ، ويبـدو أن الطـائرات المصرية مستمرة فى الهجوم على نجران ، وجيزان ، ويجـد فى منطقة باب اللوق مكتب لرابطة أبناء الجنوب العربى ، أو حزب الرابطة ، وهذا الحزب خلال الفترة الماضية كان على علاقة حسنة مع المملكة العربية السعودية ، وهو يعمل على تحرير الجنوب العربى بالوسـائل السلمية ، ويشرف فى القاهرة على تعليم أبناء الجنوب فى المدارس والمعـاهد المصرية وقد داهمتـه المخابرات العامة ، وأخذت منـه كافة الأوراق واغلقته الى الأبد .

ولكن .. رغم هذا .. رغم اغلاق هذا المكتب ، فان رئاسة الجمهورية ما زالت تقدم لزعمـاء هذا الحزب راتبهم بصفتهم لاجئين سياسيين رغم الاختلاف فكريا معهم ..

وبمناسبة الاختلاف الفكرى ، فان المصريين يقولون ان الدين لله ومصر للأجانب ، من كثرة المخصصات الكبيرة لهؤلاء السياسيين ، والمقامرين ، وكان المرحوم الشاعر كامل الشناوى يقول ان لم يعجبك راتبك فى بلدك ، اشتم حكومتك ، واعمل نفسك ثوريا ناصريا ، واطلب اللجوء السياسى للقاهرة ، وسوف تقدم لك القاهرة التالى :

١ ـ راتب لا يقل عن ١٥٠ جنيها فى الشهر وهو راتب وكيل وزارة مصرى ، وسوف تحصل عليه حتى لو كنت صعلوكا ، وقد حصل عليه مذيع سورى تحت التمرين ـ مثلا ـ

٢ ـ شقة من الحراسة تطل على النيل ، أو على الأقل فى الزمالك او جاردن سيتى .

٣ ـ تليفون مكالمته مجانية .

٤ ـ بطاقة عضوية فى احسن نادى فى مصر وهو نادى الجزيرة .

٥ ـ سيارة بدون جمرك ، لأنك لست مصريا .

٦ ـ كرسى مسائى فى كافتيريا سميراميس .

والدخول الى حياة اللاجئين السياسيين المترفة فى القاهرة لا تحتاج الى شروط كثيرة ، ليس مهما أن تكون مؤمنا بعبد الناصر ، وليس مهما أن تكونا مؤمنا بالثورة الناصرية والاشتراكية والوحدة ، المهم أن تسب نظام حكمك بشكل علنى ، وتصل الى القاهرة لترتفع من حضيض بلدك الى الارستقراطية المصرية .

وبعد أن تستقر فى مصر ، يمكنك أن تسب وتلعن هذا الشعب الذى يركب الأتوبيس من الشباك ، ويأكل الفول كل صباح ، ويقف فى طابور امام الجمعيات التعاونية ، ويشكرك اذا قدمت له سيجارة مستوردة .

زوجى ..

اذا كان هذا قدرنا ، فلماذا لا نغير هذا القدر ؟

تصور ، من هول ما اسمع ، من هول ما اقرأ فى الصحف العربية ، ومن هول ما أعلم عن انفاقاتنا فى اليمن وعلى صحف بيروت وغير بيروت ، اننى أريد أن أعيش داخل حدودى ، واشيد حضارة جديدة ، واقيم المصانع والمزارع فى سيناء والواحات الكثيرة التى لدينا ، واقيم مصر القوية الفتية التى كانت تسبق الحضارة الانسانية .

زوجى ..

المفروض أن أكون سعيدة ، فأنا أملك سيارة ، وابنى فى مدرسة لا يطلب منى ان اشترى له كرسيا ليأخذه الى المدرسة ليجلس عليه ، فهو

فى مدرسة خاصة ، وأنت كونك من القوات المسلحة ، فلنسا دخل كبير ، واسكن فى أرقى أحياء القاهرة رشوة لك لحربك فى اليمن ، ولى حصانة كالحصانة البرلمانية لكونى زوجة مقاتل فى اليمن ولكن لدى احساس قاتل ، اننى سرقت كل هذا من الناس ، وهذا يؤلمنى .

ثم .. أسأل نفسى .. لو أن حرب اليمن ، حربا مقنعة ، هل كانت الحكومة قدمت لك كل هذه الرشوة ؟

وبالمناسبة ، بمناسبة الرشوة ، أرجو أن ترسل ورق حائط لزوم الديكور لشقة جاردن سيتى ، والثلاجة التى وعدتنى بها ، والمكنسة ، وكل اختراعات النصف الثانى من القرن العشرين ، فأنا اكاد أن اراه فى سوق صنعاء الضيق القذر .

وحدى .. ومن رسائلك أرى اليمن .

وحدى .. أعرف الحقيقة فى هذه البلاد البعيدة ..

وحدى .. أعرف أسباب التمزق الذى أصاب هذا المجتمع المتماسك.

وحدى .. أعرف حقيقة السلام المطلوب على جبال اليمن .

وحدى .. أعرف عدد الشهداء .. ولون الدم .. ومصير التضحية والضحايا .

وحدى .. مع وحيدى .. أعرف كل شىء ولا استطيع أن أبوح .. والكل فى متاهة .. والبلاد تغوص .. وحرب لا حاجة لنا بها .. مهما قال المنظرون .

زوجى ..

لماذا لا تهتف معى .. ليسقط كل شىء .. ليسقط الظلم .. ولتسقط الأمبراطوريات .. ولتحيا مصر .. مصر الثرية .. الثرية بترابها .. بحضارتها .. بعقولها .. بشعبها .. بكل ما وهبته العناية الالهية لها ..

اهتف معى .. وأترك جبال اليمن .. وعد هنا الى معركة مقدسة .. معركتنا مع اسرائيل .. ومعركة اللحاق بحضارة القرن العشرين .. فنحن نجيد صناعة الحضارة والحب ، لا نجيد صناعة الكراهية والثأر ..

عد الى هذه الأرض الطيبة .. لتغنى مع الفلاحين ، مع العمال ، مع شروق الشمس ، أغنية السلام والحضارة .. أغنية التقدم والعطاء .. اغنية لمصر .

زوجتك

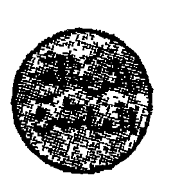


باب اليمن

من هنا دخلت قواتنا الى المجهول فى اليمن



المشير السلال والفريق القاضى يستعرضان محاولة اقامة جيش يمنى



صنعاء : في أبريل ١٩٦٧

زوجتى العزيزة ..

الآن فقط أستطيع أن اتنفس ، بعد سنوات من قتال غريب ، هنـا هدوء نسبى على هذه الجبال اللعينة الجرداء ، وخلال هذا الهدوء أحاول أن أفهم اليمن ، ربما كان المفروض أن أفهمها قبل ان ندخلها ، ولكن الاستعمار لم يترك لنا مجال الاختيار ..

اليمن .. سيظل اسمها يهز كيانى حتى الموت .

ففى اليمن كانت الرحلة الشاقة من الشك الى اليقين .

وفى اليمن ودعت المئات من الأصدقاء ورفاق السلاح .

وكانت اليمن ـ وستظل ـ الثقب الكبير فى الاقتصاد المصرى .

وفى اليمن قضيت أحلى سنوات شبابى بعيدا عن الأم والابن والزوجة.

قد تكون جبال اليمن جميلة ، قد تكون أرضها سخية ولكنى أراها ممزوجة بدم شبابنا ، ارى على كل قمة جبل عشرات الرؤوس المصرية التى فصلت عن جسدها بالخناجر .

زوجتى ..

لقد وعدتك ان احكى لك حكاية الجنوب العربى المحتل ، او جنوب اليمن المحتل ، أو حربنا الثانية فى اليمن ، أو العملية صلاح الدين .

وقبل ان اتحدث معك عن حربنا الثانية فى اليمن ، أود أن أسجل لك اعجابى الشديد بثورة الجنوب ، وانـنا نقوم فقط بمساعدتهم ماليا وعسكريا ونادرا ما يذهب بعض أفراد قواتنا للحرب بجانبهم ، وحتى لو

ذهب بعض أفراد قواتنا للحرب معهم ، فهذه فى نطاق المساعدة والمشاركة ، ونقطة ثانية وأساسية انهم يحاربون الانجليز .

وحكاية الجنوب ، هى حكاية الخليج ، هى حكاية مصر ، باختصار هى حكاية العرب والانجليز فى كل زمان ومكان ، فانجلترا أرادت احتلال الجنوب لتأمين تجارتها مع الهند ، وتأمين مستعمراتها فى شرق افريقيا ، وفى سنة ١٨٣٩ دخلت القوات البريطانية فى معركة لم تدم أكثر من ثلاثة أيام مع ابناء سلطنة لحج ، واستولت عليها وواصلت الزحف واحتلت ميناء عدن .

منذ أكثر من مائة عام ، والقوات البريطانية موجودة فى الجنوب ، تلعب لعبتها القذرة فى كل أنحاء الجزيرة العربية ، وعقدت اتفاقيات مضحكة ، أكثر منها اتفاقيات دولية ، واتجهت الى تقسيم الجنوب الى سلطنات ، وكرست هذا التقسيم وعمقته ، وخلقت الخلافات بين كل سلطنة وأخرى ، وألغت التعليم . ونسفت الطرق .. المهم أصبح من السهل عليها السيطرة على هذه الأقاليم المنفصلة ، وظلت هادئة أحيانا ، منسية أحيانا أخرى ، محرمة على العرب ، نهبا للهنود واليهود .

واستمر الموقف حتى عام ١٩٥٢ ، عندما قامت ثورة يوليو فى مصر ، وألهبت هذه الثورة الشعور الوطنى فى كل أنحاء الأمة العربية بما فى ذلك الجنوب .

وفى مارس ١٩٥٦ قامت منظمة سياسية عربية وطنية هى رابطة الجنوب العربى ، وتضم هذه الرابطة كل الاتجاهات السياسية التى بدأت تظهر بعد الحرب العالمية الثانية ، وتنضج بعد حرب فلسطين وتثور بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وأعلنت المطالب السياسية لشعب الجنوب وهى :

١ ـ الاعلان بوجود دولة اتحادية مستقلة ذات سيادة من عدن ومحمياتها .

٢ ـ التأكيد بأن عدن هى جزء لا يتجزأ من الجنوب العربى لا يمكن فصلها عنه أو عزلها عنه .

٣ ـ الاعلان بأن جميع معاهدات الحماية ومعاهدات الاستشارة غير مشروعة ولا قانونية ، وعليه فانها جميعا باطلة بطلانا مطلقا ويجب الغاؤها وانهاؤها .

٤ ـ ان السيادة على البلاد حق من حقوق الشعب ويجب انتقالها اليـه باعتباره مصدر السلطات .

٥ ـ يجب اقامة مجلس تأسيسى منتخب من قبل الشعب انتخابا مباشرا يتولى وضع دستور للبلاد وتصفية الوضع السائد فيها .

٦ ـ سيكون هذا المجلس للرؤساء وتكون الرئاسة فيه دورية بينهم .

٧ ـ ان البترول وجميع الموارد الطبيعية الأخرى فى المنطقة ملك للشعب ولا يجوز التصرف فيها أو التنازل عنها قبل انتقال السيادة اليه ، وأى اتفاق أو امتياز يخالف ذلك لا يعتبر مشروعا أو قانونيا ويكون عرضـــة للالغـــاء .

وبدأت بريطانيا تقاوم هذه المطالب ، أو هذه اللهجة الجـديدة ، وتم الاصطدام بين الرابطــة والانجليز ، وتم نفى رئيس الرابطــة وهو شـــاب خريج الازهر الشريف واسمه محمد على الجفرى ، ثم اعتقلوا شـــقيقه عبد الله ونفوه فى جزيرة سقطرة لمدة ستة اشـــهر واخيرا أخرجـوه من البلاد ، واختاروا جميعا القاهرة مقرا لهم وفتحت القاهرة لهم ذراعيها ، وأقامت لهم مكتبا سياسيا فى منطقة باب اللوق ، ومنحتهم بعثات دراسية فى مختلف المدارس والكليات لأبناء الجنوب ، واستمر الوضع هكذا حتى قامت ثورة اليمن . وطلبت الأجهزة المصرية تقريرا من محمد الجفرى عن ثورة اليمن . كانت هذه هى وجهة نظره ودخلت اليمن وحدث ما حدث ، الا أن هناك حقيقة من الصعب على الانسان أن ينساها وسط الأحداث ، ان أبناء الجنوب من اليوم الأول لوصول القـوات المصرية لليمن ، تقدموا بأسلحتهم وبأموالهم وبأنفسهم للدفاع عن ثورة اليمن ، واشترك الكثير من ابناء الجنوب فى حماية ثورة الشمال ، واشتركوا فى معـــارك عسكرية ، واستشهد منهم عشرات ، وكانوا يقاتلون ثم يعودون الى جبالهم فى الجنوب .

كان معظم هؤلاء الرجال من جبال ردفان المتاخمـة لليمن الشمالى ، ولم يروق للحاكم البريطانى هذا التصرف من هؤلاء الرجال ، فأصدر بيانا يطالب بتسليم السلاح لمعسكرات القوات البريطانية ، ورفض الرجال أمر الحاكم العسكرى البريطانى الا أن ارسل القوات الجوية لتدك معاقلهم ..

وقابل الرجال هذه الغارات بتحدى عظيم .. وكانت هذه الشرارة فى ثورة الجنوب العربى ، وبداية نشاط العملية صلاح الدين .

تشكلت فى القيـادة المصرية فى صنعاء فرع لقيـادة ثورة الجنوب أو العملية صلاح الدين ، واتخذت من مدينة تعز مقرا لها ، وكانت مهمة هذه القيـادة هى :

١ ـ تدريب أبناء الجنوب على استعمال الأسلحة الحديثة .

٢ ـ وضع الخطط العسكرية لعملياتهم فى الجنوب .

٣ ـ تقديم العون المالى اللازم لاستمرار الثورة .

٤ ـ تقديم المعلومات للثوار عن تحركات القوات البريطانية .

وامتد عمل العملية صلاح الدين ، حيث أصبحت قيادة مستقلة تتبع رئاسة الجمهورية فى القاهرة ، ويشرف عليها رجال من المخابرات العـامة والمخابرات الحربية .

وامتد نشاط الثورة من جبال ردفان الى بعثـة مناطق الجنوب الى داخل عدن نفسها ، واستطاعت ثورة الجنوب أن تقلق الوجود البريطانى فى الجنوب العربى ، وما زالت تضربه بعنف على الجبال وفى عدن نفسها .

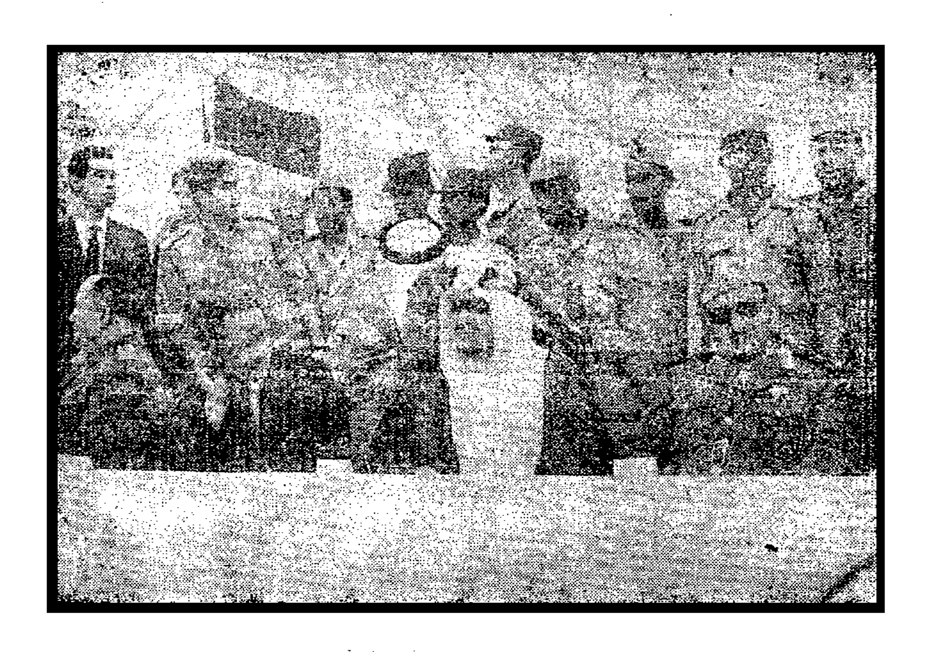
قام بهذه الثورة الثوار .. وبدأ السياسيون يتلمسون قيادتها ، وفى تعز جاء اليها رجال الأحزاب ليكونوا « الجبهـة الوطنية لتحرير الجنوب المحتل » وتتكون هذه الجبهة من حزب الرابطة ، ومن الجبهة القوميـة التابعة لحركة القوميين العرب ، ومن جبهة التحرير التى يرأسها عبـد القـوى مكاوى رئيس المجلس التشريعى العـدنى الذى أعلن ثورته على الوجود البريطانى وقدم استقالته ولجأ الى القاهرة ثم الى اليمن وقدمت العملية صلاح الدين مساعدات مالية وعسكرية طائلة للجبهات هذه ، ولكن أكثر الجبهات تمردا على القيادة لعملية صلاح الدين هى قيادة الجبهـة القومية والتى يقودها قحطان الشعبى .

وانسلخت الرابطة من هذا التجمـع ، وآثرت الكفـاح السياسى ، واتخذت من المملكة العربية السعودية مقرا لها ، مما أدى بالقيادة العربية الى الغاء وجودها فى القاهرة .

ولقد علمت من قيادة العملية صلاح الدين أن السبب الأساسى فى تمرد قحطان الشعبى وجماعته انه استطاع أن يجرى اتصالا بالانجليز وعرضـوا عليه أن يسلموه حكم الجنوب ، ولقد سألت الضابط الذى أخبرنى بذلك فقـال :



اجتمع بنا السيد انور السادات أكثر من مرة محاولا تخفيف الاعباء النفسية التى حدثت لنا فى اليمن ..



— حزب الرابطة لا يثق فيه الانجليز ، لأنه لو استلم الحكم ، فسوف يترك للسعودية نفوذا كبيرا فى الجنوب وقد يؤدى باستقرار المنطقة والانجليز يرفضون استقرارها ، وجبهة التحرير ستمكن النفوذ الناصرى من الجنوب وهذا هو الخطر الحقيقى على المصالح البريطانية فى الجنوب وعمان والخليج ، تبقى الجبهة القومية وهى التى يعدها الانجليز لتسليم مهام الحكم بعد الرحيل ، فسيؤدى حكمها الى خلافات مع اليمن سواء كانت مصر موجودة أو غير موجودة ، وخلافات مع المملكة العربية السعودية ، مما يجعل المنطقة دائما غير مستقرة ومستنفدة ومستنزفة .

سألت الضابط :

— ولكن مصر موجودة فى اليمن ، ولها تأثير عظيم فى الجنوب ، اشك أن بريطانيا تتمكن من القيام بهذه اللعبة .

— مصر لا بد وأن تخرج من اليمن قبل عام ١٩٦٨ ، أى أن مصر سوف تخرج من اليمن قبل خروج الانجليز من الجنوب ، حتى يمكن للانجليز رسم الخريطة السياسية قبل الرحيل .

وسألت الضابط :

— وكيف الخروج ؟ ..

وسكت زميلى فى اليمن .. وقال :

— آه .. هذه هى المشكلة .. كل ما أتمناه أن نخرج سالمين من هذه الحرب اللعينة ..

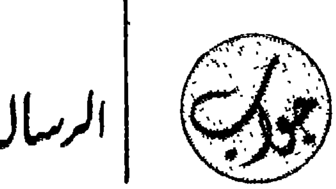
هذه — زوجتى — باختصار شديد حكاية ثورة الجنوب ، ولا أدرى مدى صحة أخبار زميلى .. ومن سيحكم الجنوب .. وهل حقا سنخرج من اليمن .

الا اننى اشك فى معلومات زميلى ، فان المشير عامر قال اننا نستطيع أن نبقى فى اليمن عشرين عاما ..

لا أدرى من أكثر معرفة ، هذا الضابط الصغير ، أو القائد العام للقوات المسلحة . ولكن كل ما يهمنى أن نخرج من اليمن .

والى اللقاء .

زوجك



الرسالة العاشرة

القاهرة : في مايو ١٩٦٧ م

زوجي العزيز ..

هل تذكر قصة اناتول فرانس « تاييس » قصة راهب أسيوط الذى ذهب لغانية الاسكندرية تاييس يطالبها بدخول الدير ، وبعد أن تمكن من اقناعها بالتدين اصيب هو بالانحلال ..

لا ادرى لماذا تذكرت هذه القصة وانا اتابع بشغف شديد ، واعجاب اشد ، وحماس منقطع النظير لما يحدث هنا في القاهرة .

اشعر ــ يا زوجي العزيز ــ أن آمالنا سوف تتحقق ، ونلقى خلال ايام باسرائيل في البحر ، وينتهى ربع قرن من الآلام .

اسرائيل حشدت قواتها على حدودها مع سوريا ، وهددت باحتلال دمشق ، ولم يكن لدينا اى قوات في سيناء ، كما لم يكن لدينا قوات في سوريا ، كل ما اعلمه أن لدينا قوات في العراق .

واتخذ الرئيس جمال عبد الناصر عدة قرارات مصيرية هى أعظم ما اتخذ من قرارات ، قرر الهجوم على اسرائيل .

وكم كان بودى ولو مرة واحدة أن نبدأ بالهجوم ، مرة واحدة نضرب مدن اسرائيل ، مرة واحدة ننقل المعركة داخل الأرض المحتلة ، مرة واحدة نباغتهم ، مرة واحدة نعتدى عليهم . كم بودى أسمع كلمة المعتدين المصريين ، **لا يهم صحة التعبير في قاموس العلوم السياسية ولكن المهم ان نضربهم ، نعتدى عليهم ، ونثأر منهم ونذيقهم الذل والهوان كما اذاقونا .**

كم انا سعيدة وانا أسمع في الصباح الباكر على مقربة من بيتى ومن السفارة البريطانية في القاهرة أصوات الدبابات وهى تسير على الكورنيش في طريقها الى سيناء لتضرب لأول مرة في الأرض المحتلة ، كم انا سعيدة

وانا اشـــاهد على شاشـــة التليفزيون قواتنا وهى تعبر قنـــاة السويس فى طريقها الى سيناء للهجوم على اسرائيل .

كما انا سعيدة ، بل فى غاية السعادة ، وانا اشهد الرئيس جمـــال عبد الناصر وهو يهدد بقوة هذه الحشرات التى تحتل فلسطين .

انت تعلم اننى منذ الوهلة الأولى وأنا ضد الحرب فى اليمن ، ولكنى مع زعيم الأمة العربية فى معركة المصير القومية ، فى معركته مع العـــدو الاسرائيلى .

ونحن الآن فى عام ١٩٦٧ ، اى انه مضى على ثورة يوليو خمسة عشر عاما ، كنت أرى أى انجاز لها بسيطا ، وأن الانجاز العظيم هو القضاء على اسرائيل ، لأنها دائما تهدد أمننا ، وسلامنا ، واقتصـــادنا ، وكنت أشعر بحسرة شديدة لعدم تكريس جهودنا فى هذا الاتجاه ، بل وعدم التحالف مع الشيطان لبتر هذا السرطان المسمى اسرائيل .

لن أطيل عليك فى سرد الاحداث هنا ، فأنك بالتأكيد تسمعها من صوت العرب ، والقاهرة ولندن وكل مكان فى الدنيا ، أن صحف العالم تتحـــدث عن الحشد العسكرى المصرى الهائل فى سيناء .

ان صوت العرب يذيع كل يوم تحرك قوات عربية باتجاه مصر وسوريا والاردن ان القوات العراقية كما يقول راديو صوت العـــرب اقتربت من المنطقـــة « اتش ثرى » أو « هـ ٣ » ، والقوات السعودية بدأت تتحـــرك وقوات الجزائر فى طريقها الى مصر .

ومصر الآن كأنها فى فـــرح ، ونسيت جراح اليمن ، نسيت الأزمـــة الاقتصادية ، نسيت السجون والمعتقلات ، نسيت كل شىء بانتظار بداية الهجوم .

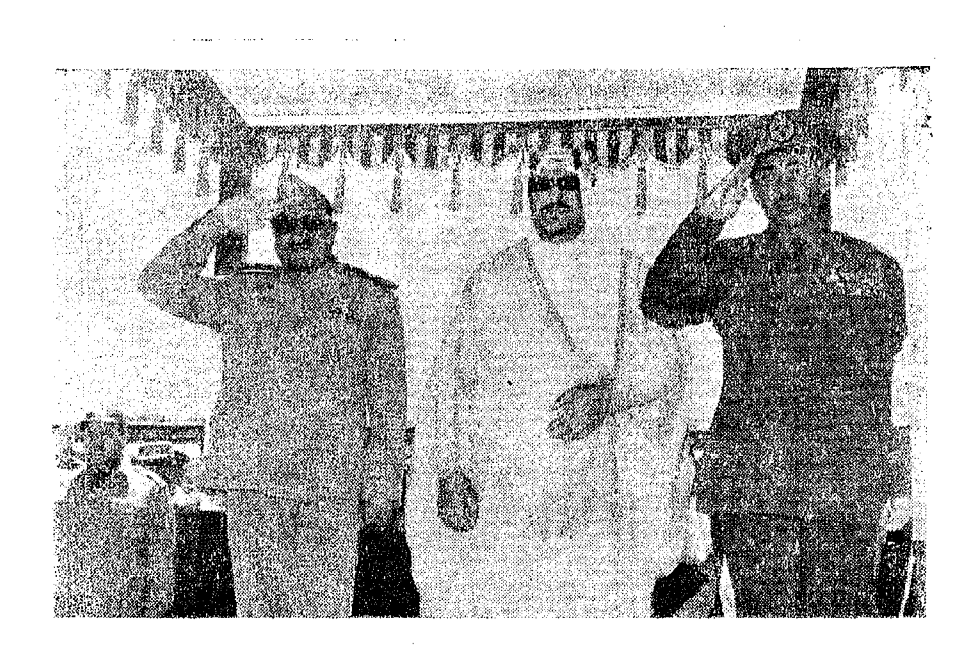
انى أعتذر لك عن كل كلمة قلتها فى حق الرئيس جمال عبد الناصر ، لأنى وسط الأحداث المتلاحقة فى القاهرة أشعر بأن على يديه سيكون تحرير فلسطين خلال هذا الشهر أو خلال هذه الأسابيع ، بعدها نجنى ثمار العذاب والأزمات والكبت والاعتقـــال ، على يديه سنـــدخل يافا وحيفـــا وتل أبيب .

كم كان بودى ان تكون مع هؤلاء الرجال الذين ذهبوا الى سيناء لمقاتلة هذا العدو الحقيقى الغادر ، كم كان بودى أن تكون هناك ، ليظل ابنك فخورا بأنك اشتركت فى معركة تحرير فلسطين .

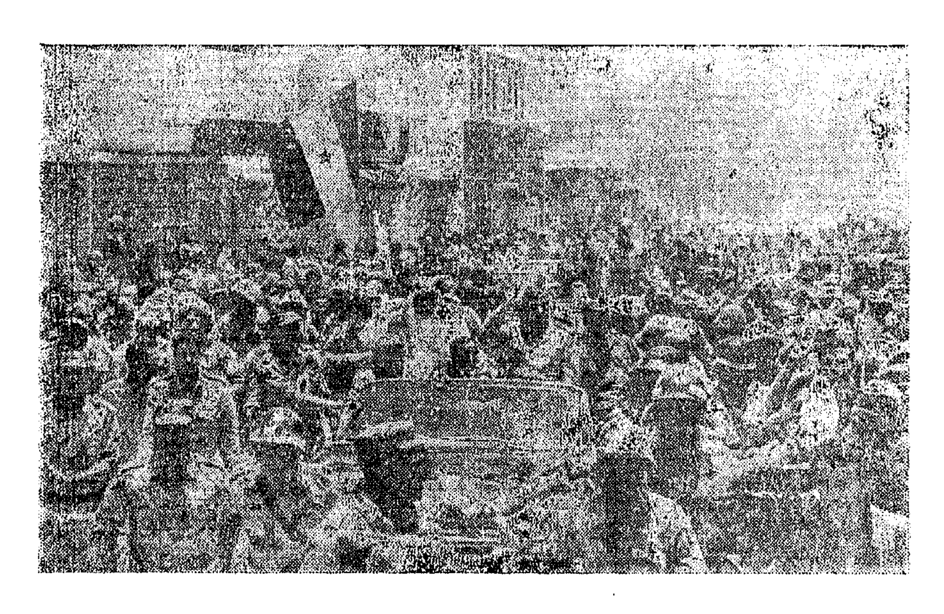
سأتركك الآن لأتابع من شاشة التليفزيون قواتنا وهى فى الطريق الى سيناء ، بل وهى فى قلب سيناء وغدا سأتابع هذه القوات وهى فى قلب تل ابيب ، وأرى الاسرائيليين يركضون خوفا امام هذا الحشـــد الهائل من السلاح والعتاد والبشر ..

والى اللقاء فى تل ابيب .. او يافا .. أوحيفا .. الى اللقاء فى فلسطين العربية الحرة .

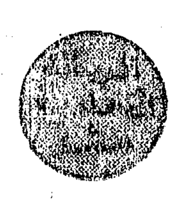
زوجتك



الملك السابق سعود والمشير عامر والرئيس السلال في صنعاء



سعود والسلال في شوارع صنعاء



صنعاء فى ٣٠ مايو ١٩٦٧

زوجتى ..

عاتب عليك من اقسى رسالة تصلنى وانا اشهد مأساة قريبة منك .

ان مصر تغرق ــ جماهيرها تهلل لغرقها ، لأنى بعيد عن الصورة ارى بلادى تغوص ولا احد يملك أن يمد يده اليها ، هل كمين ندخله بارجلنا ونحن نعرف أنه كمين ، ان كل أركان الكمين واضحة .. فاسرائيل ستضرب خلال ايام فى فرصة ذهبية لن تتكرر لها ، ان الصورة من صنعاء البعيدة أوضح بكثير من الصورة الموجودة فى القاهرة ، ان الزعيم قد حسب حسابات خاطئة ، وخاطئة جدا ، اننى أتصور انه يقوم بخديعة كبرى مستخدما بقايا القوات المسلحة الموجودة فى مصر ، وانه يتصور أن اسرائيل ستشرب الخديعة وينتصر الزعيم .

ان حسابات الزعيم كالآتى :

يخرج القوات من اليمن بشكل مشرف لأنها فى الطريق الى قتال اليهود .

تخشى اسرائيل القوات العددية الضخمة التى تحشد فى سيناء سواء كانت من المعدات او الأفراد ، والدليل على ذلك ما معنى حشد قوات لم تتدرب على الحرب .

حملة نفسية على اسرائيل بأن الضربة المصرية ستكون قاضية ، وانه لن يترك حجرا على حجر ..

لقد سمعت اذاعة صوت العرب وهى تصف دخول القوات الى سيناء ، لسنا ــ زوجتى ــ فى عرض عسكرى تدخل فيه القوات الهاجمة بالطبول وعدسات التصوير .

لقد سمعت خبرا أكد لى ما بنيته ، انه يشن حربا نفسية فقط ، لقد استدعى من لبنان السيد صائب سلام ، لكى يخبره بخططه العسكرية ، وصائب

سلام ليس رئيس وزراء لبنان حتى يشاركه فى الخطط واذاع صوت العرب المقابلة خمس مرات ، والهدف منها أن صائب بك كثير الكلام ، وان هذا الكلام سيقوله صائب سلام فى بيروت وسيصل بشكل أو بآخر الى المخابرات الأمريكية ومنها الى المخابرات الاسرائيلية ، وكلها حرب نفسية

لقد بدأت رسالتى بقولى أن اسرائيل ستشن هجوما ، لماذا ؟

أولا : القوة المقاتلة الحقيقية من البشر موجودة الآن فى اليمن ، وهذه القوات حتى لو أمكن نقلها فى حاجة الى « استراحة » لتواصل القتال فى ظروف مختلفة .

ثانيا : مصر فى حالة اقتصادية لا تسمح لها بحرب عدة أيام .

ثالثا : ان اسرائيل تعتبر الاجراءات الآتية هى اعلان حرب :

١ ــ اغلاق خليج لعقبة .

٢ ــ اتفاقية الدفاع المشترك بين الأردن ومصر .

٣ ــ دخول قوات عربية الضفة الغربية .

٤ ــ زيادة النشاط الفدائى فى الأرض المحتلة .

٥ ــ سحب قوات الطوارىء الدولية .

٦ ــ ادخال قوات عسكرية فى سيناء .

٧ ــ ادخال قوات ثقيلة فى قطاع غزة .

لقد علموا جنودهم ان حالة واحدة من كل هذه الحالات تصبح تنفيذها اعلان حرب وتصبح اسرائيل فى وضع الدفاع عن البقاء ، هكذا علموا جنودهم ، ولكى يدافعوا عن بقائهم لا بد وان يشنوا حربا ، ولا يوجد احسن من هذه الفرصة .

زوجتى ..

القوات المقاتلة هنا ، القوات التى لا تستطيع أن تواجه اليهود هنا على هذه الجبال اللعينة ، وفى هذه المدن التعيسة ، اننى اتمزق كل لحظة ، ان مكانى ليس هنا ان مكانى فى سيناء ، حيث أعرف كل حبة رمل فيها كل خندق ، وكل ممر والحشد الهائل لا يعرف كما أعرف ، ولم يتدرب كما تدربت ، هل أمتلك الشارع السياسة ومصير الأمم . آه زوجتى .. هل تذكرين اول رسالة ، عندما قلت لك أن الطريق الى فلسطين لا بد وأن يمر فى صنعاء ، كنت متحمسا فقط ، وأخشى أن تكون الهزيمة لابد

وأن تمر في صنعاء . ان رجال أكفاء من القوات المسلحة المصرية قالوا لحرب اليمن لا ، هؤلاء الرجال هم الذين يستطيعون قيادة الحرب ضد العدو الاسرائيلي ، هم الذين يستطيعون التعامل معه ، أين هم الآن ؟ هم في المؤسسات المدنية أو في البيوت ، وربما في السجون .

سأخبرك بعدة أسرار .. هذه الأسرار هي مقدمة لنتائج الحرب التي سوف تشنها اسرائيل ..

١ ـ لأن المقاتل المصري يقاتل في اليمن ، ولأنه بعد شهور طويلة بدأ يسأل نفسه لماذا أقاتل في اليمن ؟ ولم يجد القضية التي تقنعه ، ولم يجد المبادىء التي يدافع عنها ، وخافت القيادة فبدأ الاغراء المادي ، سواء في البدلات الكثيرة ، أو في الاعفاءات الجمركية ، أو في التسهيلات الحكومية كقضية الشقق والسيارات ، كل هذا جعلت من المقاتل المصري في اليمن « تاجر » ومن يرفض هذا ، فانه يخرج من الجيش فأصبح القتال صناعة ، وانتشر هذا المرض الخطير في صفوف الكثير من الأفراد . ولكن عليه بين لحظة وأخرى أن يحارب في سبيل المبادىء والوطن ، وهذه تحتاج الى وقفة أطول وهذه واحدة من أمراض وجودنا في اليمن .

٢ ـ المقاتل المصري . من طول البقاء في اليمن ، أصبح بطيء الحركة ، فهو اما على قمة جبل ، أو في تنفيذ سياسة النفس الطويل ، بعد **الأيام والأموال ، ولذلك فلقد فقد رشاقته القتالية من طول البقاء .. وهذا هو المرض الثاني من أمراض اليمن .**

٣ ـ المقاتل المصري من طول البقاء في اليمن لم يرى سيناء ، أو نسي سيناء وأصبح معظم فترة قتاله على هذه الجبال اللعينة ، وسوف يحارب على مسرح عمليات مختلف تماما يجهل طبيعته وهذا هو المرض الثالث لوجود قواتنا في اليمن ..

٤ ـ المقاتل المصري ، في قتاله في جبال اليمن ، تعود على مواجهة عدو يحاربه بشكل غير علمي ، شكل أشبه منه بحرب العصابات عن الحرب النظامية ، فقد أسس الحرب الحديثة ، وهذه كارثة رابعة بسبب وجودنا في اليمن .

٥ ـ المقاتل المصري من طول وجوده في اليمن لم يعد يخشى السماء ، فالسماء في اليمن لا يطير فيها الا الطيران المصري ، ولا توجد طائرات عدوه .. فهو قد تعود على القتال في حماية طائراته ، ومسرح العمليات في سيناء يختلف تماما ، وهذه كارثة خامسة لوجودنا في اليمن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ ـ الطيار المصري تعود على السماء المفتوحة ، والسماء في سيناء لن تكون مسرحا للطائرات المصرية وحدها .. ستكون هناك الطائرات الاسرائيلية ، وهذه كارثة سادسة بسبب الوجود العسكري المصري في اليمن .

٧ ـ وهناك ما هو اخطر وأمر ورغم أنه سر من الأسرار ولكنني أقوله لك وحدك ..

منذ عامين ، كنا نتحدث عن وجودنا في اليمن ، وقال أحدنا اننا قد نسينا لماذا نحن أفراد في القوات المسلحة ، أن هذه القوات قد أعدت لعدو واحد هو اسرائيل ، ولكن اسرائيل ـ والحديث للزملاء ـ أصبحت بشكل أو بآخر ابعد الأعداء ، لو فتحنا جريدة ، او سمعنا اذاعة، لشعرنا ان تكثيف حملة الكراهية الاعلامية ، لوجدناها لا تذكر اسرائيل ، وكأن اسرائيل اختفت ، أو نسيناها ، وسألته عن التدريبات في مصر ، والاستعداد لأي حرب قادمة مع اسرائيل ، فاخبرني بما أحزنني ، أخبرني انه تقدم بمشروع للقيادة العامة يقتضي بالتدريب على معركة دبابات في ظل الأسلحة المساعدة ، معركة دبابات صحراوية ، « والمشروع » هو حرب صغيرة ، تقسم القوات الى قسمين ، ويضع كل قسم خطة ، ويبدا تنفيذها، ويستغرق المشروع ربما أسبوعا ، أو شهرا ، حسب تقدير القائد . وقبل بداية المشروع يقدم كشفا بالمطلوب .

* بنزين ودبابات كذا .
* هياكل خشبية كذا ..
* ذخيرة نوع كذا وكميتها .
* لاسلكي ، واسلاك هاتفية ..
* شئون ادارية .. الى آخر ما تتطلبه المعركة .. ثم يصدق على المشروع ويقوم بصرف المطلوب ويبدأ التدريب ..

وتقدم صديقي بالمشروع للتدريب لمدة شهر ، فقالت القيادة ، اختصر المشروع لمدة أقل ولتكن أسبوعين حيث اننا نقوم « بتشوين » الذخيرة والبنزين في اليمن ، ولا يوجد ما يكفي لهذا المشروع ، واختصره صديقي واصبح المشروع لمدة اسبوعين ، وجاء قرار القيادة بالاختصار لمدة أسبوع واحد لنفس الاسباب السابقة ، ثم اختصره لمدة أسبوع ، واعتذرت القيادة بسبب القتال الموجود في اليمن .

كارثة الكوارث ، القوات لا تتدرب على قتال العدو الاسرائيلى ، بسبب وجودنا فى اليمن .

ومعنى ذلك أن لدينا آلاف الجنود لم يطلقوا طلقة واحدة من دبابة ، بينما هم طاقم الدبابة ، والسبب اننا فى اليمن .

ومعنى ذلك أن لدينا آلاف من الجنود لم يطلقوا طلقة واحدة من المدافع، وهم من طاقم هذه المدافع ..

آه .. لقد كان جيشنا مشهور بالتدريب على القتال ، أصبح الآن غير مدرب لخوض القتال مع العدو يا للكارثة ..

زوجتى ..

منذ يومين ذهبت الى ميناء الحديدة ، لأودع قوات مصرية فى طريقها الى جبل الطور ، ومنها الى مواقع تدخلها لأول مرة فى سيناء ، كان الرجال سعداء بالرحيل ، من اليمن رغم الاغراءات التى تحدثت معك عنها سعداء بانهم سيقاتلون العدو الحقيقى ، وكان قلبى معهم ، فانى أتصور حجمهم كالجيش الرومانى ينتقل من مكان لآخر ، لأن الجنود لا بد أن يقاتلوا لأى شىء ، بحيث لا يهدأ أحد فيهم ، ولكنهم هذه المرة ذاهبون لقتال ضد العدو الحقيقى ، وفى سبيل قضية مقدسة . كانوا يقولون لى ، هناك معنى للانتصار ، هناك على رمال سيناء سنحقق النصر .

أملى أن يحققوا النصر ، أملى أن تكون حساباتى أنا الخاطئة ، أملى أن يشربوا من دماء اليهود انتقاما لسنوات مريرة معهم ، انتقاما من حرب ١٩٤ ، انتقاما لشهداء دير ياسين ، انتقاما لمذبحة ١٩٥٥ ، انتقاما لشهداء غزة .

أملى فى هؤلاء الرجال كبير .. ربما انتصروا .. رغم ما سبق أن ذكرته ..

زوجتى ..

لا أدرى كيف يحدث هذا كيف يزج بهؤلاء الرجال فى معركة لم نستعد لها ولم يستعد لها الرجال ، وكيف يتصور الزعيم ان اسرائيل لن تضرب بعد كل هذه الاجراءات واذ كان الحشد المصرى بسبب الحشود الاسرائيلية على سوريا ، كان عليه أولا أن يسحب القوات الحقيقية ، وهى القوات

الموجودة فى اليمن لأن هذه القوات رغم كل ما سبق تستطيع القتال ، لأنها على الأقل تعرف أين الزناد فى كل سلاح .

زوجتى ..

أرجو الدعاء .. أن ينتصر هؤلاء الرجال .. فان هناك معركة لا محالة .. وكم بودى أن يبداوها أن ما سبق فى العرف العسكرى هو هجوم ، ولم يبق الا الضغط على الزناد ، حتى يمكن ارباك صفوف العدو بدلا من أن نتركه يجمع قواه ، وينفذ ما تدرب عليه منذ سنوات ..

قلبى مع جيش مصر فى سيناء .

قلبى مع شعب مصر فى أرض الكنانة ..

زوجك



الرسالة الحادية عشر

القاهرة فى ٣٠ يونيو الحزين

زوجى العزيز ..

غرقت السفينة ، وحصدنا الحنظل ، وانتظرنا السراب ، وقدمنا الضحايا للدراويش والمشعوذين وعدنا الى الوراء عشرات السنين ، والهزيمة تلاحقنا فى كل مكان ، فى أعين الشامتين ، وأصبحنا أضحوكة وهدم البناء .. هل تعلم لماذا هدم ، ومرة واحدة ، لأنه بناء من ورق ، بلا أساس ولا حماية ، الشعب فى الشوارع يبكى ، كل شيء يبكى شهداء اليمن ، يبكى خمسة عشر عاما من عمره لم يذق طعم السعادة وكان فى انتظار مذاقها ، يبكى شهداء سيناء ، يبكى الفقر والجوع والعطش .. يبكى وله الحق فى البكاء فان هناك ألف سبب وسبب يدمى العيون .

زوجى ..

رسالتك الأخيرة جاءت متأخرة هامسة ، صادقة ، مؤمنة ، ولكنها فى النهاية خائفة فلا نفع منها ولا ضرر .. لو تركوا لك الكلام قبل الكارثة .. ولغيرك .. ولى .. وللملايين من هذا الشعب المطحون بين كفتى الرحى ، لو تركونا نقول ، لو تركونا نعترض بلا سجن ، لو تركونا نقول بلا خوف ، لما حدثت الكارثة ..

لو تركونا نقول لليمن : لا

لو تركونا نقول للفساد : لا

لو تركونا نقول للارهاب : لا

لو تركوا القانون ، لو تركوا الحرية ، لو تركوا لقمة العيش ، لما حدثت الكارثة ..

لو تركوا العمالقة ، لو تركوا المفكرين ، لما حدثت الكارثة ..

لو تركوا الهامات تعلو ، لو تركوا الآراء تنمو لما حدثت الكارثة ..

لو تركوا الجيش يحارب ، لو تركوه بلا انسحاب ، لما حدثت الكارثة ..

آه زوجي العزيز .. المقاتل الشهيد .. آه يا من فى اليمن فى مقدمة الكارثة .. وأنا هنا ، أعيش مأساتى حتى العظم ، أشعر بالعار لعار لم ترتكبه ، أشعر بالغثيان عندما أعود لما رأيت .. هل تعلم ما رأيت ؟ .. لن تصدق ما رأيت .. لنا جار مقاتل فى اليمن ، رسائله تأتى من صنعاء ، ويوم الاثنين الأسود من الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، كانت المأساة ، وكنا لا ندرى بالمأساة ، كنا مع المذياع نتوغل فى الأراضى المحتلة ، ونسقط طائرات الميراج وصحونا فى صباح اليوم السادس من يونيو على أمر لا يصدقه عقل ، جارنا عائد من سيناء ويقول أنه وصل اليها من صنعاء قبل الحرب بيوم واحد ، وأن القتال بدأ من الجانب الاسرائيلى ، وأوامر الانسحاب جاءت من الجانب المصرى للجيش المصرى ، وأنهم ينسحبون من سيناء فى الطريق الى القاهرة . كاذب أيها الجار العزيز ، المذياع يصدر بلاغات عسكرية غير التى تقول عنها ، نحن نتوغل فى الأرض المحتلة ، العدو يركض كالفئران امامنا ، طائراته تسقط كالورق أمام طائراتنا ، كاذب أيها الجار الهارب من القتال ، جبان أيها الجار فلقد عدت هربا وجئت تدب اليأس فى نفوسنا .. لا .. كاذب أنت ..

وسكت الجار .. زوجي العزيز — وقال لى بأسى ما بعده أسى .. بصوت أشنع من البكاء وأقسى من الأنين .

قواتنا تتجمع غرب القناة .

وخرجت الى الشارع .. كنت كالمجنونة وسط العقلاء ، أو عاقلة وسط مجانين ، الناس سعداء بانتصارات المذياع ، وانا أبحث عن سيارة توصلنى الى أى مكان من القناة .. لتصورى أنك بين الذين نقلوا من صنعاء الى سيناء وانسحبوا غرب القناة .. وركبت تاكسى وقلت له الى القناة .. وسألنى أى مدينة .. قلت أقربهم .. وكانت الاسماعيلية ، لم يعترضنى أحد فى الطريق .. وفى الاسماعيلية كانت المأساة حية .. الجيش المنسحب من سيناء .. آلاف من الجنود والضباط على ضفة القناة .. طائرات اسرائيل تمرح فى سماء الاسماعيلية .. عشرات الجرحى تحت أشجار المانجو والصفصاف .. وبدأت اسأل كل من أقابله ..

● هل كنت فى اليمن ..

— نعم ..

● هل تعرف زوجى ..

— نعم ..

● هل هو فى سيناء ..

— ربما ..

● هل هو فى صنعاء ..

— ربما ..

● هل استشهد ..

— ربما ..

● هل انتصر ..

— لا ياسيدتى ..

وسألت آخر ..

● هل انت من قوات اليمن ؟

— لعن الله أيام اليمن ..

● متى تركت اليمن ؟

— منذ عامين ..

● هل تعرف زوجى ؟

— نعم ..

● هل كان معكم فى سيناء ..

— لا .. زوجك على ما أعتقد من المؤمنين بحرب اليمن ، ولذلك اما رجلا سهما ، أو انه على الجبال فى اليمن .

وسألت ثالث .. من الذين قاتلوا فى اليمن وقال :

— وكنت مع زوجك فى اليمن .. منذ أسبوع أو أقل وكان الرجل يتحدث معى كالمجنون لسببين ، أننا ندخل حربا بلا استعداد ، وأنه فى اليمن لا يشاركنا مواجهة العدو ، زوجك سيدتى محظوظ ، فلو أنه جاء لفقد حياته ، أو فقد بقية عقله ، لقد نزلنا فى ميناء الطور ، جنودى

لا يعرفون شيئا عن سيناء ، وقيادة الجبهة لا تعرف أين موقعنا ولا المهام القتالية التى سنقوم بها ، ان التدريب يكون أكثر تنظيما مما نحن فيه ، وبعد اتصالات وصلنا الى احد المواقع المتقدمة فى سيناء ، وكان ذلك مساء يوم الرابع من يونيو ، وقضينا الليل بلا عمل ، لأننا كنا فى حالة التعب والاجهاد وفى الصباح صدر لنا أمر الانسحاب ، ولم نكن ندرى لماذا الانسحاب ؟ فلا قتال حدث ، وبعدى عن الأخبار جعلنى أقبل الأمر بلا تفكير ، وكانت لدى قناعة دائمة أن القيادة فى مصر تفكر أحسن منى بكثير ، وبدأ الانسحاب المنظم للتجمع غرب القناة ، وفى الطريق بدأت الطائرات الاسرائيلية تنقض على القوات ، وكانت هذه القوات قد نسيت تماما الاصغاء للطائرات أو مواجهتها ، وأصبنا بالذعر ، ومات من مات ، وهرب من هرب ، ودبت الفوضى فى القوات ، وتفرقنا ، وتركنا قتلانا .. وصل من وصل الى غرب القناة .

● والعدو .. أين كان ؟

— العدو .. ربما فى القاهرة ؟ .

— اليهود أقصد ؟ .

— لم نراهم .. لم نواجههم .. كان قرار الانسحاب لصالحهم .. كنا نترقب لحظة اللقاء باليهود .. ولكن قبلها بثوان جاء أمر الانسحاب ..

زوجى العزيز ..

لقد قررت البقاء فى الاسماعيلية متطوعة لانقاذ آلاف الجرحى من الشباب ، وعشت فى هذه المدينة أسبوعا ، وغرقت مع الجنود ، كانوا يقولون ان هذه الهزيمة البشعة قد بدأت فى اليمن . واهتز النظام ، وكان يخشى من العائدين من جبهات القتال لكل جبهة قصة سواء كانت فى اليمن، او فى سيناء ، وانتشر رجال المخابرات بين صفوف القوات المسلحة ، وتم تصفية كل مشكوك فى ولائه مهما كان مقاتلا عظيما أو غير عظيم ، ان الأوامر صدرت بمنع عودة هؤلاء الرجال الى داخل مصر ، حتى الجرحى لا يجدون الطريق الى مستشفيات القاهرة ، هنا الجرحى فى رعاية بيوت سكان الاسماعيلية .

زوجى ..

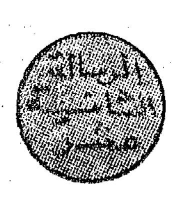
الهزيمة كبيرة .. أكبر من أن يتحملها هـذا الشعب .. والقوات المسلحـة والتى تلصق بهـا نتيجة الهزيمـة هى بريئة من الهزيمـة .. لقد بدأت الهزيمة فى اليمن .. وانتهت بقرار الانسحاب ..

بودى ان أنشر رسالتك الأخيرة لى على الناس ، وأقول لهم أن هزيمتنا بدأت فى صنعاء وانتهت فى سيناء ..

زوجتك الحزينة



بداية العودة : جندى يمنى من الجنوب يودع شقيقه المصرى الراحل الى الابد عن أرض اليمن



صنعاء فی اغسطس عام ۱۹٦۷ م

زوجتي العزيزة ..

الحزن يكسو الوجوه ، وشماتة تطل من العيون ، وهامات تقصر ، ونجتمع في حلقات تستمر حتى الصباح نتحدث على ما أسميتوه في القاهرة « بالنكسة » ولكنى أقول أنها ليست نكسة ، بل وليست هزيمة ، بل هى ثمار لشجرة زرعناها وعلينا ان نحصد هذا الثمار .

كل شيء ممكن أن يقال ، ولكن علينا أن نعيد الفروع الى أصولها ، ونبحث عن أسباب النكسة ، ونقطع هذه الشجرة التى لا تثمر للشعب الا هزائم ..

يمكن أن يقال ان الهزيمة بدات مع نهاية الحرية في بلادى ، ففى غياب الحرية امتدت كل يد قوية الى الشعب لتخنقه فى الظلام ، وتحول شعب مصر الى « مسرح للعرائس » مشدودة بالأحبال ، يتحرك عندما يحركه غيره ، يضحك ، يحزن ، يغرد ، ولكن بالأحبال ..

قد يقال أن الهزيمة بدات مع سطوة المخابرات ، واجهزة القمع ، والحكم بالمزاج الشخصى ، وغياب المؤسسات الدستورية ، فتحول الشعب على مر السنوات الى جالية ، تقف فى الساحة ، ويقف امامها الزعيم ليتحدث ، وهم يصفقون .

قد يقال ان الهزيمة بدات مع البلطجة السياسية فى مصر فلا يمكن لدولة تنتصر و زعيمها يقف أكثر من مرة يفاخر الشعب بأنه استطاع أن يعتقل عدة آلاف فى ليلة واحدة . أو أن يقول الزعيم أن المدين أقوى من الدائن ، وانه لن يدفع ما عليه من ديون لدولة ما .

قد يقال ان النكسة بدأت عندما ألقى بمصر بكل ثقلها الاقتصادى لخارج مصر ، حتى أعطت كل ما لديها ولم يبقى لها شيئا تدفع به الفقر والمرض والجهل ، فواجهت العدو وهى مريضة كسيحة لا تملك ما تدافع به عن نفسها .

ولكن اقول ، عن رؤية بالعين المجردة ، عن معرفة بأسرار رهيبة . عن مشاهداتى فى تحويل المقاتل الى لا مقاتل ، الى أى شىء غير كونه مقاتلا أقول أن النكسة قد بدات يوم أن قرر الرئيس جمال عبد الناصر ارسال قواته الى اليمن ، من هنا بدأت النكسة ، من هنا كان الطريق اليها معبدا جاهزا ، قواتنا فوق الجبال اللعينة فى اليمن ، والعدو فى صحراء النقب يتدرب على ضرب المطارات المصرية ، مخابراتنا تتعقب مرتزقة البدر فى روما ولندن وباريس ، ومخابرات العدو تتعقب الى أى مستوى عسكرى وصلت اليه قواتنا ، مخابراتنا وأجهزة الأمن الداخلية تتعقب المصريين الذين يعارضون وجودنا فى اليمن ، ليزج بهم فى السجون ، ومخابرات العدو وأجهزة أمنه تعمل على حماية اسرار خطط ونوايا الجيش الاسرائيلى نحن أنشأنا — فى سبيل اليمن — أكثر من عدو ، وهم وضعوا فى أذهانهم عدو واحد : فكان لابد أن يصلوا الى ما وصلوا اليه .

سأظل اقول ان هزيمة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ قد بدأت فى اليمن ، وستظل هذه قناعتى حتى الممات ، ان هذه القناعة مقرونة بالحقائق التى لا تقبل الشك ، كانت المعارضة — مثلا — فى مصر اشتدت لوجودنا فى اليمن وما ينتج عنه من أزمات اقتصادية وسياسية ونفسية فى مصر ، وكان يريد أن يخرج من اليمن بطلا ، وكانت هذه معادلة صعبة التحقيق والمنال ، ولكن خروج هذه القوات لمحاربة العدو الاسرائيلى تبدو منطقية أمام رجل الشارع فى الحمرا وساحة المرج والبرج أيضا ، وتخرج القوات وفى نفس الوقت تخشى اسرائيل الهجوم على مصر . ويكون حقق بذلك انتصارين ، خرج من اليمن بطلا ، وقام بحماية سوريا من الحشود الاسرائيلية ولم يحارب .

نحن الآن نستعد للعودة الحزينة . العودة فى الظلام كما سافرنا فى الظلام ، ولا ادرى كيف تكون العودة ، كيف يمكن نقل أكثر من خمسين الف مقاتل الى بلادهم ، وهل يتم النقل بالطائرات ، أم بالبحر ، واذا كان بالبحر فان كافة الموانىء على البحر الأحمر مهددة بنيران العدو الاسرائيلى .

زوجتى ..

أقسم لك أن هؤلاء الرجال لن يتركوا الزعيم بلا حساب ، فحتى اذا انتصرنا بقيادته لن نتركه بلا حساب ، واذا هزمنا مرة أخرى بقيادته فلن نتركه بلا حساب ، سنحاسبه على آلاف الشهداء على جبال اليمن ، سنحاسبه على آلاف الشهداء فى رمال سيناء ، اننى أعلم إنه يبذل كل جهده فى تأجيل ساعة الحساب ، ولكن لن نتركه ، ولن يتركه هذا الشعب الصبور ، الذى أعطى بلا حدود وبلا مردود ، سنحاسبه على سجناء مصر، سنحاسبه على هدم مصر ، لقد كنت اسمع قصص العذاب والتعذيب ولا أصدقها ، وأقول ان الزعيم عظيم ولكن المشكلة ، وبعض الفساد فيما حوله ، ولكن الرجل العظيم هو الذى يحيط نفسه بالعظماء ..

زوجتى ..

أعلم أنك ، أو ربما غيرك يحمل نفس أفكارك قد خرج يوم التاسع من يونيو يقول له .. لا .. لا تنحى واعلم ان الدموع الغزيرة قد انسابت من عينيك يوم التاسع من يونيو ، وأعلم أن الشارع العربى فى كل مكان من الوطن العربى قد خرج يقول له .. لا .. أيها الزعيم ابق مكانك ..

ولهذه عشرات التفسيرات .. بل مئات التفسيرات ، كما أن هناك فرق بين خروج الشارع المصرى والشارع العربى .

وقبل أن أعدد لك الأسباب .. اذكر ان تشرشل واجه مثل هذا الموقف فى بداية الحرب العالمية بعد موقعة دنكرك .. ماذا قال تشرشل .. لم يقف ليتنحى .. ولم يذرف الدموع .. بل قال سوف نهزم فى هذه المعركة .. والمعركة القادمة .. وربما الثالثة .. ولكن المعركة الاخيرة لنا .. الفاصلة لنا ..

ولكن زعيمنا .. وقف يبكى .. وينتحب .. !

لا أنكر أن الشارع العربى له الحق فى بكاء عبد الناصر ، وفى المناداة بوجوده ، فلقد أعطى لهم عصارة القلب المصرى ، وفى سبيلهم ، استشهد الالاف من هذا الشعب ، يكفى مثلا شهداء اليمن .. اكثر من عشرين ألف شهيد باضافة الى مليونى من الجنيهات يوميا تهدر على جبال اليمن . ويكفى بهؤلاء الشهداء سقطت أسوار اليمن الى الأبد ، ويكفى أن بهؤلاء الشهداء يستعد الاستعمار البريطانى للرحيل من الجنوب والخليج العربى، ويكفى أن السعودية ــ نفسها ــ قد ودعت مرحلة التقوقع ، وجاء الملك فيصل يبنى للناس المدارس والمعاهد ويشق الطرق ..

ولكن ــ زوجتي ــ ــ الثمن باهظ ، فان هزيمة الخامس من يونيو كانت اغلى من كل ما سبق ،كانت عارا على مصر وكل العرب .

زوجتي ..

بودى أن اترك رسالة لاجيال مصر ، اقول لهم فيها ، احرصوا أبدا على الحرية ، قولوا لا لكل خطأ ، الزعيم بشر مثلى ومثلك يصيب ويخطىء وان لا اله الا الله ، لا يوجد على الأرض آلهة ، ولن يرتفع بشر الى مصاف الآلهة .

بودى ان اقول للاجيال القادمة لا توجد دكتاتورية عادلة ، فلقد خسرنا من دكتاتوريته كل شيء ، لقد تسلم مصر وهي بالشكل الآتي :

١ ــ الأمية تصل الى ٨٥٪ .

٢ ــ الفساد يدب في دواوين الحكومة .

٣ ــ الجيش نصف مهزوم في فلسطين .

٤ ــ الانجليز في قناة السويس .

٥ ــ مصر تدور في فلك الغرب .

٦ ــ هناك في مصر مجتمع الأثرياء ، أو ما يطلق عليه مجتمع النصف في المائة ممثلا في الاقطاع وراس المال المستغل ، في مصر معارضة شـــديدة شعبية للبنود السابقة ، ويوجد قبل قيام الثورة في ١١ فبراير عام ١٩٥٢ مقالا في جريدة مصر الفتاة تقول « رعاياك يا مولاى » ، بمناسبة عيد جلوس الملك فاروق ، ونشرت صورة الفقراء والشحاذين . والآن .. ما هي صورة مصر بعد خمسة عشر عاما من حكم الزعيم ؟

١ ــ الأمية وصلت الى ٨٦٪ .

٢ ــ الفساد مستشرى في دواوين الحكومة في حماية الديكتاتورية وفي غياب حرية الصحافة .

٣ ــ الجيش هزم هزيمة ساحقة أمام العدو الاسرائيلى .

٤ ــ مصر الآن تحكم ــ رغم أنفها ــ من موسكو .

٥ ــ انخفض دخل الفرد ، وظهرت طبقة جديدة ثرية الى درجـة كبيرة ، ولكن بلا عرق ، بل بالسرقة من أموال الناس ، بالاستفادة من غياب كافة الأجهزة الدستورية .

٦ ــ أزمة اخلاق طاحنة ، وهذا أخطر ما يواجـه مصر ، لا أحـد يكترث

لما حدث ، الأخ يحقد على أخيه ، تبخر الوفاء وانتهت الشهامة .

٧ ـ من شدة الفقر ، وشعبنا لم يكن فقيرا الى هذه الدرجة من قبـل ، بدأ الانحلال يتسرب الى الأسرة ليدمرها ، والتى هى عماد المجتمع .

٨ ـ النـــاس بلا آراء ، لا يوجد فى مصر ، سوى رأى واحـد ، ورؤوس متشابهة ، كل الناس دخلوا القالبليخرجوا منه بفكر واحد ، بشكل واحد ، ومن يشذ عن هذه القاعدة لا يخرج ابدا .

كل هذا ، كانت اليمن أحد أسبابه ، أو السبب الرئيسى فى كافة هذه النتائج ، هذه الأرض التى اكتب اليك منها رسالتى قد أدت بمصر الى ما وصلت اليه مصر الآن .

لقد خضنا حربا سرية ، وقتلنا بلا سبب ، انتحرت مصر فى سبيل ثورة السلال ، هزمت مصر فى سبيل ثورة سبتمبر ، كما حضرنا فى الظلام هنا نحن نستعد للرحيل فى الظلام أيضا ، وأخشى كل ما اخشاه أن يبقينا هنا ، خوفا من أن نقوم بانقلاب عليه ، ولكن أقسم لك أن يوما ما ، ربما بعد ما ننتصر على سكان الضفة الشرقية لقناة السويس ، وربما نهزم أمامهم مرة اخرى ، ولكن حسابنا لا بد وان يكون عسيرا ، لا بد وان أسأله .. لماذا ذهبنـــا الى اليمن ؟ .. وماذا جنت مصر من حرب اليمن ؟ .. وما ثمن عشرين ألف زهرة من شبابنا سنتركها وديعة فى أرض اليمن ؟ .. والأرامل .. كيف تعوضهن ؟ ؟ والمصانع التى توقفت ؟ .. وضرائب الناس وحرمانهم فى سبيل اليمن ؟ ..

بودى أن أقول له .. هل تستطيع أن تعوض جيلا كاملا احلى سنوات عمره ؟ .. هل يمكن أن تعيد الحياة لآلاف القتلى فى اليمن ؟ .. ولماذا ؟

لا أدرى كيف تتم عودة القوات من اليمن ؟ .. اننا لو أعطينا ظهورنا هنا ولو للحظة واحدة سوف نضرب برصاصة أو يرشق فى ظهـورنا خنجرا ، أن الانسحاب كالحرب تماما ، والا سوف نخسر نصف ما خسرناه فىاليمن، ونحن هنا مازلنا فى المأزق ، ولا ادرى كيف يكون الحل .

الانجليز ـ زوجتى ـ فى الجنوب يستعدون للرحيل ، ويوجد فى الجنوب الآن أربع قوى تتصارع على السلطة ، قوة الحكام والسلاطين ، وهذه مرحلة انتهت من الجنوب ، وقـــوة حزب الرابطـة ، وهـو موال للسعودية ولذلك فان بريطانيا سوف ترفض تسليم السلطة للرابطة حتى لا يكون للسعودية نفوذ فى الجنوب ، وجبهة التحرير ، ورئيسها عبد القوى وهى ناصرية ، ولن تسلمها بريطانيا السلطة ، بل لن تشركها فيها ،وستبقى الجبهة القومية لتحرير الجنوب ، وهى جبهة يسارية ، على خلاف مع

السلاطين والحكام وحزب الرابطة وجبهة التحرير ، وعلى خلاف مع الزعيم ، ولذلك فان كل الاتجاهات تقول أن هـذه الجبهة هى التى ستحكم الجنوب العربى ؟ . .

ليظل التمزق هو السائد فى الجزيرة العربية .

ولتظل مصر بعيدة عن الجزيرة العربية ..

ولتبدأ المعارك الاعلامية والتى قد تتطور بين الجنوب وجيرانه فى الشـمال ..

والشمال حيث نكون .. أن هزيمة يونيو قد انستنى أحداث اليمن فيما بعد النكسة ، القتال يتوقف حتى الآن ، نحن نحارب لوجودنا ، نحاربه قبل أن نموت ، نحارب حتى نخرج ، نحارب حتى نعود فى الظلام .

وبصدق فان الرئيس السـلال حزين لما يجـرى فى القـاهرة ، فان الرئيس السلال يتوقع خروج القوات المصرية من اليمن ، واذا خرجت هذه القوات خرج قبلها أو معها السلال ، نحن قد فرضنا على الشعب فى اليمن هذا الرجل ، والشعب كان يريد غيره ، ولكن لا يستطيع أن يغير فى الأمر شـيئا ..

لقد أصدر قائد القوات العربية فى اليمن أوامره بالتجمع فى نقط أقوى، حتى يمكن التحرك فى وقت الى أماكن التجمـع فى الطريق الى مصر الحزينة .. ربما كان هذا هو أول أمر للقائد الجديد فلقد وصلنا فى يوليو ١٩٦٧ اللواء عبد القادر حسن ، ويبدو انه هو الذى سيقودنا فى الظـلام الى مصر .

والحقيقة ان رجال الأمن يبذلون جهدا كبيرا لمحاولة توزيع مسئولية الهزيمـة على غير مسـببها ، يجتمعـون معنا ، يقولون مرة أن الاتحـاد السوفييتى هو السبب ، ومرة أخرى أن الولايات المتحدة الأمريكيـة هى السبب ، ورابعة أن المشير عامر هو السبب ، وخامسة أن الرئيس جمال عبد الناصر قد حذر من هجوم اسرائيلى صباح يوم الاثنين الخامس من يونيو ، نفس موعد الهجوم الاسرائيلى .

ولقد قلت لأحد رجال الأمن .. الاتحاد السوفييتى برىء من الهزيمة، والولايات المتحدة بريئة من الهزيمة ، الهزيمة بدات يوم ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ عندما أعلن راديو صنعاء الثورة ، وارسلنا قواتنا هنا على جبال اليمن . من هنا بدات الهزيمة .

وثار رجل الأمن .. وقال لقد جئنا نحمى ثورة .

وقلت له ..

لا أدرى .. هل كان من الضرورى حماية ثورة اليمن بانتحار مصر ..
واضفت له ..

كان هناك آلاف الطرق لحماية ثورة اليمن ، كنا نحاول بدلا من ست سنوات قتال ، نموت وندفن على جبال اليمن ، كنا نفكر فى ست سنوات بناء فى اليمن . اذا كانت القيادة المصرية حريصة على مصلحة اليمن أكثر من حرصها على مصلحة مصر .. كانت ارسلت جيشا من المدرسين والأطباء والمهندسين ..

ثورة اليمن كانت فى حاجة الى حماية سلامة .. لا الى قتال ..

وقال الرجل ..

— وهل كانت السعودية تسكت على ثورة اليمن ؟

— السعودية حاربت للحفاظ على وجودها ، واضفت لرجل الأمن ..

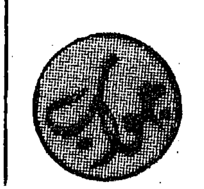
— لو أن الجسور ممدودة بيننا وبين كافة الدول العربية بما فى ذلك السعودية لامكن توفير الرخاء لشعب اليمن وشعب مصر أيضا ، لو عشنا أعواما فى سبيل مصر لأمكن لنا توفير الرخاء والسلام والاستقرار لكل الأمة العربية ..

لقد ذكرنى هذا الرجل بمنتصف طريقى بين الشك والايمان فى الزعيم .. لقد كانت على وجهه علامات الموافقة على ما أقول .. مهما كانت وظيفته فهو مثلى مهزوم فى سيناء بقيادة الزعيم .

الأحداث لم تعد هنا هامة ، كلنا ننظر الى الأحداث فى القاهرة ، وماذا سيفعل بنا الزعيم .. واين سنكون .. ولكن المهم أن نعود بسرعة الى أرض مصر العزيزة .. فهى فى حاجة الينا أكثر من أى وقت مضى .. انى اسمع نداء مصر وانينها والشوق اليها .. كما أتشوق اليك .

زوجك





الرسالة الثانية عشر

زوجى العزيز ..

أحداث القاهرة تتلاحق ، والناس تسأل اين قواتنا فى اليمن .. ولكن أكثر الاخبار أثارة هو انتحار المشير عامر ..وكان المشير عامر قد اتفق مع الرئيس جمال عبد الناصر على تقديم استقالتهيما ولكن الناس اعادوا الرئيس عبد الناصر ..لذلك كان لا بد ان ينتحر المشير.. يقولون فى القاهرة أن المشير لا بد وأن ينتحرحتى يمكن للرئيسجمال عبد الناصر الذهاب الى مؤتمر القمة فى الخرطوم لحل بقايا مشكلة اليمن .. وقبل أن يذهب الرئيس الى الخرطوم كان رئيس الجمهورية المقترح زكريا محى الدين محددا اقامتـــه فى منزله بالدقى ذلك أن بعض النـــاس قد علقت صورته بدلا من صـــورة عبد الناصر يوم التنحى .. والبعض قال أن الرئيس عبد الناصر لم يترك انسانا الا وناصبه العداء .. وأن المرحلة القادمة تحتاج الى وجه جديد يعبر الجسور بيننا وبين ثلاثة أرباع الكرة الارضية . لهذا كان لابد أن تحدد أقامة السيد زكريا محى الدين تماما كما انتحر المشير .

هذه هى الصورة السريعة ــ قبل سفر الرئيس الى الخرطوم .

وطبعا سمعت اتفاق الخرطوم .. واعتقد أن الرئيس سوف يحترم هذا الاتفاق .. لماذا .. ؟ لانه لا يملك عدم احترامه .. واسمع اسرار القاهرة عن قضية « الفصل الأخير » فىمأساة اليمن :

والفصل الأخير ــ زوجى ــ له ثلاثة ابطال ..

الأول .. ناصر .. وهو الآن فى وضع لا يملك غير القبول .. فهو يريد اعادة بقية القوات وعددها ــ بعد انسحاب جزء منهـــا ــ ٥٠ الف

مقاتل فى اليمن ، وهو الآن فى حاجة الى صيغة من التضامن العربى فى أقل صيغة .

الثانى .. فيصل .. وهو يريد أن تخرج القوات المصرية من اليمن .. وتبعد خطرها عن السعودية ..

الثالث .. وهو رجل صديق للرئيس عبد الناصر .. خفيف الظل .. لونه اسمر وقلبه أبيض .. ربما يكون العربى الوحيد الصديق لعبد الناصر الذى يقول له : لا .. لا لليمن .. لا لحرب العرب بعضهم بعضا .. وهو السيد احمد محجوب رئيس وزراء السودان .. وهو فى نفس الوقت على علاقة طيبة بالملك فيصل ، ولذلك فهو أنسب رجل لهذه المهمة ، والرجل يعشق جمال عبد الناصر .. لا أدرى لماذا ؟ .. وكم من مرة حاول تسوية قضية اليمن ، لأنه يؤمن أن لا شيء أخطر على حكم عبد الناصر غير وجوده فى اليمن ، لا شيء أخطر على وجود مصر كقلعة للوطن العربى غير حرب اليمن ، واذا جلست مع محجوب فانك لا تستطيع مقاومة اغراء صداقته ، ربما لخفة ظله ، ربما لثقافته السياسية العميقة ، ربما لفلسفته السهلة العميقة ، ربما لتعليقاته الذكية ، ولكن أهم من كل ما سبق بساطته وقلبه الأبيض ..

فى لقائه الأول مع عبد الناصر ، كان لديه الشجاعة أن يقول له .. لقد ارتكبت خطأ كبيرا بارسال قوات مصر الى اليمن ، وكان يقول له يبدو أن معرفتك قليلة بتاريخ هذا الجزء من الوطن العربى ، فان الامبراطورية العثمانية أيام مجدها وقوتها وازدهارها حاولت مرة أن تحتل اليمن — واسأل عزيز باشا المصرى والذى اشترك فى هذه الحملة — ولقد فشلت هذه الامبراطورية فى الاحتلال أو البقاء فى اليمن .

اليمن تركيبة — كما يقول محجوب — تاريخية وجغرافية ، ودينية وقبلية غريبة وخطيرة فى نفس الوقت .. كان هذا هو رأى محجوب ، وهو رأى مخلص لم يسمعه ناصر الا من فئة اخرى ، هى « قادة أول حزب فى الجنوب العربى » ، كان محجوب يريد أن يخلص ناصر من توريطه فى حرب اليمن ، وفى عام ١٩٦٥ أبدى رغبته فى التوسط بين مصر والمملكة العربية السعودية .. ولكن محجوب لم يوفق فى اتمام هذه الوساطة ..

وفى الشهر الماضى — اغسطس ١٩٦٧ — لاحت بوادر امكانية التوسط مرة أخرى .. وكانت البادرة فى الخرطوم ، عندما اجتمع وزراء الدول

العربية لبحث « الخروج من الهزيمة والتمهيد لمؤتمر قمة عربى » ، وقد أثار السيد محجوب « الأزمة اليمنية » مع محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة ــ وزير خارجيـة مصر ــ وبالمناسبة لا ادرى لماذا الغينا اسم مصر ، والذى ورد اكثر من مرة فى القرآن الكريم ؟ ولماذا نحن نقول حتى الآن : « متحدة » ومتحدة مع من ؟ ..

المهم .. أن رياض قال أن سبب فشل جهود السلام يعود الىالامبريالية العالميـة ..

وقال السقاف ــ وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية ــ أن السعودية بذلت الجهود فى سبيل السلام ..

واستقر الراى على رئيس وزير السـودان ووزيرى خارجيـة مصر والسعودية على حل مشكلة اليمن انطلاقا من نقطتين :

١ ــ انسحاب مصر نهائيا من اليمن .

٢ ــ الشعب اليمنى يقرر مصيره .

٣ ــ السعودية توقف الدعم المالى للملكيين .

وعلى ضوء هذه البنود ، سافر محجوب الى جدة والقاهرة ، وفى جدة وجد محجوب بعض الصعوبات فى الحديث عن مسالة اليمن ، واخيرا قابل الملك فيصل وتحدث معه فورا فى أمر تسوية مشكلة اليمن ، وكاناصراره نابعا من اكثر من واقع ، كان يريد أن ينهى خلافا تاريخيا .. وكان يريد أن يقول أن احمد محمد محجوب قد استطاع خلال حياته السياسية أن ينهى خلاف السعودية ومصر ، وكان يريد للقوات المصرية أن تواجه الاسرائيليين بدلا من أن تواجه اليمنيين .

تحدث طويلا ــ زوجى ــ الرجل الأسمر ، طيب القلب ، تحدث عن حاجة مصر لكل مليم فى سبيل مواجهة العدو ، تحدث عن الحالة الاقتصادية المتردية فى سبيل اليمن ، تحدث عن اجتماع وزراء الخارجية فى الخرطوم ..

وقبل الملك فيصل اقتراحات الرجل السودانى ، طيب القلب ، وبدأ فورا مناقشة التفصيلات مع الرجال الأقوياء فى السعودية كمال ادهم والسقاف ورشاد فرعون .

واقترح محجوب اتفاقية مقبولة من كافة الأطراف أو على الأقل من طرف ناصر ..

واقترح كمال ادهم اتفاقية اخرى ترضى الملك فيصل ..

وذهب كمال أدهم بالاتفاقيتين الى الملك فيصل اتفاقية محجوب ، رغبة منه في أن تكلل مهمته بالنجاح ، ورغبة منه فى قبول مصر بهذه الاتفاقية .

وذهب محجوب يشكر الملك على قبوله بهذه الاتفاقية ، وجد أن الملك فيصل قد قبل الاتفاقيه فى سبيل شعب مصر ، وانه يكره عبد الناصر كراهية التحريم ، لأنه يرى فى عبد الناصر انه على غير ما يعرفه الناس ، أنه غادر حتى باقرب المقربين اليه ،انه لا يرى الا مصلحته فقط ،مصلحته الزعامية والشخصية ، وان عبد الناصر سوف يقبل بهذا لأنه لا يملك الا القبول . وقد يماطل ، قد يجادل ، قد يمرض بالوهم ، ولكن الحقيقة أقوى من كل ماسبق الحقيقة ، أنه قائد نكسة ، وانه أمر بانتحار أعز أصدقائه ، وانه لا يثق الا فى نفسه ، وانه لا يخدم الا « ناصر » ، ولكن لا بد أن يقبل ، فلم يعد فى وسع مصر المسكينة المظلومة ، المهزومة بقيادة ناصر الا قبول هذه الاتفاقية.
وكان محجوب سعيدا بأنه أحرز تقدما ، فسافر الى القاهرة ، وكان فى استقباله زكريا محى الدين رئيس الجمهورية المقترح من الرئيس جمال عبد الناصر .

وكان عبد الناصر فى استقباله ، كان متلهفا للقاء طيب القلب ، وقابله على الفور .. وقال له محجوب هذه البداية .. أو هذه جدول أعمال بينك وبين الملك فيصل فى مؤتمر الخرطوم .

وقال له ، عبد الناصر ..

— لن احضر مؤتمر الخرطوم ..

— لماذا .. سيدى الرئيس ..

— لو سافرت .. فان زكريا محى الدين سوف يقوم بانقلاب ضدى ..

— لا .. لا اتصور ذلك .. فان البلاد تحتاج الى شجاع .. الى مغامر كى يقوم باستلامها .. اننى ارفض أن أكون رئيسا لجمهورية مصر .

— لماذا ؟

أولا : .. مطلوب منى أن احقق نصرا عسكريا على اسرائيل وهذا مستحيل ، مطلوب منى أن أعيد للمصريين كرامتهم ، وهذا مستحيل ، .. فأرجو أن تشير الى علم ذلك المجنون الذى يستطيع أن يحقق كل ما أفسدته السنوات الطويلة الماضية .

وأضاف محجوب ..

ـ لا تخف .. اذهب الى القمة .. وبدأت مرحلة جديدة .. بدأت يوم ٢٥ أغسطس عندما ذهب ناصر الى الخرطوم ، واليك ـ زوجى ـ القصة ـ قصة وجودنا فى اليمن ذهب ناصر الى الخرطوم ، فى بيت محمد حمد محجوب بدأت المباحثات بين ناصر والملك فيصل .. وقد قال عبد الناصر للملك فيصل ..

ـــ اننى موافق على أى شروط ، ولكن لى طلب واحد فقط ، وهو الا تعود أسرة حميد الدين لحكم اليمن مرة أخرى ..

وقال له الملك ..

ـــ أسرة حميد الدين كانت عدوة لى على مدى أربعين عاما ..

وقال الأمير سلطان ، وكان قد حضر هذا الاجتماع ..

ـــ ان أسرة حميد الدين لن تعود .. لقد فقدت الأمل ..

وقال عبد الناصر :

ـــ نقطة أخرى .. مصر لم يعد لديها سفن لنقل الجنود .. فهل تساعدنا المملكة العربية السعودية

ـــ استأجروا السفن .. ونحن ندفع .

وكان أمرا غريبا ، طلب عبد الناصر أن تقوم السعودية بدفع ايجار السفن التى سوف تعيدكم الى أرض مصر ، ثم بدأ مناقشة اتفاقية الخرطوم .. كان الملك يعلم ان عبد الناصر جاد هذه المرة فى سحب القوات .. وانتهى الاتفاق .. حرصا على تنقية الجو العربى ، ودعما لاواصر المودة والاخاء بين الأشقاء العرب ، ورغبة فى حسم مشكلة اليمن ، فقد تم الاتفاق .

أولا : على تكوين لجنة ثلاثية كأداة تناط بها مهمة معالجة المسألة ويتم تكوينها باختيار ـ المملكة العربية السعودية لاحدى الدول العربية ، واختيار الجمهورية العربية المتحدة لدولة عربية ثانية وان يوكل الدولة الثالثة الى مؤتمر وزراء الخارجية العرب فى الخرطوم أو بالاتفاق بين الدولتين .

ثانيا : تكون مهمة اللجنة وضع التخطيط الذى يضمن انسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن ووقف المساعدات العسكرية التى تقدمها المملكة العربية السعودية عن جميع المدنيين .

ثالثا : على اللجنة ان تبذل مســـــاعيها لتمكين اليمنيين من التحالف لتحقيق الاستقرار وذلك مع رغبات أهل البلاد الحقيقيه وتثبيتــا لحق اليمن فى السيادة والاستقلال الكاملين .

رابعا : على اللجنـــة أن تستشـــير كل من المملكة العربيـــة السعودية والجمهورية العربية المتحدة فى كل ما يعرقل مساعيها بعبة تدنياله والتوصل الى تفاهم ترضاه الأطراف العربية المعنية لكى تزول مسبباب هــذا انزاع وتصان الدماء العربية ، وتدعم الصف العربى ، ويعم الصفاء .. وتكونت اللجنة الثلاثية من العراق والمغرب والسودان ..

لك أن تضحك ــ يا صديقى ــ السلال يعارض الاتفاقية ، وسألوه .. أى بند تعارض .. فقال .. كل البنود .. كان لا بد أن احضر الاجتماع .. وكان السلال يرفض خروج القوات العربية من اليمن ، لقد أقام السلال جسورا من الكراهية بينه وبين فئات كثيرة من الشعب اليمنى ، وكان يشعر أنه لو ترك وجها لوجه مع الشعب اليمنى ، فسوف يثأرون منه ..

انتقلت اللجنة بعد اجتماع الخرطوم لتعقد اجتماعها فى بيروت فى ١٧ سبتمبر ، وكان يمثل الســـودان السيد محمد أحمد محجــوب ، ويمثل المغرب أحمد العراقى وزير خارجيتها ، ويمثل العراق اسماعيل خير الله وبدأت اللجنة تستمع فى بيروت الى شهادات كبار اليمنيين استمعت الى محسن العينى ، والى أحمد الشامى والى أحمد النعمان ، وأحمد محمد باشا ، وقاســـم الوزير وعباس الوزير ، ولكن لـــاذا ببيروت ؟ لأن البعض ممنوع من دخول القاهرة ، والبعض ممنوع من دخول السعودية ، ومعظمهم ممنوعين من دخول صنعاء .

وسافرت اللجنة بعد ذلك الى صنعاء عن طريق القاهرة ، وأعتقد أنك اقدر فى معرفة ماذا فعلت اللجنة فى صنعاء لكى تجتمع برجال اليمن .

مسألة مخزية ، ومضحكة ، الرجل الأسمر طبب القلب سأل فى صنعاء عن ثلاثة من القيـــادات الجمهورية هم : حسن العمرى الرجل القـــوى ، وأحمد محمد نعمــــان ، والقاضى عبد الرحمن الاريانى .. وعلم أنهم فى القاهرة ، وفى القاهرة علم أن العمرى فى السجن الحربى ، ونعمان معه ، والاريانى محددا اقامته فى منزله .

وتعجب الرجل من سجن يمنيين كبار فى سجون مصرية يحملون جوازات سفر دبلوماسية ، يحتلون مناصب كبيرة ، عاشوا الثورة ، واختلفــوا فى الأسلوب ، ولكنهم متفقون على بقاء الجمهورية ..

زوجى ..

.. هل هناك قانون يقول ذلك .. ؟ هل اليمن افقدتنا معرفة الصواب من الخطـــأ ..

وذهب محجوب لمقابلة عبد الناصر .. وقال له :

— أريد أن أرى الزعماء اليمنيين الثلاثة ...

فقال له الزعيم ..

— اثنان منهما فى السجن ، والثانى فى بيته .

ثم أضاف الزعيم ..

— ويمكنك الآن أن تستمع اليهما فى السجن .. سأرتب لك ذلك ..

وابتسم محمد محجوب ابتسامة سخرية ..

— سيدى الرئيس .. ما هو الضمان اذا دخلت لرؤيتهم فى السجن ؛ أن يغلق من خلفى الباب ، ويستضيفنى مدير السجن فى حجرة مجاورة .

فقال ناصر ..

لا .. لا تخف .. لن أسجنك .

ولكن الرجل الطيب الأسمر ، لم يثق فى هذا الضمان ، وطلب رؤيتهما فى قصر الطاهرة حيث ينزل ضيفا على الحكومة المصرية ، وبعد يومين جاء الثلاثة الى قصر الطاهرة .. وبدلا من السؤال عن أحوال اليمن سألوا عن النكسة ، والحكاية من أولها الى آخرها ، ثم سألوا عن اليمن ، والسلال، والقوات المصرية الموجودة ، وجاء موعد الغداء .. وكانت لحظة انسانية قاسية .. قال محجوب لليمنيين الثلاثة تفضلوا الغداء ..

ورد الرجل المسن ..

— هل حقا يمكن تناول الغداء مع لجنتكم الموقرة ..

فقال محجوب ..

— طبعا ..

والتفت الرجل يمينا ويسارا .. وقال أخشى بعد الغداء أن أدفع ثمنه .. والثمن هنا غالى جدا .. وتناول الجميع الغداء ..

هنا — زوجى — أريد أن أخبرك بأمر ما عن النفس البشرية .. فى احدى رسائلك قلت لى أن الشعب لم يقاوم الظلم .. وأقول لا يوجد شعب قاوم مثلما قاوم الشعب المصرى ، ان السجون كانت كصالة عرض كاملة العدد على مدار السنة .. ولكل انسان قدرة على المقاومة .. ها هو النعمان ..

له تاريخ فى النضال يخشى الجلوس مع اللجنة الثلاثية لتناول الغداء ، خوفا مما قد يحدث له فى السجن فما بالك أن كل هامة ارتفعت فى مصر على مدى السنوات الماضية ذهبت الى هذه الصالة الكاملة العدد ليخرج منها انسان آخر .. رجال برؤوس من المصيص ..

لا تظلم شعبنا أبدا .. انه طيب .. وصبور .. ومقاوم .. انه شعب أحبطه الزعيم ، لقد وضع الشعب فيه كل الأمل ، واستطاع الزعيم أن يجعله ينتظر .. وينتظر .. وينتظر شيئا ما وبعد طول انتظار .. وجد الخراب .. والضياع .. والهزيمة واليمن .

المهم — زوجى — اللجنة انهت مشكلة اليمن ،

وقررت :

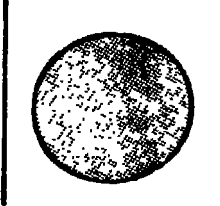
٢ — أن التسوية تعيد السلام والاستقرار لليمن .

وسافر وزير خارجية العراق الى بغداد ، وسافر وزير خارجية المغرب الى الرباط ، وسافر محجوب الى الخرطوم ..

وعلمت أن الرئيس جمال عبد الناصر قد أرسل مندوبا عنه الى اليونان لاستئجار سفن لنقل القوات المصرية من اليمن ، كما علمت أن بعض القوات وصلت فعلا ببعض المراكب والطائرات المصرية من اليمن ، مودعة والى الأبد هذه الأرض التى ابتلعت فى جوفها ٢٠ الف زهرة دفنت هناك ..

لم يبق الا أن تأتى .. وتضع ستارا كثيفا على الرحلة السوداء التى بدأت منذ سنوات وانتهت بطريقة مأساوية ، دفعنا نحن فى مصر ، رجالا ونساء ، وأطفالا ، وشيوخا ثمنا غاليا ، لهذه الرحلة التعيسة .. بانتظارك فى بلدى دائما .

زوجتك



الرسالة الأخيرة

الحديدة فى أول ديسمبر ١٩٦٧

زوجتى .. يا زوجتى ..

يا أختى .. يا أمى ..

يا زوجة كل مقاتل ..

يا أخت كل شهيد ..

يا أم كل زهرة مصرية دفنت هنا ..

حكايتى أليمة ..

فصولها أليمة ، كأعنف ما تكون المأساة ..

كنت اعلم أنها نهاية أليمة ، ولكنى لم اكن أعلم أنها ستكون أليمة الى هذا الحد .

كنت أتصور النهاية فى صنعاء .. وليست فى سيناء .. ولكنى اخطأت فبداية المأساة فى صنعاء ونهايتها فى سيناء ..

آه .. تسألينني فى رسالتك الأخيرة عن اللجنة الثلاثية وماذا فعلت فى صنعاء ؟..

تسألينني ، لأن الحقيقة فى القاهرة عليها طبقات كثيفة من الضباب ، لأن الناس فى القاهرة لم يصدقوا ما يقوله الحكام والمسئولين ..

الحقيقة عن اللجنة الثلاثية جاءت الى صنعاء ، هى رحلة مأساوية فى فصول رواية من المآسى المستمرة .. فيبدو أن جيلى هذا قرر أن يعيش عصر المأساة ..

جاء محجوب والعراقى وخير الله الى صنعاء ، ومعهم الفريق فوزى ، وأعلن عن وصول اللجنة التى ستصل لاحلال السلام فى اليمن ..

وحاول محجوب أن يتصل بالسلال .. الا أن رئيس الجمهورية تهرب من مقابلة لجنة السلام ..

ساعات .. بعد المحاولة .. وانطلقت فى الشوارع المظاهرات التىحركها السلال .. مظاهرات يتقدمهــا على ابن رئيس الجمهورية .. المظاهرات تهتف ضد السلام .. ولجنة السلام .. ومصر .. وقوات مصر .. وعبد الناصر .. ومحاولته للخروج من اليمن ..

وجاءت المظاهرات الى مقر القيــادة المصرية فى صنعاء .. واطلقت الرصاص .. فاستشهد احد الحرس .. وبدأت القوات المصرية تطلق فى الهواء رصاص .. وابتعدت المظاهرات عن مقر القيــادة .. واتجهت الى شوارع صنعاء ..

وفى الشوارع أصبح هناك تجارة وتجارا .. وفى داخل بعض المتاجـر جنودنا بلا سلاح .. يشترون هدايا العودة .. بعضهم سيرحل الى الحديدة فى المساء ليغادر هذه الأرض الى الأبد فى الصباح ..

كل الجنود يحملون هدايا جميلة والتى امتلأت بها متاجـــر صنعاء ، وافتحم المتظاهرون المتاجر ، واطلقوا الرصاص على جنود مصر ، ومات الكثير وأيديهم قابضة على الهدايا ، وانتهى معهم حلم العودة ، ولقاء الأسرة والجلوس فى « العصارى » تحت شجرة التوت امام ضفاف النيل ..

سقط ــ بأيدى السلال ــ هذه المرة ٣٧ مصريا ، وفى أيديهم كل شيء ، الا البنادق ، وعشنا الحزن كله ، كيف يموتون فى شوارع صنعاء ، وبتحريض من رئيس حموه بأرواح عشرين الف رفيق استشهدوا على هذه الأرض ! ..

مات السلام فى اليمن .. وفشلت لجنته فى اللقاء بالسلال .. وعادت الى القاهرة على الفور بعيدة كل البعد من بحور الدم فى صنعاء ..

لا ادرى لماذا كان الحزن شديدا على هؤلاء ؟ ..

لا أدرى لماذا بكوا الجنود بالدموع كالنساء على هؤلاء الرجال ؟ ..

بل لا ادرى لماذا لم نتركهم ــ كما ارادوا ــ ان يثأروا بهؤلاء الرجال ؟ ..

لا أدرى .. والألم كان صاعقا هذه المرة ..

وفى الصباح .. وحتى لا يفلت زمام الموقف من أيدى القادة وتحدث مذبحة فى صنعاء بأيدى رفاق سلاح شهداء الثالث من أكتوبر عام ١٩٦٧ ، أسرعنا فى الاتجاه الى الحديدة استعدادا لمغادرة بلا عودة ..

هل تعرفين السعادة المرة ؟ ..



سقط بأيدى السلال هذه المرة ٣٧ مصريا وفى أيديهم كل شىء الا البنادق . سقطوا بتحريض من رئيس حموه بأرواح عشرين الف رفيق . .

انا أعرفها .. وكنت اراها في عيون الجنود العائدين الى أرض الوطن .. كانوا جميعا سعداء بمرارة .. سعداء بالعودة الى أرض مصر ..

بدأت البواخر المصرية واليونانية تصل الى الميناء وتحمل الجنود في طريقهم الى مصر العزيزة واثناء ترحيل القوات .. حدث أمر هام في صنعاء .. أتصور انه نشر في سطرين في الصفحة الأولى ولهـــذه الأسطر الثلاثة قصة ..

بعد رحيل القوات المصرية من صنعاء ، واستعدادها للعودة الى مصر نهائيا ، قرر السلال ان يبحث على حكومه بلهاء ترسل بقوات لمساندته بدلا من القوات المصريه ، وقرر أن يمر أولا على القاهره لعله يقنع الزعيم بعدم سحب القوات المصرية من اليمن ، واذا فشل يذهب الى موســـكو يحضر احتفالات اكتوبر ، ويأتي بقوات سوفياتية ..

تصور السلال أن هناك حكومة بلهاء كالحكومة المصرية .. وعرض في القاهره الامر على الزعيم .. فرفض .. لأنه لا يملك ان يوافق .. فاتجه الى بغداد .. وأثناء وجوده في بغداد استولى الجيش على السلطة في صنعاء، واسند الجيش الرئاسة للقاضي عبد الرحمن الارياني ، والذي عاد منـــذ أسابيع من سجنه بالقاهرة ، فلقد كان محددا اقامته ، واسند الى اثنين من ضيوف السجن الحربي في مصر مسئولية قيادة الدولة في المرحلة القادمة ، وهما حسن العمري والنعمان .

يعني أن النظام الجديد بقيادة ثلاثة لا يمكن أن يتفقوا مع القيادة المصرية، الرئيس حددت اقامته لمدة تزيد عن عام في بيت بالقاهرة ، واثنين عاشا في العذاب في السجن الحربي لمدة تزيد عن عامين .

ولكن الحق يقال .. لقد ارتفع القاضي اليمني فوق الاحداث وأرســل الى الزعيم برقية ــ بالطبع لم تنشر في الصحف المصرية لانها تشـــير الى حوادث الثالث من اكتوبر عام ١٩٦٧ ــ تقول الرسالة :

« بعد صبر طويل على عبث السلال ، والذى كان آخره احداث الثالث من اكتوبر التي ذهب ضحيتها اخوان أعزاء ، وجللت وجه اليمن بالخـــزي والعار ، قرر الشعب اليمني بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية وتجريده من مناصبه الرسمية ورتبه العسكرية ، ولقــــد قامت القوات المسلحة بالمهمة بكل هدوء وسلام ، لم ترق قطرة دماء واحدة ، ولقد تجاوب الشعب اليمني من أقصاه الى أقصاه ، ويهمني أن أؤكد لسيادتك حرص الجمهورية العربية اليمنية حكومة وشعبا على الاحتفاظ بأقوى العلاقات مع

شعب وحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، والعمـــل على تأكيد أواصر الصداقة بين الشعبين ، وسوف يظل الشعب اليمنى أبدا ودائما ذاكرا جميل ومساندة شعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومته الشقيقة بكل تقدير واجلال .

وفى نفس الوقت ارسل القاضى الايريانى وفدا على مستوى رفيع لمقابلة اللواء عبد القادر حسن قائد القوات العربية ، ليقدم لنا العزاء فى شـــهداء الثالث من أكتوبر . .

وقدم الوفد العزاء . . وفتح الوفد الجراح . . وعاد الوفد الى صنعاء . .

والآن نستعد للعودة . . سأعود . . كما ودعت مصر فى الظلام . . سنبحر بالبواخر فى البحر الأحمر . . وننزل على الشاطىء المصرى بعيدا عن الطائرات الاسرائيلية ، سننزل فى موانىء بلا أسماء . . شبه الميناء الوحيد ، والذى يحمل اسما . . اسمه « منطقة أم الغصون » . . وهى منطقة فى مواجهـة ادفو . . ومن هذه المنطقة نسير برا الى المدينة . . ومن ادفو نضيع فى زحام مصر ، مع المظلومين ، مع المقتولين ، مع ضحايا عصر المأساة . .

واراك يا بلادى – من جديد ، برؤية جديدة ، بعيون هدتها المأســاة ، بعقل ثائر من لمسة الفساد واراك – يا مصر – وأطلب منك الرحمة والغفران فلقد ظلمتك اكثر من خمسة عشر عاما . .

فلقد رايتك باكية – عبر السنوات الماضية ، ولم أقدر دموعك الغالية . .

رايتك خائفة من المستقبل ، وكنت لا أدرى انك تعلمين مدى سواده . .

رأيتك تباعين بلا ثمن وكنت أتصورها التضحية .

رايتك خادمة فى بيوت الجوارى ، عاهرة فى بيروت ، ولم أعلم أن الثمن سيكون باهظا جدا الى هذا الحد .

رايتك فى السجون ، والمعتقلات الرهيبة تساقين كل أنواع العـــذاب والتعذيب ، تطلبين الرحمة ، وكنت أتصورك غبية تقاومين الحق .

رايتك أسيرة فى غابة ، وبالغابة أسد واحد ، قاتل ، جائع ، حاقــد مستبد ، وكنت أرى فى ذلك النظام .

رأيت على شفتيك سخرية الأسى ، كنت أضحك بلا بكاء على سخريتك .

رايتك هاربة الى العالم كله ، تنشدين لهم أنشودة العصر ، تضعين لهم حضارة العصر ، وكنت أرى فى هروبك خيانة .

رأيتك تصعدين بالعلم الى القمـــر على مركبة أمريكية ، وكنت اتهمك بالتخريب .

مغفرة .. ومعذرة .. فلم أكن أراهم بلا اقنعه .. كنت أراهم دائما بقناع خلف مبكرفون .. يكذبون ويكذبون .. ويكذبون .. وأصدق كذب ما يقولون .. وعشت فريسة لقول كاذب .. عندما سقطت عنهم الاقنعة .. بل وورقة التوت ، كان منظرهم بشعا يثير الغثيان .

زوجتي ..

جاءني هنا ، رجل عجوز ، طاعن فى السن ، مســتحيل ان تعرفى متى ولد ، ومتى يموت .. جدير بالاحترام .

وسألته .. لماذا جئت الى اليمن ؟

قال .. ابحث عن نبيل ..

وقلت .. ومن نبيل ؟ ..

قال .. ابنى .. الا تعرفه ؟ ..

قلت .. ما شكله ؟ ..

قال .. جميل جدا .. ليس بقصير .. ولا بطويل .. عيونه جميلة بشرته سمراء .. يضحك .. يضحك كثيرا .. يحب كل شىء .. الحيــاة .. الحب .. الموسيقى .. الأشجار .. ومياه النيل

قلت .. وهل جاء هنا ؟ ..

قال لا ادرى .. كل ما استطيع أن اقوله .. انه ذات يوم .. ارتدى بذلته العسكرية .. وترك زوجته .. وأولاده .. واتجه الى مكان ما .. ولم يعد ، انتظرته طويلا ولم يعد ، كتبت له ، وكتبت لى رســـائل كثيرة ولم يعد ، وكان لا بد ان يعود ، لاننى أعرف انه يحب الحياة والسلام ، والموسيقى ومياه النيل ولكنه لم يعد .. ذهبت الى سيناء ابحث عنه فلم أجده ، فى مياه القناة فلم أجده ، بين الأسرى فلم أجده ، بحثت عنه فى السجون فلم أجده، فجئت هنا أبحث عنه لانه لا بد أن يعود .

ـــ وكيف خرجت من مصر وجئت لليمن ؟

فقال ..

ـــ الصحافة والصداقة .. صحفى ورجل فى القصر .. عرضت على صديقى رحلتى لليمن ، فنصحنى باقصر الطرق الى صــــنعاء ، ارسل لى

صحفي التقط لى بعض الصور ، وقلت له جمله فى ثلاث كلمات فقط « أريد العلاج بلندن » . وفى الصباح وجدت صفحه كامله اقول فيها كلاما لم اقله .. هل تتصور انني سعيد بغياب نبيل . هل تصور أن اقـــول غياب نبيل فى اليمن او غـــيرها وطنية وقوميـــة ، كل هذا قلـــه ولم اقوله . وذهبت لأقول انني لم اقل ولم يسمعنى أحد . الا أن العصر وافق على ســـفرى . وذهبت الى لندن . ومنها الى صنعاء ابحث عن نبيل .. ونبيل لا بد وان يكون هنا .. يضحك بصوت عال فى مكان ما على هذه الجبال . سأحضنه واخبره بالا يصدق هؤلاء الرجال الذين يرتدون الاقنعـــة ويجلسـون خلف الميكروفونات .. سأعيده معى ولن اتركه يرحل أبدا .. سأقول له لا تقرأ الصحف .. ولا تسمع الراديو .. واغلق صندوق الكذب ولا تشاهده ..

واكتفى بـ ـماع بسهوفن فهو لا يكذب ابدا .

قلت له .. سيدى .. نبيل مات ؟ ..

فقال .. لا .. نبيل سأعيده معى .. وسأطلب منه أن يكسر صــــندوق الكذب .. ومذياع النفاق .. ونشرات الصباح الصفراء .. نبيل — يابنى — لا يموت .. ربما يعيش الآن فى مقبره تتسع لألف أو عشرين الف .. ربما تكون جمجمته فوق الجبال وقفصه الصدرى فى الوادى .. وذراعه فى مدينه ولكنى أبوه ، خبير فى جمع عظامه ، سأجمع عظامه ، وأعيده .

وتركنى الرجل وذهب لمهمته المستحيلة ليجمع نبيل من فوق الجبـــال والوديان والمدن ، يعيده الى مصر ، ليعيش من جديد ، ليحطم صـــــندوق الكذب ، ويمزق أوراق النفاق ، ثم يغنى لمصر والحب والحياة .. تحت الأشجار الخضراء على ضفاف النيل ..

ومرت الأيام .. وجاء دورى فى صعود الباخرة فى طريق العودة وأنا أفكر فى ذلك الرجل الذى جاء يبحث عن نبيل ، وقبـــــل أن اصعد على السلم اعترضنى رجل من هؤلاء الذين يرتدون النظارات السوداء على أعينهم ..

وسألنى ..

— ماذا — أيها القاتل — ستقول لهم فى مصر ؟

— وماذا تريد أن أقول ؟

— تقول .. انك انتصرت .. وكسبت .. ولم يمت أحد على هـــذه الجبال .. ولم تنفق شيئا فى هذه الأرض ..

وابتسمت .. ثم ضحكت .. وضحكت عاليا .. وقلت له وقد اختفت الابتسامة والضحك ..

ـ لا .. لا سيدى ..

فحكايتى مؤلمة ..

قصة طويلة دامية ..

سأقولها .. ربما اليوم .. ربما فى السبعين .. وربما فى الثمانين ..

ولكننى أعاهدك اننى ـ رغم انفك ـ سأقولها ..

سأقولها لشعب اليمن ..

سأقولها لهذا الجيل .. ولكل جيل ..

سأقولها للزعيم .. لكل زعيم قادم ..

سأقولها حتى لا تتكرر المأساة ..

سأقولها للأرامل ، والشهداء والسجناء فى المعتقلات ، والمهاجرين من شدة الخوف والخادمات فى بيوت الجوارى .

سأقولها حتى ترتفع الهامات ، وتعود مصر تعطى للعالم حضارة ، وتلحق العصر ، وتقود بلا اكراه .

سأرددها فى كل مكان وزمان ..

فهى حكاية بسيطة ، حكاية شعب كاد أن يموت من شدة الطغيان ، حيث ارسل الزعيم أحلى الزهور لتموت فى بلاد بعيدة ، بلا سبب ويموت معها الزرع والآلة والانسان .

حكايتى ـ سيدى ـ أليمة ..

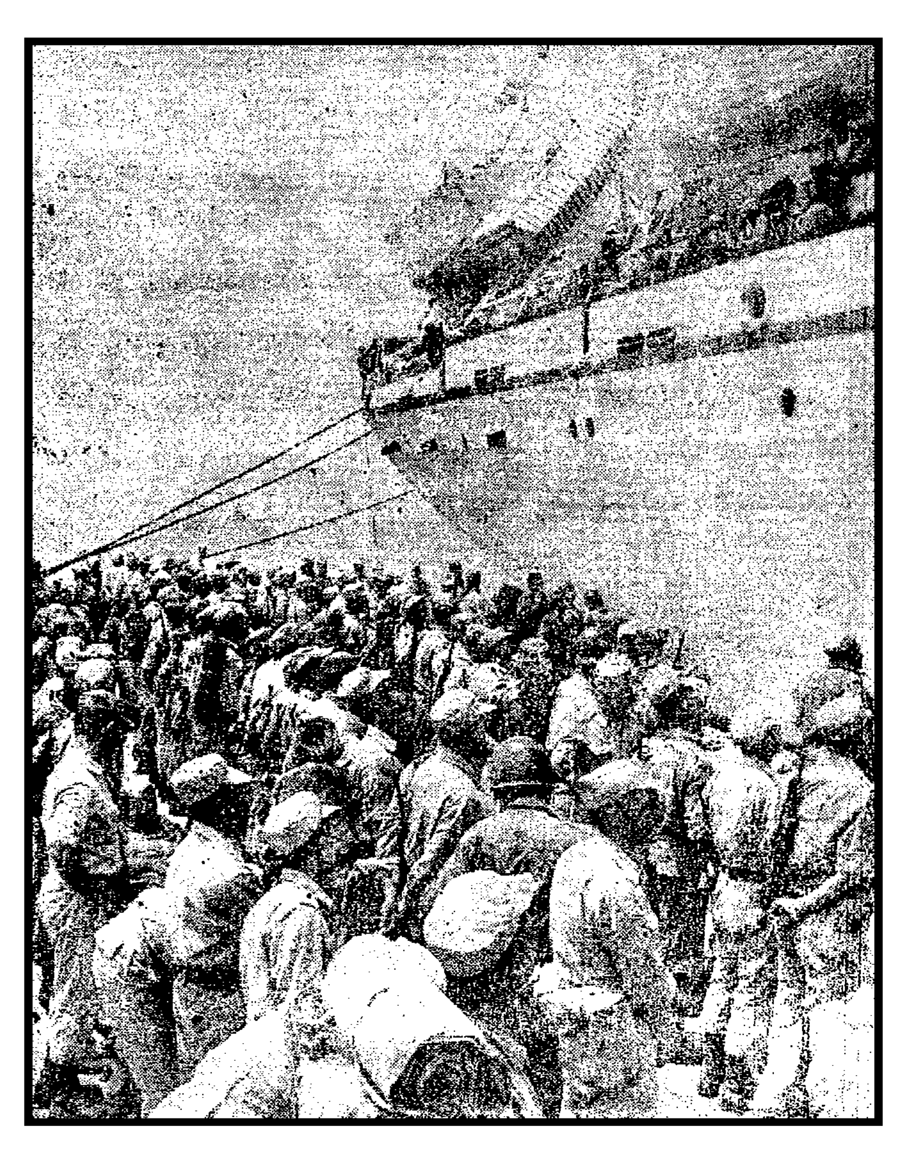
نهايته أليمة ..

فصولها أليمة ، كأعنف ما تكون المأساة ..

ومأساتى ـ سيدى ـ بدأت فى صنعاء ، وانتهت فى سيناء ..

عفوا ـ سيدى ـ ربما تكون سيناء فصل من فصول المأساة ..

اتركنى ـ سيدى ـ أصعد وأعود ..



هل تعرفين السعادة المرة .. أنا اعرفها .. وكنت اراها فى عيون الجنود العائدين الى أرض الوطن .. سعداء بمرارة بالعودة الى أرض مصر ..

واتركوا ـ سيدى ـ مصر .. فكفاكم اغتيال تاريخها ..

واسمع ـ ولو مرة ـ كلمة صدق ..

قد تغتالون شبابها ..

قد تغتالون ـ سيدى ـ رجالها ..

وقد تغتالون الأرض .. وحبات الرمـــل .. والرجال فى المصانع .. والفلاحين فى الحقول ..

قد تغتالون القمر .. وتطفئون الشمس ..

ولكنى سيدى .. لن تستطيعوا اغتيال حكايتى ..

فحكايتى محفورة فى قلبى .. ممزوجـــة فى دمى ، تهز كيانى ، تبكينى ، تؤلمنى ..

سارددها للصغار ، والكبار ، والأرامـل ، والشـــهداء ، والســـجناء ، والجائعين ..

ساقولها لشعب مصر ، ربما اليوم ، وربما غدا ، وربما بعد غد ، ولكنى سوف اقولها ، فهى حكاية بسيطة .. حكاية شعب كاد أن يموت من شـــدة الطغيان ..

« زوجـك »



للمؤلف

١ ـ القدس : عربية عبر القرون نفد ١٩٦٧

الناشر : الهيئة العامة للكتاب

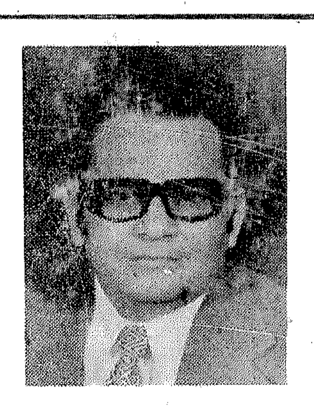
٢ ـ الزهور تدفن فى اليمن نفد ـ طبعة أولى ـ ١٩٧٣

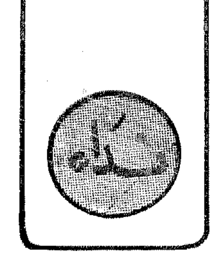
الناشر : دار السياسة الكويتية

٣ ـ الخليج فوق بركان تحت الطبع

الناشر : المركز العربى للصحافة ـ القاهرة







باسم اسوار اليمن التي رفعت والى الابد ..

باسم الرسالة التي قام بها اعظم شبابنا على أرض اليمن .

باسم العطاء والمال والعرق والدموع والدم المصري .

باسم الحياة التي بدأت في اليمن .

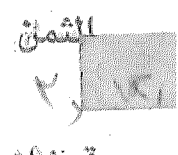
باسم آلاف الشهداء الذين دفنوا على جبال اليمن .

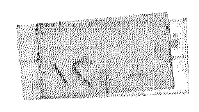
لي رجاء .. من الحكومة اليمنية .. أي حكومة .. ورجائي بسيط هو : ان تجمع ما تبقى من عظام شبابنا العظام ، وتبني لهم مقبرة تليق برسالتهم ، لتكون كعبة للعطاء ، وتكتب على هذه المقبرة :

هنا .. يرقد اعظم الرجال .. واشجع الرجال وانبل الرجال .. هنا يرقد شباب مصر في سبيل اليمن .

و ١٠

الثمن ٢ قرشا





الناشران

المركز العربي للصحافة
٣٣ شارع قصر النيل
تليفون ٤٥٩١٥
القاهرة

دار الوطن العربي
٢٥ شارع عرابي
تليفون ٤٨٤٤١
القاهرة

مطابع دار الشعب بالقاهرة